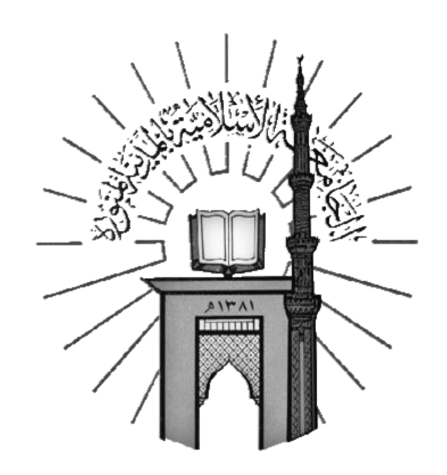


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

الأوائل في مسائل الاعتقاد

ـ جمعاً ودراسة ـ

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية ـ الماجستير ـ

إعداد الطالب

سامي بن محمد بن الرثيع المغذوي

إشراف الدكتور

عارف بن مزيد بن حامد السحيمي

العام الجامعي

١٤٣٥ ـ ١٤٣٦هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[(١)]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[(٢)]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[(٣)]أما بعد[(٤)]:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وبعد:

فإن الاشتغال بطلب العلم بشتى صوره حفظاً ودراسةً وتصنيفاً وتحقيقاً، من أعظم الأمور، التي من وُفِّقَ لها فهو على خيرٍ عظيم؛ وذلك بحكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[(٥)]، وهو طريق وجّه المولى عز وجل إلى سلوكه فقال تعالى: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ

---

(١) سورة آل عمران، آية:١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية:١.

(٣) سورة الأحزاب، آية:٧١،٧٠.

(٤) خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمها أصحابه رضي الله عنهم، وقد أخرجها أبو داود في سننه كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح ٢/٢٣٨، برقم ٢١١٨، والنسائي في سننه، كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة ٣/١٠٤، برقم ١٤٠٤، وصححها الألباني في مشكاة المصابيح ٢/٩٤١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب العلم، باب «من يرد الله به خيراً» ١/٢٥، برقم ٧١.

فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[١]، بل وأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالتزود منه فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[٢].

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية موضوع هذه الدراسة من خلال النقاط الآتية:

١. أن البحث يتناول أهم العلوم وهو علم العقيدة؛ فهي أشرف العلوم على الإطلاق وأفضلها وأجلها وأكملها، لأن شرف العلم بشرف المعلوم؛ فالله عز وجل أنزل الكتب وأرسل الرسل لبيان العقيدة السليمة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[٣].

٢. إن معرفة الأوائل في مسائل الاعتقاد أمرٌ مهمٌ للغاية، ويتضح ذلك من خلال تقرير بعض المسائل؛ مثل : أن الأصل هو التوحيد وأن الشرك حادث.

٣. أن في معرفة الأوائل مواعظ تقرع القلوب، كمعرفة أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وأول من تسعّر بهم جهنم، وأول ما يقضى فيه يوم القيامة.

٤. أن في معرفة أوائل ظهور البدع، وأنها لم تكن في صدر الإسلام، يزيد المسلم تمسكاً بمنهج السلف الصالح واقتفاء آثارهم.

٥. أن البحث يتعلق بإبراز الأوائل في مسائل الاعتقاد في مصنف مستقل وهو مقصد من مقاصد التأليف.

٦. أن هذا البحث يحوي جملة من أوائل المسائل العقدية المهمة التي تحتاج إلى جمع ودراسة ومزيد إيضاح وبيان، وفي ذلك تقريبٌ للعلم.

---

(١) سورة التوبة، آية:١٢٢.

(٢) سورة طه، آية:١١٤.

(٣) سورة الأنبياء، آية:٢٥.

٧. أن البحث في هذا الموضوع يتطلب الشمولية في النظر في عموم كتب العقيدة مما يعود على الباحث بالنفع.

أسباب اختيار الموضوع:

١. عدم وجود دراسة علمية لهذا الموضوع ـ حسب علمي ـ تتناول جمع الجوانب العقدية المتعلقة بالأوائل، مع أهميته، لذا رأيت الكتابة فيه جديرة بالبحث والإهتمام.

٢. كثرة المسائل المتعلقة بالعقيدة في علم الأوائل.

٣. بيان ضعف شبه المبتدعة، وذلك ببيان أول ابتداعهم وأنه لم يكن في عهد السلف، كأول من قال بالرفض، وأول من خرج على أئمة المسلمين، وأول من قال بالتشبيه، وهكذا في أصول البدع.

٤. تحقيق الخلاف في بعض المسائل التي اختلف فيه العلماء، مثل أول ما خلق الله العرش أو القلم.

٥. معرفة سبيل الأنبياء في الجمع بين الخوف والرجاء، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[1]، و قَالَ تَعَالَى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[2]، ومما ذكرته في ذلك معرفة أول منازل الآخرة، وأول ما يحاسب عليه العبد في القبر، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وأول من يدخل الجنة من أمة محمد، وأول من تسعر بهم النار، وأول طعام أهل الجنة، وهكذا.

٦. رغبة الباحث في جرد وقراءة عامَّة كتب العقيدة.

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٥٧.

أهداف البحث:

١. بيان فساد وزيغ المبتدعة، ببيان بدء ظهورهم، وأنه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك من خلال تقرير بعض المسائل المختلفة.

٢. تحرير المسائل التي ورد فيها خلاف عند أهل السنة والجماعة في أيهما أول.

٣. ترقيق القلوب بذكر بعض المواعظ المتضمنة للأوائل في مسائل العقيدة.

الدراسات السابقة:

لم أقف – حسب علمي– على من بحث هذا الموضوع، أو كتب فيه كتابةً مستقلةً في العقيدة، وقد وقفت على كتب عامَّة في علم الأوائل منها ما يلي:

١. **الأوائل**، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠).

٢. **الأوائل**، لأبي هلال الحسن العسكري (ت٣٩٥).

٣. **الوسائل إلى معرفة الأوائل**، الحافظ السيوطي (ت٩١١).

وبعد الإطلاع العام على الكتب السابقة، تبيّن أنها في مجملها عامة، وتشتمل على فنون شتى وليست مختصة بالعقيدة، وأما المسائل العقدية فيها فإنها محدودة، وأما بحثي فهو دراسة متخصصة في المسائل العقدية.

وأما على وجه التفصيل، فقد تبين الآتي:

أولاً: ذكر محقق كتاب الأوائل للطبراني في مقدمة التحقيق قوله:«...وكتابه هذا ليس مستوعباً لهذا الفن، بل ليس مستوعباً لكل ماروواه الطبراني في هذا الباب...» [(١)].

ثانياً: ذكر محقق كتاب الأوائل للعسكري في مقدمة التحقيق قوله: «وهذا الكتاب على الرغم من أنه يشتمل على كثير من الأخبار الأدبية والفقهية، فإنه يتناولها من زاوية تاريخية في محاولة لإظهار أوّليتها، والتأريخ لفترة نشوئها، فهو ذو أهمية فائقة لأنه يعد مرجعاً

(١) الأوائل للطبراني ص:٦.

في كثير من الدراسات الأدبية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية والفنية والعلمية والسياسية والإدارية، وخاصة تلك الدراسات التي تعنى بإبراز جوانب التطوّر في بعض المسائل، وتبحث عن بدايتها وأوائل ظهورها للوقوف على ما أصابها من تبدّل وتغيّر على مرّ الأزمنة وتتابع الدهور»[١].

ثالثاً: ذكر المصنف السخاوي في مقدمة كتابه الوسائل إلى معرفة الأوائل، قوله: «وبعد فهذا كتاب لطيف جامع للأوائل لخصت فيه كتاب الأوائل للعسكري وزدت عليه أضعافه ورتبته ترتيباً سهل التناول على أبواب وهي بدء الخلق الطهارة الصلاة الجنائز الزكاة الصوم الحج البيوع الفرائض النكاح الحدود الجنايات الجهاد اللباس الأسامي والألقاب والأطعمة المبعث النبوي والأمارة العلم الأمثال باب جامع البعث والنشور وسميته الوسائل إلى معرفة الأوائل».

(١) الأوائل لأبي هلال العسكري ١/١٣.

خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، ثم الفهارس العلمية، وتفصيل ذلك في الآتي:

المقدمة: وتشتمل على **أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج البحث، والشكر والتقدير**.

التمهيد: ويشتمل على أهمية علم الأوائل في العقيدة.

الفصل الأول: **المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في التوحيد**، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في توحيد الربوبية، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أول ما خلق الله.

المطلب الثاني: أول ما خلق الله من الملائكة.

المطلب الثالث: أول ما خلق الله من الإنسان.

المطلب الرابع: أول جبل وضع في الأرض.

المطلب الخامس: أول من ادعى الربوبية.

المبحث الثاني:المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في توحيد الألوهية، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: أول واجب على المكلف.

المطلب الثاني: أول بيت وضعت فيه البركة.

المطلب الثالث: أول شرك وقع في الأرض.

المطلب الرابع: أول من بدّل الحنيفية ملة إبراهيم.

المطلب الخامس: أول من أتى بعبادة النجوم للعرب.

المطلب السادس: أول من لبى التلبية الشركية.

المطلب السابع: أول ردة وشرك في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

المطلب الخامس: أوائل المسائل المتعلقة بالنار.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الإيمان بالقضاء والقدر، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أول من يعلم بموت العبد.

المطلب الثاني: أول من تكلم بالقدر.

الفصل الرابع:المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الصحابة والإمامة والفرق، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الصحابة، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أوائل المسائل المتعلقة بإسلام الصحابة.

المطلب الثاني: أوائل المسائل المتعلقة ببعض فضائل أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

المطلب الثالث: أوائل المسائل المتعلقة بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

المطلب الرابع: أول خلاف وقع بين الصحابة.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الإمامة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أول خليفة من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

المطلب الثاني: أول ملوك الإسلام.

المطلب الثالث: أول من تنازل عن الخلافة لحقن دماء المسلمين.

المطلب الرابع: أول أمير أمر في الإسلام.

المطلب الخامس: أول من بايع تحت الشجرة.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في أصول الفرق، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: أول من خرج على إمام المسلمين.

المطلب الثاني: أول من قال بالإرجاء.

المطلب الثالث: أول من عُرف بالتشبيه.

المطلب الرابع: أول من قال بالرفض.

المطلب الخامس: أول من قال بالتعطيل.

المطلب السادس: أول من رمى أهل السنة بالحشوية.

الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

الفهارس العلمية:أوردت فيها الفهارس التي تخدم القارئ، وهي:

- **فهرس الآيات القرآنية.**
- **فهرس الأحاديث النبوية.**
- **فهرس الآثار.**
- **فهرس الأعلام.**
- **فهرس الفرق والمذاهب.**
- **فهرس الأماكن والبلدان.**
- **فهرس المصادر والمراجع.**
- **فهرس الموضوعات.**

منهج البحث: وقد اتبعت في إعداد هذا البحث المنهج الآتي:

١. جمعت المادة العلمية المتعلقة ببحثي من المصادر الأصلية من كتب أهل العلم ودراستها دراسة عقدية.

٢. إذا ورد اختلاف في مسألة أيهما أول، فإني أذكر الأقوال ثم أذكر الترجيح ما أمكن؛ مفيداً في ذلك من كلام أهل العلم.

٣. عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها في القرآن الكريم، بذكر السورة ورقم الآية، مع الالتزام بكتابتها وفق الرسم العثماني.

٤. خرَّجت الأحاديث النبوية من مصادرها، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما فإني أكتفي بتخريجه منهما، وإن لم يكن فيهما خرَّجته من كتب الأحاديث المعتمدة مع ذكر حكم أهل العلم عليه ما أمكن ذلك.

٥. عزوت الآثار إلى مصادرها من كتب السنة المسندة.

٦. وثقت النصوص المنقولة مع نسبتها إلى قائليها، مع ذكر المصدر.

٧. ترجمت للأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة.

٨. عرِّفت بما يحتاج إلى تعريف من الفرق والديانات، وذلك بإيجاز.

٩. عرِّفت بما يحتاج إلى تعريف من الأماكن، بمسماها الحديث ما أمكن، وذلك بإيجاز.

١٠. أعرِّف بالكلمات الغريبة والمصطلحات العلمية.

١١. ذيَّلتُ البحث بفهارس علمية، وكما هو مدوَّن في الخطة.

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به إنه سميع عليم، وصلى الله وسلم على من شرَّفه بالعبودية واصطفاه على خلقه وختم به أنبيائه المبعوث رحمة للعالمين، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

شكر وتقدير:

الحمد لله وحده، والشكر له على فضله، فنعمه لا تعد ولا تحصى، ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١]، فيا ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[٢].

ثم بعد شكر الله تعالى، يطيب لي، بل يتعين علي أن أعترف بالفضل لأهله، فأتقدم بعاطر الثناء، وجزيل الشكر، وعظيم التقدير، لشيخي الفاضل، سعادة الدكتور/ عارف بن مزيد السحيمي، الذي تفضل مشكوراً باقتراح عنوان الرسالة، ثم بقبوله الإشراف على الرسالة، ثم بتوجيهاته السديدة لي أثناء كتابة الرسالة، ثم بمتابعته المستمرة، وسؤاله الدائم، وتزويدي بما احتاج إليه من كتب ومراجع، فجزاه الله خيراً.

وأعطف على ذلك، بالشكر والتقدير لأساتذتي ومشايخي في السنة المنهجية، الذين أفدت من علمهم، وسمتهم، ودلهم، فجزاهم الله عني كل خير.

وكذلك كل من قدم لي العون بكتاب أو كلمة أو ملحوظة أو رأي، حتى توّج ذلك بإتمام هذه الرسالة.

ولا أنسى أن أشكر القائمين على الجامعة الإسلامية، بأن أتاحوا لي فرصة مواصلة دراستي العليا في هذا الصرح الشامخ.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة النحل، آية:١٨.

(٢) سورة القصص، آية:٢٤.

التمهيد:

لا شك أن علم العقيدة هو أشرف العلوم على الإطلاق، لأن شرف العلم متعلقٌ بشرف المعلومِ، وعلم العقيدةِ يبحثُ في توحيدِ الله ﷻ وأسمائهِ وصفاتهِ، فهو أولُ واجبٍ على المكلَّفِ، ودليلُ ذلكَ عندما بعثَ النبيُّ ﷺ معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن، قال له:«**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا، فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس**»(١).

فتوحيد رب العالمين بالنطق بالشهادتين، هو أول الواجبات وأساس الإسلام كما بيَّنَهُ هذا الحديث العظيم، وهو أمرٌ ظل فيه أهل النظر عن الحق، وهذه مسألة تبرز أهمية هذا البحث، وأهمية معرفة الأوائل في مسائل الاعتقاد عموماً، وإبرازها في بحث مستقل.

كما أن معرفة الأسباب التي أدت إلى وقوع أول شرك والذي كان على عهد نوح ، وهو تصاوير الصالحين، يجعل المرء المسلم بصيراً بها لكي يجتنبها، فلا يجتنب التصاوير لمجرد الحكم عليها من أهل العلم، بل يتولد لديه يقين بذلك.

ومن ثم يُعْلم أن الأصل هو التوحيد وأن الشرك حادث؛ لا كما يروجه أهل الأهواء، وعلى ذلك قس ما كان في الأمم السابقة، كمن أول من بدّل دين المسيح ، وأول من قال بالتثليث، وكذلك ما كان في هذه الأمة من وقوع أول شرك، وهكذا.

كذلك معرفة أول البدع ظهوراً، ومن أول من قال بها، وما تلاها من بدع، وبيان أنها نشأت في أزمان متأخرة عن زمن النبوة، وأنها لم تكن في صدر الإسلام، يزيد المرء يقيناً بفساد اعتقاداتهم المختلفة، وإن شبَّهوا على المسلمين باستدلالاتهم من الكتاب والسنة زوراً وبهتاناً، يجعل المسلم يعضُّ بالنواجذ على منهج السلف الصالح.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ماجاء في دعاء النبي ﷺ أمته،٩/١١٤، برقم ٧٣٧١.

واليوم نجد هنالك أبواق للغرب تنعق بمناهج جديدة غير معروفة في الإسلام كالديموقراطية وغيرها من مناهج الكفر، ومعرفة سلفه في ذلك يكشف زيفه وتمسحه بالإسلام وأهله، كمعرفة من أول من قام بالمظاهرات على الأئمة، كعبد الله بن سبأ اليهودي، وأنه ما دخل في الإسلام إلا ليهدمه، يجعل شباب المسلمين الذين يقومون بالمظاهرات، ويظنون أنها هي الطريقة السليمة للإصلاح، يكفون عن ذلك، لا لمجرد اتباع فتاوى العلماء، بل لمعرفتهم أنها سبيل من سبل أعداء الإسلام، وأنهم إنما يسيرون على طريقة ابن سبأ، عامله الله بعدله.

كذلك فإن الاشتغال بعلم العقيدة جمعاً ودراسةً وتصنيفاً، وخاصةً علم الأوائل في العقيدة، من الأمور التي تزيد من خشية المؤمن لربه ﷿، ومحبته ﷻ، فكلما أزددت معرفة بالله إزددت خشية له ﷻ، كمعرفتك لأول مايحاسب عليه العبد، وأول من تسعر بهم جهنم -أعاذني الله وإياك من ذلك- وأول ما يقضى فيه يوم القيامة، وأول أشراط الساعة الكبرى، ونحو ذلك، بل إن معرفة مثل هذه المسائل يبعث في نفس المرء اجتناب الوقوع فيها، فيعمل جاهداً في مرضاة ربه، فيزداد إيمانه.

وعلم الأوائل هو علم يعرف من خلاله أوائل الأحداث والأعمال، وتكمن أهميته في باب العقيدة بأننا نعرف من خلاله بعضاً من المسائل المهمة المتعلقة بالأولية، خاصة وجود بعض الأدلة التي تنص على الأولية، وارتباطها بثواب أو عقاب، أو حتى استدلال المبتدعة بأحاديث موضوعة في الأولية، لتقرير اعتقاداتهم الفاسدة، وسنجد بعضاً من ذلك بين ثنايا البحث.

وهذا العلم قد سبق إلى التأليف فيه علماء كثيرون كما يتبين ذلك من الدراسات السابقة في هذه الخطة، ولكني أردت أن أخص علم العقيدة بجمع الأوائل فيها وهي كثير، لذا فقد عمدت إلى كتب السنة المسندة، وكتب العقيدة واستعرضت ما فيها من المسائل التي تتعلق بالأوائل؛ فجمعتها، وذكرت اختلاف العلماء في الأولية إن وجد، وذكرت جملة من المسائل المستفادة من كل مطلب حسب ما تيسر، وكان موضوعي هذا تحت عنوان «**الأوائل في مسائل الاعتقاد جمعاً ودراسة**».

ولما سبق وغيره، فإن جمع المسائل المتعلقة بالأوائل في مباحث الاعتقاد، من طرق تحصيل العلم، التي تجعل الباحث في نعيم بين دفتي الكتب، ينهل من معين السلف الصافي، ويتقلب بين آثارهم وأقوالهم، فهو في خير وعلى خير.

والتمسك بغرز السلف الصالح والتزام نهجهم، واقتفاء أثرهم، وسلوك سبيلهم؛ لهو الفوز العظيم، وهو الصراط المستقيم الموصل إلى رضوان الله والجنة، وهو الأصل والخير الذي كان وما زال عليه أهل السنة.

نسأل الله تعالى أن يحيينا على السنة، وأن يميتنا عليها، إنه كريم جواد.

الفصل الأول:

المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في التوحيد

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في توحيد الربوبية.

المبحث الثاني:المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في توحيد الألوهية.

المبحث الثالث:المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في توحيد الربوبية.

قبل الشروع في الحديث عن توحيد الربوبية وأهميته يحسن بنا معرفة المعنى اللغوي والشرعي لتوحيد الربوبية.

فأصل كلمة الربوبية في اللغة مشتقة من الرب، والرب هو الله ﷻ، ولا يقال الرب بالألف واللام، لغير الله، وكل من ملك شيئاً فهو ربه، والعرب تقول: لأن يربني فلان أحب إلي من أن يربني فلان، يعني: أن يكون ربا فوقي وسيدا يملكني[١].

وحده في الشرع هو: «هو إفراد الله ﷻ بالخلق، والملك، والتدبير»[٢]، وجميع التعريفات الشرعية لتوحيد الربوبية تدور حول هذا التعريف المختار.

قال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: «فإفراده بالخلق: أن يعتقد الإنسان أنه لا خالق إلا الله، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[٣]، فهذه الجملة تفيد الحصر لتقديم الخبر، إذ إن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٤]، فهذه الآية تفيد اختصاص الخلق بالله لأن الاستفهام فيها مشرب معنى التحدي، أما ما ورد من إثبات خالق غير الله؛ كقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[٥]، وكقوله ﷺ في المصورين يقال لهم: «**أحيوا ما خلقتم**»[٦]، فهذا ليس خلقا حقيقةً، وليس إيجاداً بعد عدم، بل هو تحويل للشيء من حال إلى حال، وأيضا ليس شاملاً، بل محصور بما يتمكن الإنسان منه، ومحصور بدائرة ضيقة؛ فلا ينافي قولنا: إفراد الله بالخلق.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٥/١٢٨، الصحاح للجوهري ١/١٣٠، مادة (رب).

(٢) القول المفيد لابن عثيمين ١/٩.

(٣) سورة الأعراف، آية:٥.

(٤) سورة فاطر، آية:٣.

(٥) سورة المؤمنون، آية:١٤.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين، ٧/١٦٧، برقم ٥٩٥١.

وأما إفراد الله بالملك: فأن نعتقد أنه لا يملك الخلق إلا خالقهم، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٢)، وأما ما ورد من إثبات الملكية لغير الله؛ كقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾(٤)؛ فهو ملك محدود لا يشمل إلا شيئاً يسيراً من هذه المخلوقات؛ فالإنسان يملك ما تحت يده، ولا يملك ما تحت يد غيره، وكذا هو ملك قاصر من حيث الوصف؛ فالإنسان لا يملك ما عنده تمام الملك، ولهذا لا يتصرف فيه إلا على حسب ما أذن له فيه شرعا، فمثلا: لو أراد أن يحرق ماله، أو يعذب حيوانه؟ قلنا: لا يجوز، أما الله ﷻ فهو يملك ذلك كله ملكاً عاماً شاملاً.

وأما إفراد الله بالتدبير: فهو أن يعتقد الإنسان أنه لا مدبر إلا الله وحده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾(٥)، وأما تدبير الإنسان؛ فمحصور بما تحت يده، ومحصور بما أذن له فيه شرعا»(٦).

والإيمان بأن الله ﷻ واحد في أفعاله؛ متفرد بها لا شريك له ولا ند ولانظير، هو أحد أصول الإيمان الثابته التي جاء تقريرها في كتاب الله، فقال تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ

---

(١) سورة آل عمران، آية:١٨٩.

(٢) سورة المؤمنون، آية:٨٨.

(٣) سورة المؤمنون، آية:٦.

(٤) سورة النور، آية:٦١.

(٥) سورة يونس، آية:٣١،٣٠.

(٦) القول المفيد لابن عثيمين ١/٩-١١.

ﱡﭐ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﱠ[١].

وتوحيد الربوبية أحد أقسام التوحيد الثلاثة التي لم ينكره مشركو قريش ولا غيرهم من الكفار، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ ﴾[٣]، والآيات في ذلك كثيرة.

وقد أخرج ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]، بسنده عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾[٥]، قال: من إيمانهم، إذا قيل لهم: مَن خلق السماء؟ ومن خلق الأرض؟ ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله، وهم مشركون[٦].

ولم يُعرف أحدٌ نازع في هذا الأمر إلا ماكان على وجه التكبر والتجبر كملك بابل[٧]، الذي حاج إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ربه فبُهت، وفرعون الذي كان يعلم في قرارة نفسه أن الرب هو الله، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورًا ﴾[٨].

---

(١) سورة الأعراف، آية:٥٤.

(٢) سورة الزمر، آية:٣٨.

(٣) سورة الزخرف، آية:٨٧.

(٤) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، ولد سنة ٢٢٤هـ، إمام المفسرين، وكان من الأئمة المجتهدين، توفي عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة ٣١٠هـ، ودفن ببغداد، ينظر: وفيات الأعيان ١٩١/٤، سير أعلام النبلاء ٢٦٧/١٤.

(٥) سورة يوسف، آية:١٠٦.

(٦) جامع البيان للطبري ٣٧٢/١٣.

(٧) ملك بابل، هو النمرود بن كنعان الذي كان في زمن الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وذكروا أنه استمر في ملكه ٤٠٠سنة، وكان قد طغا وبغا وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا، وادعى الربوبية لنفسه فحاجة ابراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فبهت ولم تبق له حجه، ينظر: البداية والنهاية ٣٤٣/١.

(٨) سورة الإسراء، آية:١٠٢.

وإما على وجه التشريك كالثنوية[١]، والمجوس[٢]، الذين جعلوا النور والظلمة إلهين ولم يسووا بينهم[٣].

والإقرار بتوحيد الربوبية فقط لا يغني عنهم من الله شيئاً، بل ولا يدخلهم حظيرة الإسلام، وذلك لأن الرسل عليهم السلام لم يُبعثوا لتقرير هذا التوحيد فحسب، وذلك لأنه مستقر في الفطرة البشرية بأن الرب هو الله وحده لا شريك له تعالى وتقدس، المتفرد بالخلق والملك والتدبير وغير ذلك من أفعال الرب تبارك وتعالى، وإلا لما ناجز النبي صلى الله عليه وآله وسلم قومه وهم مقرون به.

وأما المسائل العقدية المتعلقة بالأوائل في توحيد الربوبية فقد جعلتها في خمسة مطالب وهي:

المطلب الأول: أول ما خلق الله.

المطلب الثاني: أول ما خلق الله من الملائكة.

المطلب الثالث: أول ما خلق الله من الإنسان.

المطلب الرابع: أول جبل وضع في الأرض.

المطلب الخامس: أول من ادعى الربوبية.

---

(١) الثنوية: هم الذين يزعمون أن لهذا الكون صانعان أزليان قديمان هما النور والظلمة، فالنور فاعل للخيرات، والظلام فاعل للشر، ينظر: الملل والنحل ٤٩/٢، الفرق بين الفرق ٢٦٩/١.

(٢) المجوس: هم الذين يزعمون أن لهذا الكون صانعان، أحدهما أزلي قديم وهو النور، والآخر محدث وهو الظلام، ينظر: الملل والنحل ٤٩/٢، الفرق بين الفرق ٢٦٩/١.

(٣) ينظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ٢٥/١-٢٨.

المطلب الأول: أول ما خلق الله.

إن مما استقرت عليه الفطرة البشرية السليمة أن الله ﷻ هو الخالق لكل شيء المتفرد بذلك سبحانه وتعالى؛ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[1]، والحديث عن أول ما خلق الله هو من علم الغيب الذي أخبر عنه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في عدد من الأحاديث، فكان الاختلاف من أهل السنة والجماعة في فهم النصوص؛ فالبعض أخذ بظاهر النصوص والبعض الآخر جمع بينها.

والإختلاف الذي حصل بين السلف في الأولية المتعلقة بالخلق؛ يرجع إلى ثلاثة أقوال وهي:

القول الأول: أول ما خلق الله العرش.

وبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية[2]، وتلميذه ابن القيم[3]، وابن حجر[4] -رحمهم الله جميعاً-، ومن المعاصرين الشيخ محمد العثيمين رحمه الله[5] والشيخ صالح الفوزان حفظه الله[6]، وهو قول الجمهور.

واستدلوا بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة – قال – وعرشه على الماء»**[7].

---

(١) سورة الزخرف، آية:٨٧.

(٢) ينظر: الصفدية لابن تيمية ٢/٧٩.

(٣) ينظر: الكافية الشافية لابن القيم ص:٦٥.

(٤) ينظر: فتح الباري لابن حجر ٦/٢٨٩.

(٥) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٩/١٠١٩.

(٦) ينظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للفوزان ٢/٢٥٧.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ٤/٢٠٤٤، برقم٢٦٥٣

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد تنازع السلف هل خلق العرش أولا أو القلم على قولين حكاهما الحافظ أبو نعيم العلاء الهمداني[١]وغيره أصحهما أن العرش أولاً، ومن قال إن القلم خلق أولاً، احتج بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه وغيره عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**أول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال ما أكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**»[٢]، وإنما قولنا الصحيح أن العرش خلق أولا لأن ذلك ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه «**أنه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**»[٣]، فهذا يدل على أنه قدر إذ كان عرشه على الماء فكان العرش موجودا مخلوقا عند التقدير لم يوجد بعده، وكذلك قوله في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: «**كان الله ولا شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء**»[٤]، وفي رواية: «**ثم كتب في الذكر كل شيء**»، فهو أيضا دليل على أن الكتابة في الذكر كانت والعرش على الماء، وأما الحديث الذي فيه أول ما خلق الله القلم وأنه أمره أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فذلك بيان لخلق العالم الذي خلقه في ستة أيام وأن تقدير هذا العالم كان قبل خلقه وأنه أول ما خلق من أسباب هذا العالم القلم لأن تقدير المخلوق سابق لخلق المخلوق»[٥].

---

(١) الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد الهمذاني العطار، أبو العلاء، شيخ همذان، مولده في ذي الحجة سنة ٤٨٨هـ، كان شيخاً مهيباً، كانت السنة شعاره ودثاره اعتقادا وفعلا، توفي في جمادى الأولى، سنة ٥٦٩هـ، وله نيف وثمانون سنة، ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٠/٢١، تذكرة الحفاظ ٨٠/٤.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في القدر، ٢٢٥/٤، برقم ٤٧٠٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ٤٠٥/١، بلفظ: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد**».

(٣) سبق تخريجه ص:٢١، وجاء بلفظ (كتب) ولم يأت بلفظ (قدر).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، ١٢٤/٩، برقم ٧٤١٨، ولفظه:«**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء**».

(٥) الصفدية لابن تيمية ٧٩/٢-٨٢.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما العرش فلم يكن داخلاً فيما خلقه في الأيام الستة، ولا فيما يشقه ويفطره، بل الأحاديث المشهورة دلت على ما دل عليه القرآن من بقاء العرش، وقد ثبت في الصحيح أن جنة عدن، سقفها عرش الرحمن، قال صلى الله عليه وسلم: «**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة وسقفها عرش الرحمن**»[1]»[2].

وكأنه يشير رَحِمَهُ اللَّهُ إلى قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[3]، وهي آية صريحة في معنى حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما الذي رواه الإمام مسلم، والذي استدل به شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ على قوله بأولية خلق العرش وتقدمه على خلق القلم.

وعلى ذلك وافقه تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «ولا يناقض هذا حديث «**أول ما خلق الله القلم**» لوجهين:

أحدهما: أن الأولية راجعة إلى كتابته لا إلى خلقه، فإن الحديث: «**أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**»[4]،

والثاني: أن المراد أول ما خلقه الله من هذا العالم بعد خلق العرش، فإن العرش مخلوق قبله في أصح قولي السلف حكاهما الحافظ عبد القادر الرهاوي رَحِمَهُ اللَّهُ[5]، ويدل على سبق خلق العرش قوله في الحديث الثابت: «**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، ٤/١٦، برقم ٢٧٩٠، بلفظ «... فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة – أراه – فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة».

(٢) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ١/٤٦٥.

(٣) سورة هود، آية:٧.

(٤) سبق تخريجه ص:٢٢.

(٥) عبد القادر بن عبد الله بن عبد الله الرهاوي، الحنبلي، السفار، أبو محمد، ولد: بالرها، في سنة ٥٣٦هـ، ثقة، مأمونا، صالحا، إلا أنه كان عسرا في الرواية، لا يكثر عنه إلا من أقام عنده، وتوفي بحران، في ثاني شهر جمادى الأولى، سنة ٦١٢هـ، وله ٧٦ سنة، ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٢/٧١.

والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء»[١]، وقد أخبر أنه حين خلق القلم قدر به المقادير»[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته[٣]:

واذكر حديث السبق للتقدير والتـ	ـوقيت قبل جميع ذي الأعيان
خمسين ألفاً من سنين عدها الـ	ـمختار سابقة لذي الأكوان
هذا وعرش الرب فوق الماء من	قبل السنين بمدة وزمان
والناس مختلفـون في القلم الذي	كتب القضاء به من الديان قولان
هل كان قبل العرش أم هو بعده	عند أبي العلا الهمدانِ
والحق أن العرش كـان قبلُ لأنه	قبل الكتابـة كان ذا أركان

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: يشير الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى حديث كتابة مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وهو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»[٤]، فقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[٥]، يدل على أن العرش هو أول المخلوقات، وأنه سابق للقلم، وبعض العلماء يرى العكس؛ أن القلم قبل العرش، لحديث: «**إن أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب**...»[٦]، والصحيح أن العرش قبل القلم، وأما الأولية للقلم فهي بالنسبة للكتابة، أي: أنه من حين خلقه الله قال له: اكتب، فالكتابة مقارنة لخلق القلم، هذا معنى الحديث، وليس معناه: أنه قبل العرش[٧].

---

(١) سبق تخريجه ص:٢١، وجاء بلفظ (كتب) بدلا من (قدر).

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ٢/٢٥٣.

(٣) الكافية الشافية لابن القيم ص:٦٥.

(٤) سبق تخريجه ص:٢١.

(٥) سورة هود، آية:٧ .

(٦) سبق تخريجه، ص٢٠.

(٧) التعليق المختصر على القصيدة النونية للشيخ صالح الفوزان ١/٢٦٤، باختصار يسير.

ووافقهما على ذلك الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فجمع بين النصوص الواردة فقال: «بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش أو بالنسبة إلى ما منه صدر من الكتابة أي أنه قيل له اكتب أول ما خلق»[١].

ويؤيد هذا القول ما رواه الإمام الطبراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢] فقال، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا :«**إن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق العرش فاستوى عليه،ثم خلق القلم فأمره ليجري بإذنه**»[٣].

ويؤيد هذا القول كذلك الحديث الذي رواه عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٤]، قال: إني عند النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**» قالوا بشرتنا فأعطنا فدخل ناس من أهل اليمن فقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم**» قالوا:«**قبلنا جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان**» قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء**» ثم أتاني رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطلبها فإذا السراب ينقطع دونها وايم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم[٥].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٦/٢٨٩.

(٢) سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، الشامي، الطبراني، أبو القاسم، صاحب المعاجم الثلاثة، ولد بمدينة عكا، في شهر صفر، سنة ٢٦٠هـ، عاش ١٠٠سنة و١٠ أشهر، وتوفي لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ٣٦٠ بأصبهان، ينظر: سير أعلام النبلاء ١٦/١١٩.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ١٠/٢٤٧، قال ابن الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٩٠: وفيه الضحاك، ضعفه جماعة ووثقه ابن حبان، وقال: لم يسمع من ابن عباس، وبقية رجاله وثقوا.

(٤) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن حذيفة بن عمرو الخزاعي، ويكنى أبا نجيد، أسلم عام خيبر، كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، وكان قد اعتزل الفتنة فلم يقاتل فيها، مات سنة ٥٢هـ، وقيل سنة ٥٣هـ، ينظر: الاستيعاب ٣/١٢٠٨، أسد الغابة ٣/٧٧٨، الإصابة ٤/٥٨٤.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾، ٩/١٣٤، برقم ٧٤١٨.

القول الثاني: أول ما خلق الله القلم.

وبه قال الإمام ابن جرير الطبري[١]، وابن الجوزي[٢]، ومن المعاصرين الشيخ محمد ناصر الدين الألباني[٣]، وقال به غيرهم، رحم الله الجميع.

ومما استدلوا به حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه[٤]: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد**»[٥]، وأيضاً حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول : «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له : اكتب قال : رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»، يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :«**من مات على غير هذا فليس مني**»[٦].

قال شارح الطحاوية رحمه الله: «ولا يخلو قوله: أول ما خلق الله القلم، إلخ، إما أن يكون جملة أو جملتين، فإن كان جملة، وهو الصحيح، كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: اكتب، كما في اللفظ: «**أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب**» بنصب «أول» و «القلم»، وإن كان جملتين، وهو مروي برفع «أول» و «القلم»، فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، فيتفق الحديثان، إذ حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما صريح في

---

(١) ينظر: تاريخ الرسل والملوك للطبري ١/٣٥.

(٢) حكاه عنه ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ١/١٢.

(٣) ينظر: موسوعة الألباني في العقيدة ٧/٨٨٩.

(٤) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، شهد بدراً والمشاهد كلها، وشهد فتح مصر، وكان أحد النقباء بالعقبة، مات بالرملة سنة ٣٤هـ، ينظر: الاستيعاب ٢/٨٠٧ ، أسد الغابة ٣/٥٦، الإصابة ٣/٥٠٥.

(٥) سبق تخريجه ص:٢٢

(٦) سبق تخريجه ص:٢٢

أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم، وفي اللفظ الآخر: لما خلق الله القلم قال له: اكتب»(١).

قال الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما على رواية النصب؛ فيكون المعنى: أن الله أمر القلم أن يكتب عند أول خلقه له؛ يعني: خلقه ثم أمره أن يكتب، وعلى هذا المعنى لا إشكال فيه، لكن على المعنى الأول الذي هو الرفع: هل المراد أن أول المخلوقات كلها هو القلم؟ الجواب: لا؛ لأننا لو قلنا: إن القلم أول المخلوقات، وإنه أمر بالكتابة عندما خلق، لكنا نعلم ابتداء خلق الله للأشياء، وأن أول بدء خلق الله كان قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، ونحن نعلم أن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق أشياء قبل هذه المدة بأزمنة لا يعلمها إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يزل ولا يزال خالقاً، وعلى هذا؛ فيكون: إن أول ما خلق الله القلم يحتاج إلى تأويل ليطابق ما علم بالضرورة من أن الله تعالى له مخلوقات قبل هذا الزمن، قال أهل العلم: وتأويله: إن المعنى: أن أول ما خلق الله القلم بالنسبة لما نشاهده فقط من المخلوقات؛ كالسماوات والأرض ... فهي أولية نسبية»(٢).

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكره للاختلاف في هذه المسألة: «وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي روّيناه عنه أولى قول في ذلك بالصواب، لأنه كان أعلم قائل في ذلك قولاً بحقيقته وصحته، وقد روّينا عنه أنه قال: «**أول شيء خلقه الله** عَزَّ وَجَلَّ **القلم**» من غير استثناء منه شيئا من الأشياء أنه تقدم خلق الله إياه خلق القلم، بل عم بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن أول شيء خلقه الله القلم**» كل شيء، وأن القلم مخلوق قبله من غير استثنائه من ذلك عرشاً ولا ماءً ولا شيئاً غير ذلك»(٣).

وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على هذا الحديث: «وفيه رد على من يقول بأن العرش هو أول مخلوق، و لا نص في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و إنما يقول به من قاله كابن تيمية و غيره — استنباطا واجتهادا فالأخذ بهذا الحديث – و في معناه أحاديث أخرى

---

(١) شرح الطحاوية لابن ابي العز ٢/٣٤٥.

(٢) القول المفيد لابن عثيمين ٢/٤٢٠.

(٣) تاريخ الرسل والملوك للطبري ١/٣٥.

- أولى لأنه نص في المسألة، و لا اجتهاد في مورد النص كما هو معلوم، وتأويله بأن القلم مخلوق بعد العرش باطل، لأنه يصح مثل هذا التأويل لو كان هناك نص قاطع على أن العرش أول المخلوقات كلها و منها القلم، أما ومثل هذا النص مفقود، فلا يجوز هذا التأويل»[١].

والله تعالى أعلى وأعلم.

القول الثالث: أول ما خلق الله الماء.

وبه قال العيني[٢]، وابن حجر[٣]، رحمهما الله، وهو مروي عن ابن مسعود رضي الله عنه وطائفة من السلف.

ومما استدلوا به حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**أنه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**»[٤]، وحديث أبي رزين[٥]، قال: «**قلت: يا رسول الله،**

---

(١) موسوعة الألباني في العقيدة ٨٨٩/٧.

(٢) ينظر: عمدة القاري للعيني ١٠٩/١٥.

هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد وأبو الثناء بن الشهاب، الحنفي ويعرف بالعيني، مات سنة ٨٥٥هـ، ودفن بالقاهرة، ينظر ترجمته: الضوء اللامع ١٣١/١٠، البدر الطالع ٢٩٥/٢.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٩/١.

هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهاب، أبو الفضل الكنانى العسقلانى؛ المعروف بابن حجر، ولد في سنة ٧٧٣هـ، بمصر، مات في أواخر ذى الحجة سنة ٨٥٢هـ، ينظر: الضوء اللامع ٣٦/٢، البدر الطالع ٨٧/١.

(٤) سبق تخريجه ص:٢١.

(٥) لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر العامري، أبو رزين العقيلي، وافد بني المنتفق، اختلف فيه هو ولقيط بن صبرة، فقيل أنهما واحد، وقيل أن لقيط بن عامر غير لقيط بن صبرة، ورجحه ابن حجر رحمه الله في الاصابة، ينظر: الاستيعاب ١٣٤٠/٣، أسد الغابة ٢٢٣/٤، الإصابة ٥٠٨/٥.

أين كان ربنا ﷻ قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماء[١]**، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء»**[٢].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: إن الله تبارك وتعالى خلق الماء قبل العرش، لصحة الخبر الذي ذكرت قبل عن أبي رزين العقيلي، فاخبر ﷺ أن الله خلق عرشه على الماء ومحال إذ كان خلقه على الماء أن يكون خلقه عليه، والذي خلقه عليه غير موجود، إما قبله أو معه، فإذا كان ذلك كذلك، فالعرش لا يخلو من أحد أمرين، إما أن يكون خلق بعد خلق الله الماء، وإما أن يكون خلق هو والماء معا فأما أن يكون خلقه قبل خلق الماء، فذلك غير جائز صحته على ما روى عن ابى رزين، عن النبي ﷺ»[٣].

قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي قوله: وكان عرشه على الماء، دلالة على أن الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم لكونهم خلقا قبل خلق السموات والأرض ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء، فإن قلت: إذا كان العرش والماء مخلوقين أولا فأيهما سابق في الخلق؟ قلت: الماء لما روى أحمد[٤]، والترمذي[٥]، مصححاً من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعا: إن الماء خلق

---

(١) العماء: السحاب الأبيض، ينظر: غريب الحديث للقاسم بن سلام ٨/٢ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١٠٨/٢٦، وصححه الطبري في تاريخه ٤٠/١، وحسنه الترمذي في سننه ٢٨٨/٥، والذهبي في العلو ١٨/١، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي ٣٨٢/١ .

(٣) ينظر: تاريخ الرسل والملوك للطبري ٤٠/١، باختصار يسير.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١٠٨/٢٦، والحديث جاء بلفظ مغاير عما ذكره العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ففي المسند: عن وكيع بن عدس، عن عمه أبي رزين، قال: «قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا ﷻ قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماء ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء».

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة هود ٢٨٨/٥، برقم ٣١٠٩، والحديث جاء بلفظ مغاير عما ذكره العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ففي المسند: عن وكيع بن حدس، عن عمه أبي رزين، قال: «قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء، وخلق عرشه على الماء».

قبل العرش، وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعددة: أن الله تعالى لم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء»[1].

ثم أجاب رَحِمَهُ اللَّهُ على من استدل بحديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :«**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد**»[2]، على أولية خلق القلم، بقوله: «التوفيق بين هذه الروايات بأن الأولية نسبي، وكل شيء قيل فيه إنه أول فهو بالنسبة إلى ما بعدها»[3].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويكون قوله «**وكان عرشه على الماء**» معناه: أنه خلق الماء سابقاً ثم خلق العرش على الماء»[4].

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول ما خلق الله :

١. إن مما استقرت عليه الفطرة البشرية أن الله سبحانه وتعالى متفرد بالخلق قال تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[5]؛ فالإختلاف الوارد هنا إنما هو في الأولية في الخلق، فالخلق من خصائص الربوبية الذي لم ينازع فيه أحدٌ إلا شرذمةٌ قليلون كما مر في التمهيد لهذا المبحث.

٢. في حديث عمران بن حصين الذي رواه البخاري، جواز السؤال عن أوائل الأمور؛ حيث قال أهل اليمن لرسول الله صلى الله عليه وسلم :«**قبلنا جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان**»، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وفي الحديث جواز السؤال عن مبدأ**

---

(١) عمدة القاري للعيني ١٥/١٠٩.

(٢) سبق تخريجه ص:٢٢.

(٣) عمدة القاري للعيني ١٥/١٠٩.

(٤) فتح الباري لابن حجر ٦/٢٨٩.

(٥) سورة العنكبوت، آية:٦١.

الأشياء والبحث عن ذلك»[١]، كما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر عن بدء الخلق في الحديث الذي رواه البخاري بإسناده عن عمر رضي الله عنه، حيث قال:«**قام فينا النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **مقاما فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه**»[٢].

٣. الإشارة إلى بطلان أحاديث عدة في أولية خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ منها، «**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**»[٣]، «**أنا أول الناس في الخلق**»[٤]، وعلى ذلك يتضح فساد قول المعتزلة[٥]، ومن نحا نحوهم من المتصوفة[٦]، وغيرهم الذين قالوا بأن أول مخلوق هو النور

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٢٩٠/٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ١٠٦/٤.

(٣) حديث باطل لا أصل له، ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ٨٢٠/١.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات، بلفظ: «**كنت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث**»، عن قتادة مرسلاً ١١٩/١، وجاء بلفظ:«**كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث**»، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/١٩، والسيوطي في الدر المنثور ٥٧٠/٦، وقال الألباني في حال الحديث:«حديث معروف، وهو من أحاديث الجامع الصغير، ومن معروفه أنه حديث ضعيف الإسناد لا تقوم الحجة به، ولا يجوز نسبته إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعدم ثبوته، هذا من حيث إسناده، وأما من حيث متنه، فلا يتصور أن يقول الرسول عليه السلام: إنه أول الأنبياء في الخلق، فأول الأنبياء كما نعلم آدم عليه الصلاة والسلام، وهو أبو البشر مطلقاً، فكيف يتصور أن يكون حفيده بعد مئات الأجيال محمد بن عبد الله قد خلق قبل جده الأول آدم عليه الصلاة والسلام؟!»، ينظر: دروس صوتيه مفرغة للشيخ الألباني، المكتبة الشاملة/ الدرس الرابع.

(٥) المعتزلة، فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسي، تقدم العقل على النقل، تأثرت بالفلسفات اليونانية، عرفوا بالمعتزلة بعد أن اعتزل واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري يقولون بالمنزلة بين المنزلتين، ينظر: الملل والنحل ٤٣/١، الموسوعة الميسرة ٦٤/١.

(٦) التصوف، حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي، في القرن الثالث الهجري، كنزعة فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، ثم تطورت حتى صارت طرق عدة مميزة معروفة باسم الصوفية، وجنحوا فتداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية، الهندية والفارسية واليونانية، ينظر: الموسوعة الميسرة ٢٤٩/١.

المحمدي أو الحقيقة المحمدية، كما قال بها ابن عربي[١]، ومن ذلك قوله: «أني أريد أن أخلق من أجلك –يامحمد– العالم الذي هو ملكك»[٢]، وقال أيضاً: «بدء الخلق: الهباء، وأول موجود فيه: الحقيقة المحمدية الرحمانية»[٣].

٤. في حديث عبادة بن الصامت: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له : اكتب**...» يؤخذ منه ترتيب مراتب القدر؛ الخلق ثم الكتابة، وذلك على قول من قال أن الرواية بالنصب.

٥. فيه إشارة إلى بطلان تأويل العرش بأنه عبارة عن الملك وسعة السلطان، قال شارح الطحاوية: «وأما من حرف كلام الله، وجعل العرش عبارة عن الملك، كيف يصنع بقوله تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[٥]، أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟! وكان ملكه على الماء! ويكون موسى عليه السلام آخذا من قوائم الملك؟! هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول؟!»[٦]

٦. فيه إشارة إلى فساد قول الفلاسفة الدهرية[٧] القائلين بقدم العالم، وأن مادة السماوات والأرض ليست مبتدعة، وذلك أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا في كتابة وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بابتداء الخلق الذي يعيده، وأخباره بأول المخلوقات[٨].

---

(١) محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، محيي الدين، أبو بكر، المعروف بابن العربي، قدوة أهل الوحدة، ولد في رمضان سنة ٥٦٠هـ، شيخ سوء وكذب، توفي سنة ٦٣٨هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٣/٤٨.

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي ١/٤٨.

(٣) المصدر نفسه ٢/٢٢٠.

(٤) سورة الحاقة، آية:١٧.

(٥) سورة هود، آية:٧.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية لابن ابي العز ص:٢٧٩.

(٧) الفلاسفة الدهرية، وهم أتباع أرسطو، والقائلون بقدم العالم، وإنكار الصانع، ويقولون بالمحسوس والمعقول، ولا يقول بحدود وأحكام، ينظر: الملل والنحل ٢/ ٦٢

(٨) ينظر: العرش للذهبي ٢/٣٠.

٧. فساد قول الفلاسفة وأمثالهم من أهل الكلام[١] وأهل التصوف من أن أول مخلوق هو العقل؛ واستدلالهم[٢] بحديث: «أول ما خلق الله العقل...»[٣].

٨. فساد قول المعطلة[٤] بأن السماوات خلقت قبل العرش في تأويل الاستواء بالخلق في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٥]، وقد رد عليهم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته[٦] فقال:

يا قومنا اعتبروا بجهل شيوخكم بحقائق الإيمان والقرآن
أو ما سمعتم قول أفضل وقته فيكم مقالة جاهل فتان
ان السموات العلى والأرض قبل العرش بالاجماع مخلوقان
والله ما هذي مقالة عالم فضلا عن الاجماع كل زمان
من قال ذا قد خالف الاجماع والخبر الصحيح وظاهر القرآن
فانظر الى ما جره تأويل لفظ الاستواء بظاهر البطلان
زعم المعطل أن تأويل استوى بالخلق والاقبال وضع لسان
كذب المعطل ليس ذا لغة الألى قد خوطبوا بالوحي والقرآن
فأحاره هذا الى أن قال خلق العرش بعد جميع ذي الأكوان
يهينه تكذيب الرسول له وإجماع الهداة ومحكم القرآن

---

(١) أهل الكلام، ليسوا صنفاً واحداً بل هم عدة أصناف، وهم: الجهمية والمعتزلة والكلابية والأشاعرة والماتريدية، ينظر: العرش للذهبي ٤٨/١.

(٢) وممن استدل به ابن عربي في الفتوحات المكية ٣٠١/٢.

(٣) حديث موضوع، أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ١٧٤/١، والعقيلي في الضعفاء الكبير ١٧٥/٣ بلفظ: «لما خلق الله العقل».

(٤) المعطلة، هم الذين نفوا صفات الخالق سبحانه وتعالى، أو شيئاً منها، كأهل الكلام عموماً، ومن نحى نحوهم، ينظر: العرش للذهبي ٤١/١.

(٥) سورة طه، آية:٥.

(٦) الكافية الشافية لابن القيم ٢٧٣/١.

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «قال قائل من شيوخهم وهم يعظمونه لأنه من أكابرهم: إن العرش مخلوق بعد خلق السماوات والأرض، وخالف بذلك الكتاب والسنة والإجماع، ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[١]، فرتب الإستواء على العرش على خلق السماوات والأرض بـ «ثم»، فزعم أن ذلك دليلاً على أن خلق العرش بعد خلق السماوات والأرض، ففسر الإستواء على العرش بالخلق، فهذا يخالف قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[٢]، فبين سبحانه أن عرشه سابق على خلق السماوات والأرض، ويخالف قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**»[٣]، ثم إن هذا القول – أن الإستواء معناه الخلق – ما قال به أحدٌ من أهل اللغة فضلاً عن أهل العلم؛ لأن الإستواء عندهم هو العلو والارتفاع، فمن قال بذلك يهينه هذا الجهل المركب حيث فسر الاستواء على العرش بالخلق، لأنه قد افتضح في هذه المقالة، والذي حمله على هذا نفي الصفات»[٤].

٩. فساد قول القائلين بتأويل الإستواء بالاستقرار، لإن الاستقرار من صفات الأجسام[٥]، وهذا اللفظ لم يرد في الكتاب والسنة، ولا عن السلف الصالح، فالله سبحانه وتعالى لا يوصف إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) سورة الأعراف، آية:٥٦.

(٢) سورة هود، آية:٧.

(٣) سبق تخريجه ص:٢١.

(٤) التعليق المختصر على القصيدة النونية للشيخ صالح الفوزان ٣/١٠٤٠ وما بعدها، بتصرف.

(٥) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/٤٤٥.

المطلب الثاني: أول ما خلق الله من الملائكة.

الإيمان بالملائكة هو أحد أركان الإيمان؛ الذي لايكتمل إيمان العبد إلا به، قال تعالى:﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[1]، وهم خلق عظيم من خلق الله لهم أعمال ووظائف كثيرة ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[2].

والملائكة خلقهم الله تعالى من نور، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :«**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»[3].

وأما أول ما خلق الله تعالى من الملائكة، فقد وردت فيها بعض الآثار، وقد جعلت ذلك على قولين، هما:

القول الأول: أول ما خلق الله من الملائكة أربعة أملاك، جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام .

وهذا القول أُثِرَ عن وهب بن منبه رحمه الله[4] فقال: «... قول الله عز وجل :﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴾[5]،فهؤلاء الأربعة الأملاك جبريل،

(١) سورة البقرة، آية:٢٨٥.

(٢) سورة التحريم، آية:٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة ٢٢٩٤/٤،برقم٢٩٩٦

(٤) وهب بن منبه بن كامل بن سيج، أبو عبد الله الأبناوي الذرماري الصنعاني اليماني، ولد سنة ٣٤هـ، تابعي ثقة، توفي سنة ١١٠هـ، ينظر: الطبقات الكبرى ٥٤٣/٥، سير أعلام النبلاء ٥٤٤/٤.

(٥) سورة السجدة، آية:١١.

وميكائيل، وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام أول من خلقهم الله عز وجل من الخلق، وآخر من يميتهم الله وأول من يحييهم وهم المدبرات أمرا والمقسمات أمرا»[1].

ولاشك أن هؤلاء الأملاك الأربعة من أفضل الملائكة، فقد جاء تخصيص بعضهم في آيات وأحاديث عدة تدل على فضلهم، فمن الكتاب العزيز، قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾[2].

ومن السنة النبوية، ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[3].

قال الطبري رحمه الله: «قوله عز وجل: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ خصهما بالذكر من جملة الملائكة مع دخولهما في قوله ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ تفضيلاً وتخصيصاً، كقوله تعالى ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾[4]، خص النخل والرمان بالذكر مع دخولهما في ذكر الفاكهة»[5].

فالملائكة ليسوا بدرجة واحدة من الفضل فهم متفاوتون في ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾[6]، وعن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي[1]، عن أبيه، وكان أبوه من

---

(١) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة ٣/٨٩٩، ولم أجد من خرّجه غيره وفي سنده ابن العلاء؛ قال ابن حجر عنه في تقريب التهذيب ١/٤٦٦: «منكر الحديث».

(٢) سورة البقرة، آية:٩٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين،باب الدعاء في صلاة الليل ١/٥٣٤،برقم٧٧٠

(٤) سورة الرحمن، آية:٦٨.

(٥) جامع البيان للطبري ١/١٢٥.

(٦) سورة الصافات، آية:١٦٤.

أهل بدر قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «**ما تعدون أهل بدر فيكم، قال: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة**»(٢).

قال العيني رحمه الله: «والملائكة أنواع لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، وساداتهم الأكابر أربعة: جبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل»(٣).

وما ذكره العيني رحمه الله من عدِّه عزرائيل من الملائكة، وأنه اسم لملك الموت فلم يصح فيه دليل.

قال المناوي: «عزرائيل عليه السلام على ما اشتهر قال ولم أقف على تسميته بذلك في الخبر»(٤).

وقال الشيخ العثيمين رحمه الله: «ملك الموت، وقد اشتهر أن اسمه عزرائيل، لكنه لم يصح، إنما ورد هذا في آثار إسرائيلية لا توجب أن نؤمن بهذا الاسم، فنسمي من وكل بالموت بـ (ملك الموت) كما سماه الله عز وجل في قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾(٥)»(٦).

أما أنهم أول الملائكة خلقاً فلم يرد إلا في هذا الأثر الذي في سنده مقال.

---

(١) معاذ بن رفاعة بن رافع بن مالك بن عجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاري الخزرجي الزرقي، ثقة، ينظر: تهذيب التهذيب ١٩٠/١٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، ٨٠/٥، برقم ٣٩٩٢.

(٣) عمدة القاري للعيني ١٢٩/١٥.

(٤) فيض القدير للمناوي ٢١/٣.

(٥) سورة السجدة، آية: ١١.

(٦) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ١٦١/٣.

القول الثاني: أول ما خلق الله من الملائكة حملة العرش.

وهذا القول أُثِرَ عن معاوية بن صالح رَحِمَهُ اللَّهُ[1]، عن بعض المشيخة قال: «**أول ما خلق الله عرشه على الماء وخلق الملائكة فقالوا ربنا لم خلقتنا قال لحمل عرشي** قالوا: ومن يقوى على ذلك، قال: فقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فيحملكم»[2].

وإلى هذا القول ذهب مقاتل[3]، فقال: «قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾[4] فيها إضمار، وهم أول من خلق الله تعالى من الملائكة»[5]

وأما عدد حملة العرش فكما ورد في كتاب الله ﷻ أنهم ثمانية، قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[6]، واختلف بالمراد بالثمانية، فقيل ثمانية صفوف، وقيل ثمانية أملاك على خلق الوعلة[7]، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ قوله: «**تدرون كم بين السماء والأرض؟**» فقلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: «**بينهما مسيرة خمسمائة سنة، وبين كل سماء إلى السماء التي تليها مسيرة خمس مائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمس مائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء**

---

(١) معاوية بن صالح بن حدير الحضرمي، أبو عمرو، وأبو عبد الرحمن، الحمصي، قاضي الأندلس، صدوق له أوهام، من السابعة، مات سنة ٥٨هـ، وقيل بعد ٧٠هـ، ينظر: تقريب التهذيب ٥٣٨/١.

(٢) ذكره الذهبي في العلو ١٢٧/١، وأشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٣٣/١٠، وابن القيم في الوابل الصيب ص:٧٧، واجتماع الجيوش الإسلامية ٢٢٨/٢، وذكر رشيد الألمعي، محقق كتاب النقض على بشر المريسي للإمام الدارمي ٤٦٠/١:، بأن الإسناد ضعيف؛ لأنه منقطع من كلام معاوية بن صالح.

(٣) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، أبو الحسن البلخي، نزيل مرو، ويقال له ابن دوال دوز،كذبوه وهجروه، ورمى بالتجسيم،من السابعة، مات سنة ١٥٠هـ، ينظر: تقريب التهذيب١/٥٤٥

(٤) سورة غافر، آية:٧.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان ١٤٣/٣.

(٦) سورة الحاقة، آية:١٧.

(٧) ينظر: جامع البيان للطبري ٥٨٣/٢٣.

والأرض، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهم وأظلافهم كما بين السماء والأرض والله فوق ذلك ليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء»[(١)].

والاتفاق على أن خلق الملائكة عموماً سابقٌ لخلق آدم والجن كما دلت عليه الآيات كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[(٢)]، والله تعالى أعلى وأعلم.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول ما خلق الله من الملائكة :

١. بطلان قول الملاحدة[(٣)] والفلاسفة[(٤)] وغيرهم ممن يقول بأنه لا وجود للملائكة وإنما الملائكة عبارة عن قوى النفس الصالحة، ولايخفى أن هذا القول كفر مخالف للكتاب والسنة، فالإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان المسلم إلا بالإيمان بهم على ماجاء في الكتاب والسنة[(٥)].

٢. بيان ضلال مشركي العرب القائلين بأن الملائكة إناثاً؛ بل وافتراءهم بأنهم بنات الله – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً– يقول المولى ﷻ رداً عليهم ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ٢/٤١٠، وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي في سننه ٥/٤٢٤: «هذا حديث حسن غريب»، وضعفه الالباني في ضعيف الجامع الصغير ١/٨٧٨.

(٢) سورة البقرة، آية:٣٠.

(٣) الإلحاد، مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، ينظر: الموسوعة الميسرة ٢/٨٠٣.

(٤) الفلسفة، باليونانية معناها: محبة الحكمة، والفيلسوف هو: فيلا وسوفا، وفيلا هو المحب، وسوفا: الحكمة، أي هو محب الحكمة، وأصل الفلسفة ومبدأها عند الروم، ولهم أقوال مختلفة في وحدانية الباري، ينظر: الملل والنحل ٢/١١٦.

(٥) ينظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/٣٤٦.

سُبْحَانَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴾[2]، وهذه من العقائد الفاسدة لدى العرب في الجاهلية.

(١) سورة الأنبياء، آية:٢٧،٢٦.

(٢) سورة الصافات، آية: ١٥٠.

المطلب الثالث: أول ما خلق الله من الإنسان.

الحديث عن أصل البشر ونشأتهم هو من علم الغيب، الذي أخبر الله سبحانه وتعالى عنه في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذا الأمر ضل فيه أقوام، فالحمد لله الذي هدانا للحق المبين، والدليل على ذلك من الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[1].

قال البغوي رحمه الله[2]: «والمراد بالخليفة هاهنا آدم سماه خليفة لأنه خلف الجن أي جاء بعدهم وقيل لأنه يخلفه غيره والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه»[3].

وقال مقاتل رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾[4]: «يعني آدم، وكان آدم عليه السلام أول ما خلق منه عجب الذنب وآخر ما خلق منه أظفاره، ثم ركب فيه سائر خلقه، يعني عجب الذنب، وفيه يركب يوم القيامة كما ركب في الدنيا»[5].

فأصل البشر هو آدم عليه السلام، الذي كرَّمه الله تعالى بأن خلقه بيده، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

---

(١) سورة البقرة، آية: ٣١،٣٠.

(٢) الحسين بن مسعود بن محمد البغوي أبو محمد، كان لا يلقي الدرس إلا على طهارة، توفي بمرو الروذ في شوال سنة ٥١٦هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩، طبقات الشافعية ٥٧/٧.

(٣) تفسير البغوي ٧٩/١.

(٤) سورة ص، آية: ٧١.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان ٦٥٣/٣.

﴿وَنِسَآءً﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[٢].

ومن السنة النبوية، ماجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «... **الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب**»[٣].

وفيه تقرير بأن أول ما خلق الله تعالى من الإنسان هو آدم عليه السلام، فخلقه الله تعالى من تراب ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين؛ كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «...**فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك**...»[٥]، وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك الله بيده»[٦].

---

(١) سورة النساء، آية:١.

(٢) سورة الحجر، آية:٢٩،٢٨.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ٧٣٤/٥، برقم ٣٩٥٥، وصححه الالباني في صحيح الجامع ٢/ ٨٣٨.

(٤) سورة السجدة، آية:٦-٩.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾، ١٣٤/٤، برقم ٣٣٤٠.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، ١٧/٦، برقم ٤٤٧٦.

ومن أقوال سلف الأمة التي تثبت أن أصل البشر هو آدم عليه السلام، ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنه، في قوله: « خلق الله عز وجل أربعة أشياء بيده: آدم عليه السلام ، والعرش ، والقلم ، وجنات عدن ، ثم قال لسائر الخلق: كن فكان»[١].

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول ما خلق الله من الإنسان:

١. بيان أن أصل الإنسان واحد؛ فكل البشر على اختلاف اجناسهم وألوانهم أصلهم هو آدم عليه السلام ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[٢]، ولذا لاينبغي أن يفخر أحدٌ على أحد، إذ الأصل واحد، ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[٣].

٢. بيان إثبات صفة اليد لله سبحانه وتعالى، كما يليق به سبحانه وتعالى.

٣. فيه إشارة إلى بطلان دعوى اليهود والنصارى بأنهم أبناء الله وأحباؤه؛ كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ ﴾[٤].

٤. فيه إشارة إلى بطلان دعوى اليهود بأن أرواحهم تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الإبن جزء من والده[٥] -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-.

٥. بيان بطلان نظرية الداروينية[١] -النشوء والارتقاء- والتي تعارض ما جاء في القرآن الكريم وجميع الأديان السماوية عن بدء خلق الإنسان، وكذلك بطلان جميع الاديان

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة ١١٨٢/٣، برقم ٧٥٦، والحاكم في مستدركه ٣٤٩/٢، برقم ٣٢٤٤، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٤٧٧/٣، برقم ٧٣٠، والبيهقي في الأسماء والصفات ١٢٦/٢، برقم ٦٩٣، وحسن إسناده الألباني في مختصر العلو ١٠٥/١.

(٢) سورة النساء، آية:١.

(٣) سورة الحجرات، آية:١٣.

(٤) سورة المائد، آية:١٨.

(٥) ينظر الكنز المرصود للزرقا ٤٦/١.

الوضعية كالهندوسية[٢] وغيرها، والتي تتحدث عن أصل الإنسان بطرق شتى، مخالفة لدين الله تعالى.

٦. فيه تقرير أن الأصل هو التوحيد، وأن الشرك حادث، وهذا لأن أصل البشر آدم عليه السلام، بل إن آدم عليه السلام هو أول من وحّد الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣]، ومعناه إلا ليوحدون[٤].

---

(١) الداروينية، هي نظرية النشوء والارتقاء، والتي تعتبر أصل الحياة خلية كانت في مستنقع آسن قبل ملايين السنين، وقد تطورت هذه الخلية ومرت بمراحل، منها القرد، انتهاءً بالإنسان، ينظر: الموسوعة الميسرة ٢/٩٢٥.

(٢) الهندوسية، ديانة وثنية، وهي مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر، تضم قيماً روحية وخلقية ومبادىء قانونية وتنظيمية، متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، فلكل منطقة إله، ولكل عمل أو ظاهرة إله، ينظر: الموسوعة الميسرة ٢/٧٢٤.

(٣) سورة الذاريات، آية:٥٦.

(٤) فتح الباري لابن حجر ٨/٦٠٠.

المطلب الرابع: أول جبل وضع في الأرض.

إن خلق الأرض وما فيها من جبال وأودية وأشجار لهو دليل عظيم على عظمة الخالق لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، قال تعالى:﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾[(١)]، وقد أثنى الله تعالى على عباده الذين يستدلون بآياته على وحدانيته فوصفهم بأنهم أولو الألباب، لأن هذا الأمر يثمر خشوعاً وخشيةً وخوفاً من المصير في اليوم الآخر، قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ** ﴾[(٢)]، وهذا الأمر قد غفل عنه أناس كثير فياحسرة على العباد.

فالله سبحانه وتعالى خلق الجبال وكل ما على الأرض، قال تعالى:﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا** ﴾[(٣)] ،كما أنه خالق كل شيء، قال تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ** ﴾[(٤)].

والجبال خلق عظيم من خلق الله فيه آيات وعبر ودلالات على عظمة الباري، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**لما خلق الله عز وجل الأرض، جعلت تميد، فخلق الجبال، فألقاها عليها فاستقرت، فتعجبت الملائكة من خلق الجبال، فقالت: يا رب، هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد**...»[(٥)].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩٠.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٩١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٩.

(٤) سورة الزمر، آية: ٦٢.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه،كتاب تفسير القرآن ٥/٤٥٤، برقم ٣٣٦٩، وأحمد في مسنده ١٩/٢٧٧، برقم ١٢٢٥٤، وفيه سليمان بن أبي سليمان، قال ابن معين لا أعرفه، ووثقه ابن حبان، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وقال العيني في عمدة القاري ٥/١٨٠: «بإسناد حسن مرفوعاً».

وأما أول جبل وضعه الله في الأرض، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال :«لما أراد الله أن يخلق الخلق أرسل الريح، فتسحبت الماء حتى أبدت عن حشفة وهي التي تحت الكعبة، ثم مد الأرض حتى بلغت ما شاء الله من الطول والعرض»، قال : وكانت هكذا تمتد وأراني ابن عباس بيده هكذا وهكذا، قال : «فجعل الله الجبال رواسي أوتادا»، فكان أبو قبيس من أول جبل وضع في الأرض»[1].

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ﴾[2].

قال عطاء رحمه الله[3]: «أوّل جبل وضع على الأرض ابو قبيس»[4].

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول جبل وضع في الأرض:

١. فساد قول الفلاسفة بأن الطبيعة التي تدبر كل شيء، كما قال الخوارزمي[5]: «الطبيعة هي القوة المدبرة لكل شيء مما هو في العالم الطبيعي، والعالم الطبيعي مما تحت فلك القمر إلى مركز الأرض»[6]، بل هي من صنع الله عز وجل الذي أتقن كل شيء، قال تعالى:﴿ وَتَرَى

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة عم يتساءلون ٥٥٦/٢، وفيه طلحه بن عمرو وهو ضعيف، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) سورة الرعد، آية:٣.

(٣) عطاء بن أبي رباح، واسم أبي رباح أسلم القرشي، مولاهم المكي، ثقة فقيه فاضل، لكنه كثير الإرسال، من الثالثة، مات سنة ١١٤هـ على المشهور، ينظر: تقريب التهذيب ٣٩١/١.

(٤) النكت والعيون للماوردي ٩٣/٣.

(٥) محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي، باحث، من أهل خراسان، مات سنة ٣٨٧هـ، ينظر: الأعلام ٣١٢/٥.

(٦) مفاتيح العلوم للخوارزمي ص:١٥٧.

ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[1].

٢. فساد قول الطبائعيين الذين يقولون بأن الطبيعة هي التي خلقت نفسها وتخلق كل شيء، وأنها تخلق بنظام وبدون نظام، وكذلك قالوا بقدم التراب والماء والنار والهواء[2]، وهؤلاء فسدت عقولهم ففسدت ألسنتهم، وقد بيَّن الله ﷻ في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز أنه سبحانه وتعالى هو الذي خلق الطبيعة ومافيها، فقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًاۖ ﴾[3].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ أي: خلقها للعباد، ووسعها وبارك فيها ومهدها للعباد، وأودع فيها من مصالحهم ما أودع، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًاۖ ﴾ أي: جبالا عظاما، لئلا تميد بالخلق، فإنه لولا الجبال لمادت بأهلها، لأنها على تيار ماء، لا ثبوت لها ولا استقرار إلا بالجبال الرواسي، التي جعلها الله أوتادا لها[5].

---

(١) سورة النمل، آية:٨٨.

(٢) ينظر أصول الدين للبغدادي ص:٥٩.

(٣) سورة الرعد، آية:٣.

(٤) الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، نال حظاً وافراً في العلوم الشرعية، توفي قبل طلوع فجر يوم الخميس الموافق ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦هـ، عن ٦٩سنة، ينظر: الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة لعبدالرزاق البدر ١/١٣-٢١.

(٥) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ١/٤١٢.

المطلب الخامس: أول من ادعى الربوبية.

بيّنت في التوطئة لهذا المبحث أن توحيد الربوبية لم ينازع فيه أحدٌ إلا شرذمةٌ قليلون بحجج واهية لاتتمالك، وهي في وهنها أوهن من بيت العنكبوت، وكان رائدهم في ذلك النمرود، وقد حكى لنا القرآن قصته وادعاءه وحجته وكيف بَهَتَهُ نبي الله الخليل عليه السلام، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[١].

قال البغوي رحمه الله: «معناه هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي حاج إبراهيم أي خاصم وجادل، وهو نمرود وهو أول من وضع التاج على رأسه، وتجبر في الأرض وادعى الربوبية؟»[٢]

وقال أبو المظفر السمعاني رحمه الله[٣]: «معناه هل انتهى إليك خبر الذي حاج إبراهيم وهو نمروذ؟ قاله قتادة، وهو أول من تجبر في الأرض وادعى الربوبية، وكانت تلك المحاجة في الربوبية من نظر الملك وطغيانه»[٤].

وساق الطبري رحمه الله بسنده عن الربيع رحمه الله [٥] قال: «ذكر لنا أن الذي حاج إبراهيم في ربه كان ملكا يقال له نمروذ، وهو أول جبار تجبر في الأرض، وهو صاحب الصرح ببابل»[٦].

---

(١) سورة البقرة، آية:٢٥٨.

(٢) معالم التنزيل للبغوي ٣١٥/١.

(٣) منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، أبو المظفر السمعاني، المروزي، الحنفي كان، ثم الشافعي، ولد سنة ٤٢٦هـ، كان من أهل النظر، ثم تحول شافعيا، ولد سنة ٤٢٦هـ، وتوفي يوم الجمعة، ٢٣ من ربيع الأول، سنة ٤٨٩هـ، عاش ٦٣ سنة، ينظر: سير أعلام النبلاء ١١٩/١٩.

(٤) تفسير القرآن للسمعاني ٢٦١/١، بتصرف يسير.

(٥) الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني، المروزي، بصري، صدوق، سجنه أبو مسلم تسعة أعوام، وتحيل ابن المبارك حتى دخل إليه، فسمع منه، توفي سنة ١٣٩هـ ، ينظر: سير أعلام النبلاء ١٦٩/٦.

(٦) جامع البيان الطبري ٤٣١/٥.

وعن كعب الأحبار رَحِمَهُ اللَّهُ[1]، قال : «رأى إبراهيم قوما يأتون النمرود الجبار فيصيبون منه طعاماً، فانطلق معهم، فكلما مر به رجل، قال له : من ربك ؟ قال : أنت ربي وسجد له، وأعطاه حاجته، حتى مر به إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم، فقال : من ربك ؟ قال : ربي الذي يحيي ويميت، قال : فأنا أحيي وأميت، قال فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر، فخرج ولم يعطه شيئا، فعمد إبراهيم إلى تراب، فملأ به وعاءه ودخل منزله، وأمر أهله أن لا يحلوه، فوضع رأسه فنام، فحلت امرأته الوعاء، فإذا أجود دقيق رأت، فخبزته، فقربته إليه، فقال لها : من أين هذا ؟ قالت : سرقته من الوعاء، قال : فضحك ، ثم حمد الله وأثنى عليه»[2].

وحسب ما تيسر لي من بحث؛ فأول من ادعى الربوبية لنفسه من ملوك الأمم السابقة، هو النمرود، والله تعالى أعلى وأعلم.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من أدعى الربوبية:

١. أن إدِّعاء الربوبية، إنما هو زعم، وعلى سبيل المكابرة، كما هو الحال عند النمرود أو فرعون، أو على سبيل المشاركة، كما هو الحال عند الثنوية والمجوس.

٢. أن جميع الأمم متفقة على ربوبية الرب سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[3] وقال تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[4]، إلا من شذ أمثال النمرود وفرعون والمجوس والثنوية.

---

(١) كعب بن ماتع الحميري، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار، أدرك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رجلا، وأسلم في خلافة عمر، توفي بحمص سنة ٣٢هـ، ذاهبا للغزو، في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، ينظر:أسد الغابة ١٨٧/٤، الإصابة ٤٨١/٥.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق ٣٧٠/١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧٧/٦.

(٣) سورة الزمر، آية:٣٨.

(٤) سورة الزخرف، آية:٨٧.

٣. أن الكفار وغيرهم من أهل البدع ممن هم على غير الصراط المستقيم، حججهم واهية وتزول بأدنى نقاش من أهل الحق ممن لهم علم راسخ.

٤. بيان أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده، لا يكفي لدخول العبد الجنة، فلو كان كذلك، لدخل كفار قريش الجنة، فقد كانوا مقرين به، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾(١).

٥. فساد منهج أهل الكلام، الذين صرفوا جل اهتمامهم إلى إثبات توحيد الربوبية، الذي أقر به جميع الكفار إلا من شذ منهم في ذلك، وتركوا تقرير توحيد الألهية، الذي من أجله أرسلت الرسل، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(٢).

---

(١) سورة الزمر، آية:٣٨.

(٢) سورة النحل، آية:٣٦.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في توحيد الألوهية.

قبل الشروع في الحديث عن توحيد الألوهية وأهميته، يحسن بنا معرفة المعنى اللغوي والشرعي لتوحيد الألوهية.

فأصل كلمة الألوهية في اللغة مشتقة من أله بالفتح إلاهة، أي عبد عبادة، ومنه قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: (ويذرك وإلاهتك) بكسر الهمزة، قال: وعبادتك، وكان يقول: إن فرعون كان يعبد في الارض، ومنه قولنا "الله" وأصله إلاه على فعال، بمعنى مفعول، لانه مألوه أي معبود، والتأله: التعبد، قال رؤبة[1]:

لله در الغانيات المدة سبحن واسترجعن من تألهي

وكانت العرب في جاهليتها يدعون معبوداتهم من الأصنام والأوثان آلهة، وهي جمع إلاهة[2]، وكل ما عُبد من دون الله فهو إله بغير حق، ولا معبود بحق إلا الله عز وجل.

وحده في الشرع هو: « هو أن لا تجعل معه ولا تدعو معه إلها غيره»[3].

وجميع التعريفات الشرعية لتوحيد الألوهية تدور حول إخلاص العبادة لله تعالى، والتوجه إليه سبحانه وتعالى في جميع العبادات ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[4].

وهذا التوحيد هو الذي من أجله أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين ليقرروا عبادة الله وحده ويدعون أقوامهم إلى ذلك، فكانت دعوة الأنبياء واحدة، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[5]، وكان الجواب من المكذبين

---

(١) عبد الله بن رؤبة بن أسد البصري التميمي السعدي، أبو العجاج، أبو محمد، وأبو الشعثاء، الراجز المشهور من أعراب البصرة وهو مخضرم، لين الحديث، مات بالبادية في أيام المنصور سنة ١٤٥هـ.
ينظر: وفيات الأعيان ٣٠٣/٢، ميزان الاعتدال ٥٦/٢.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ٢٢٢/٦، الصحاح للجوهري ٢٢٢٣/٦، مادة (أله).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢/ ٢٧٧.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٦٢.

(٥) سورة النحل، آية: ٣٦.

واحداً وإن اختلف اللفظ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾[3]، ففي هذا النوع من التوحيد قامت الخصومة بين الرسل وأقوامهم، ولم يؤمن به إلا قليل وهم أتباع الرسل في كل زمان.

وأما المسائل العقدية المتعلقة بالأوائل في توحيد الألوهية فقد جعلتها في سبعة مطالب وهي:

المطلب الأول: أول واجب على المكلف.

المطلب الثاني: أول بيت وضعت فيه البركة.

المطلب الثالث: أول شرك وقع في الأرض.

المطلب الرابع: أول من بدّل الحنيفية ملة إبراهيم.

المطلب الخامس: أول من أتى بعبادة النجوم للعرب.

المطلب السادس: أول من لبى التلبية الشركية.

المطلب السابع: أول ردة وشرك في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) سورة الزخرف، آية: ٢٣.

(٢) سورة هود، آية: ٦٢.

(٣) سورة ص، آية: ٤،٥.

المطلب الأول: أول واجب على المكلف.

أول واجب على المكلّف عند أهل السنة والجماعة هو النطق بالشهادتين وهو توحيد الله عز وجل، وهذا هو المذهب الحق الذي عليه السلف.

ومن تأمل نصوص الكتاب والسنة وجد أن أول الواجبات وأوجبها هو توحيد الله ﷻ بالنطق بالشهادتين، وقد جاء ذلك في نصوص عدة، فمن الكتاب:

١. قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: ولقد بعثنا أيها الناس في كل أمة سلفت قبلكم رسولا كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له وأفردوا له الطاعة وأخلصوا له»[2].

٢. وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[3].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض تصلح العبادة له سواي ﴿فَاعْبُدُونِ ﴾ يقول: فأخلصوا لي العبادة، وأفردوا لي الألوهة»[4].

وأما النصوص الواردة في السنة، فمنها:

٣. عن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندما أعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الراية يوم خيبر لعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «**فأعطاه فقال: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل**

---

(١) سورة النحل، آية: ٣٦.

(٢) جامع البيان للطبري ١٤/ ٢١٦.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٤) جامع البيان للطبري ١٦/٢٥٠.

بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[١].

٤. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى نحو أهل اليمن قال له : «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا، فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس»**[٢].

فمن النصوص السابقة -ونحوها كثير- يتبين أن أول واجب على المكلف هو توحيد الله تعالى؛ فرسل الله عليهم السلام أول دعوتهم جميعاً ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾، ونبي الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم دعا قريشاً إلى ذلك، وكتب إلى الملوك بذلك، وأمر أصحابه رضي الله عنهم في دعوتهم بذلك، بل وأخبر صلى الله عليه وآله وسلم أنه أُمِرَ بذلك: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»**[٣]، ولو لم يكن النطق بالشهادتين أول واجب لم يقاتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم قومه عليه.

فكل من قال بخلاف ذلك فقد كذب على الله عز وجل، وكذب على رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذب على جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام، كما قال بذلك أرباب الكلام المذموم، الذين كان جل قصدهم إثبات وجود الله؛ الأمر الذي فُطِر الناس عليه ولا حاجة لمزيد إثبات، ووسيلتهم لذلك هو النظر، ومركبهم تقديم العقل على النقل.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، ١١٤/٩، برقم ٧٣٧١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ماجاء في دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ١١٤/٩، برقم ٧٣٧١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ﴾، ١٤/١، برقم ٢٥.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أعرض عن هذا من أصله وتمسك بقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[(١)]، وحديث: «**كل مولود يولد على الفطرة**»[(٢)]، فإن ظاهر الآية والحديث أن المعرفة حاصلة بأصل الفطرة وأن الخروج عن ذلك يطرأ على الشخص لقوله صلى الله عليه وآله وسلم فأبواه يهودانه وينصرانه»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود هنا أن السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ»[(٤)].

وقال شارح الطحاوية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقيب بلوغه، بل يؤمر بالطهارة والصلاة إذا بلغ أو ميز عند من يرى ذلك، ولم يوجب أحد منهم على وليه أن يخاطبه حينئذ بتجديد الشهادتين، وإن كان الإقرار بالشهادتين واجباً باتفاق المسلمين، ووجوبه يسبق وجوب الصلاة، لكن هو أدى هذا الواجب قبل ذلك»[(٥)]

---

(١) سورة الروم، آية: ٣٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ٢/١٠٠، برقم١٣٨٥

(٣) فتح الباري لابن حجر ١٣/٣٤٩ .

(٤) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٨/١١.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١/٢٣.

وقد نظم في ذلك الشيخ حافظ حكمي رَحِمَهُ اللهُ[١]، فقال في منظومة سلم الوصول[٢]:

أول واجب على العبيد … معرفة الرحمن بالتوحيد

إذ هو من كل الأوامر أعظم … وهو نوعان أيا من يفهم

إثبات ذات الرب جل وعلا … أسمائه الحسنى صفاته العلى

وأنه الرب الجليل الأكبر … الخالق البارئ والمصور

باري البرايا منشئ الخلائق … مبدعهم بلا مثال سابق

وقال أيضاً في شرحها: «(أول واجب) فرضه الله عز وجل (على العبيد) هو (معرفة الرحمن) أي: معرفتهم إياه (بالتوحيد) الذي خلقهم له وأخذ عليهم الميثاق به ثم فطرهم شاهدين مقرين به ثم أرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبهم عليهم (إذ) حرف تعليل لأولية وجوب معرفة العباد ربهم تبارك وتعالى بالتوحيد (هو من كل الأوامر) جمع أمر وهو خطاب الله عز وجل المتعلق بالمكلفين بصيغة تستدعي الفعل (أعظم) كما أن ضده من الشرك والتعطيل والتمثيل هو أعظم المناهي، ولهذا لا يدخل العبد في الإسلام إلا به ولا يخرج منه إلا بضده ولم يزحزح عن النار ويدخل الجنة إلا به، ولا يخلد في النار ويحرم الجنة إلا بضده ولم تدع الرسل إلى شيء قبله ولم تنه عن شيء قبل ضده»[٣].

ويتبين مما سبق من الأدلة ومن كلام أهل العلم الراسخين فيه، صحة منهجهم ووضوح الطريق لديهم لاتباعهم أدلة الكتاب والسنة، بخلاف أهل الكلام المذموم، الذين جاءوا بأقوال عدة، جميعها تدور حول تقرير أن أول واجب على المكلف هو النظر، المؤدي إلى المعرفة بوجود الله تعالى، ولا أحد أسوأ منهجاً وطريقة ممن قدم العقل على الشرع، وإليك قول بعض أئمتهم:

---

(١) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، فقيه أديب، من علماء جيزان، ولد في قرية السلام، جنوبي جيزان، ونشأ بدويا يرعى الغنم ثم قرأ القرآن وطلب العلم، ثم تفرغ للدراسة فظهر فضله، واستمر إلى أن توفي سنة ١٣٧٧هـ، ينظر:الأعلام للزركلي ١٥٩/٢.

(٢) معارج القبول لحافظ الحكمي ٢٩/١ .

(٣) المصدر نفسه ٩٧/١ .

١/القاضي عبد الجبار المعتزلي[١]؛ قسم الواجبات إلى شرعية وعقلية، ثم قدم العقلي وهو النظر، على الواجب الشرعي مثل الشهادتان، ثم قال أن منها ما هو واجب مضيق ومنها ما هو واجب مخير، وجعل معرفة الله تعالى من الواجبات المضيقة، وقسَّم النظر، إلى نظر في أمور الدنيا، ونظر في أمور الدين، وجعل ذلك أيضاً على قسمين: أحدهما النظر في الأدلة ليتوصل بها إلى المعرفة؛ وهو المعني في هذه المسألة، ولما أكثر في التفصيل -كما هي عادة أهل الكلام- قال: «أول ما أوجب الله تعالى عليك، النظر في طريق معرفة الله تعالى»[٢].

وقال أيضاً: «إن سأل سائل فقال: ما أول ما أوجب الله عليك؟ فقل النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى؛ لأنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا بالمشاهدة، فيجب أن نعرفه بالتفكير والنظر»[٣].

٢/وقال عبد القاهر البغدادي[٤] في بيان ترتيب التكليف: «الصحيح عندنا قول من يقول إن أول الواجبات على المكلف النظر والاستدلال المؤديان إلى المعرفة بالله تعالى وبصفاته وتوحيده وعدله وحكمته، ثم النظر والاستدلال المؤديان إلى جواز إرسال الرسل منه، وجواز تكليف العباد ما شاء، ثم النظر المؤدي إلى وجوب الإرسال والتكليف منه، ثم النظر المؤدي إلى تفصيل أركان الشريعة، ثم العمل بما يلزمه منها على شروطه»[٥].

---

(١) القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل الهمذاني، المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني، مات في ذي القعدة سنة ٤١٥هـ، من أبناء التسعين، ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٤٤/١٧، الوافي بالوفيات ٢٠/١٨.

(٢) ينظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ٤١/١ وما بعدها.

(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ٣٩/١.

(٤) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور البغدادي، مات بإسفرايين في سنة ٤٢٩هـ، وقد شاخ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٥٧٢/١٧، طبقات الشافعية ١٣٧/٥، الأعلام ٤٨/٤.

(٥) أصول الدين للبغدادي ص:٢١٠.

٣/ ويقول الجويني[1]: «باب في أحكام النظر: أول ما يجب على العاقل البالغ، باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعاً، القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم .. »[2].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد على متكلمي المعتزلة الذين هم من أحدثوا هذا القول في الإسلام: «ليس هذا قول أحد من سلف الأمة ولا أئمتها ولا قاله أحد من الأنبياء والمرسلين ولا هو قول كل المتكلمين ولا غالبهم بل هذا قول محدث في الإسلام ابتدعه متكلمو المعتزلة ونحوهم من المتكلمين الذين اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمهم وقد نازعهم في ذلك طوائف من المتكلمين من المرجئة والشيعة وغيرهم وقالوا بل الإقرار بالصانع فطري ضروري بديهي لا يجب أن يتوقف على النظر والاستدلال بل قد يقولون يمتنع أن يحصل بالقياس والنظر وهذا قول جماهير الفقهاء والصوفية وأهل الحديث والعامة وغيرهم»[3].

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول واجب على المكلف:

١. في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا والذي بعث فيه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ معاذاً إلى اليمن، دليل على أن أول واجب على المكلف هو توحيد الله تعالى وأول ذلك النطق بالشهادتين، وذلك مستفاد من قوله: «**فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله**

---

(١) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري، يلقب بضياء الدين، المعروف بإمام الحرمين، ولد في المحرم سنة ٤١٩هـ، وتوفي في ربيع الآخر سنة ٤٧٨هـ، ينظر: وفيات الأعيان ١٦٧/٣، سير أعلام النبلاء ٤٦٨/١٨، طبقات الشافعية ١٦٥/٥.

(٢) الإرشاد للجويني ص: ٣.

(٣) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٥٧٠/٤.

تعالى»، بل هو الواجب الذي من أجله خلق الله الخلق؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1].

فالمسلم يعيش حياته لله تعالى، فالواجب لدخوله الإسلام؛ كلمة التوحيد، وآخر ما يقوله وهو خارج من الدنيا؛ كلمة التوحيد، كما جاء عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[2].

٢. في الحديث الرد على ما جاء به متكلمو المعتزلة، حيث جاءوا بأقوال متباينة في مسألة أول واجب على المكلف، فمنهم من ذكر بأن أول واجب هو النظر، وبعضهم قال القصد إلى النظر، وبعضهم قال الشك المتقدم على النظر، ومنهم من قال المعرفة الواجبة للنظر، وهذا كله مخالف للكتاب والسنة والإجماع والعقل[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يدع أحداً من الخلق إلى النظر ابتداءً، ولا إلى مجرد إثبات الصانع، بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان، وبذلك أمر أصحابه»[4].

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ١٩٠/٣، برقم ٣١١٦، والبزار في مسنده ٧٧/٧، برقم ٢٦٢٦، والطبراني في الكبير ١١٢/٢٠، برقم ٢٢١، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١١٠٥/٢.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٣١/١٦.

(٤) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٦/٨.

المطلب الثاني: أول بيت وضعت فيه البركة.

قال الجوهري رَحِمَهُ اللَّهُ: «والبركة: النماء والزيادة، والتبريك: الدعاء بالبركة، وطعام بريك، كأنه مبارك، ويقال: بارك الله لك وفيك وعليك، وباركك، وقال تعالى:﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾[(١)]، وتبارك الله، أي بارك»[(٢)].

والتبرك على نوعين، مشروع وممنوع، فأما المشروع فما أذن فيه الشارع، والبدعي خلافه، وقد يصل إلى حد الشرك [(٣)].

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: «والنصوص في القرآن والسنة دلت على أن البركة من الله ﷻ، وأن الله ﷻ هو الذي يبارك، وأنه لا أحد من الخلق يبارك أحدا، قال سبحانه ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾[(٤)]يعني: عَظُمَ خير من نزّل الفرقان على عبده، وكثر ودام وثبت، وقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[(٥)]»[(٦)].

وجاء في الأثر أن رجلاً سأل علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا أهو أول بيت بني في الأرض ؟ قال : «لا، ولكنه أول بيت وضع فيه البركة والهدى، ومقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنا، ولإن شئت أنبأتك كيف بناه الله ﷻ، إن الله أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتا في الأرض فضاق به ذرعا، فأرسل الله إليه السكينة، وهي ريح خجوج[(٧)]، لها رأس، فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت، ثم تطوقت إلى موضع البيت تطوق الحية، فبنى إبراهيم فكان يبني هو ساقا كل يوم، حتى إذا بلغ مكان الحجر، قال لابنه : أبغني حجراً فالتمس ثمة حجراً حتى أتاه به، فوجد الحجر الأسود قد ركب، فقال له ابنه :

---

(١) سورة النمل، آية:٨.

(٢) الصحاح للجوهري ١٥٧٥/٤، مادة (برك).

(٣) التبرك أنواعه وأحكامه، لناصر الجديع ص:٣٩، بتصرف.

(٤) سورة الفرقان، آية:١.

(٥) سورة الملك، آية:١.

(٦) التمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ ١٢٠/١.

(٧) خجوج، تلتوي في هبوبها، ينظر: الصحاح ٣٠٨/١.

من أين لك هذا ؟ قال : جاء به من لم يتكل على بنائك، جاء به جبريل عليه السلام من السماء فأتمه»[١].

وقد دلت النصوص في الكتاب والسنة على أن الأشياء التي أحل الله عز وجل البركة فيها قد تكون أمكنة أو أزمنة؛ وقد تكون مخلوقات آدمية، فالله عز وجل بارك بعض الأماكن كبيت الله الحرام قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢]، وحول بيت المقدس، كما قال سبحانه: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾[٣]، وفي البقعة المباركة ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[٤]، ومعنى كون الأرض مباركة: أن يكون فيها الخير الكثير الملازم لها؛ وهذا لا يعني أبدا أن يُتَمَسَّح بأرضها، أو أن يُتَمَسَّح بحيطانها، لأن بركتها لازمة لا تنتقل بالذات، أي أنك إذا لامست الأرض، أو دفنت فيها، أو تبركت بها، فإن بركتها لا تنتقل إليك بالذات، وإنما بركتها من جهة المعنى فقط.

كذلك بيت الله الحرام هو مبارك لا من جهة ذاته، أي ليس كما يعتقد البعض أن من تمسح به انتقلت إليه البركة وإنما هو مبارك من جهة المعنى، أي بتعلق القلوب به، وكثرة الخير الذي يكون لمن أرادها، وأتاها، وطاف بها، وتعبد عندها، وكذلك الحجر الأسود هو حجر مبارك، ولكن بركته لأجل العبادة، يعني أن من استلمه تعبدا مطيعا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في استلامه له، وفي تقبيله، فإنه يناله به بركة الاتباع.

وقد قال عمر رضي الله عنه لما قبّل الحجر: «إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر»[٥] فقوله: لا تنفع ولا تضر، يعني لا يجلب لمن قبله شيئا من النفع، ولا يدفع عن أحد شيئا من

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ٣٢١/٢، برقم ٣١٥٤، وقال هذا حديث صحيح، ووافقه الذهبي وقال في التلخيص على شرط مسلم.

(٢) سورة آل عمران، آية:٩٦.

(٣) سورة الإسراء، آية:١.

(٤) سورة القصص، آية:٢٠.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود ١٤٩/٢، برقم١٥٩٧.

الضر، وإنما الحامل على التقبيل مجرد الاتِّساء، تعبدا لله، ولذلك قال: «... ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبلك ما قبلتك»، فهذا معنى البركة المقصودة التي جعلت في البيت العتيق، أي بما ينال من أجر عظيم حين الطواف والسعي والصلاة في المسجد الحرام[1].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾[2] قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : «يخبر تعالى عن شرف هذا البيت الحرام، وأنه أول بيت وضعه الله للناس، يتعبدون فيه لربهم فتغفر أوزارهم، وتقال عثارهم، ويحصل لهم به من الطاعات والقربات ما ينالون به رضى ربهم والفوز بثوابه والنجاة من عقابه، ولهذا قال: ﴿ مُبَارَكًا ﴾ أي: فيه البركة الكثيرة في المنافع الدينية والدنيوية كما قال تعالى ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾[3]»[4]، والله تعالى أعلى وأعلم.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول بيت وضعت فيه البركة:

١. أن أول بيت وضعت فيه البركة للناس هو المسجد الحرام، والواضع لها هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا تكون البركة ولاتطلب إلا من الله عَزَّ وَجَلَّ.

٢. أن كون الأرض مباركة أي أن البركة في الأماكن ذاتية فلاتنتقل بالملامسة أو بالتمسح أو بالدفن فيها، بل تكون معنوية.

٣. ينبغي أن تعلق القلوب بواضع البركة لا بالأحجار والأماكن.

٤. أن من ضل في هذا الباب إنما هو من جهة طلب البركة من غير الله تعالى فوقع في الشرك الأكبر، أو طلب البركة من الله بغير ما شرع فابتدع، وقد نبه كثير من أهل العلم

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ ١/١٢٤-١٢٥، بتصرف يسير.

(٢) سورة آل عمران، آية:٩٦.

(٣) سورة الحج، آية:٢٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ١/١٣٨.

في كتبهم على هذا الأمر أمثال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه المبارك التوحيد؛ فبوب على ذلك فقال: «باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما».

المطلب الثالث: أول شرك وقع في الأرض.

قال ابن فارس[(١)]: «الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة، فالأول الشركة، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما»[(٢)].

والشرك كما عرَّفه الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها»[(٣)].

وقد دل الكتاب العزيز والسنة المطهرة وآثار السلف الصالح على أن الأصل هو التوحيد وأن الشرك طارئ، وأن أول شرك حدث كان في قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ حين عظموا الصالحين وصوروهم ثم تبركوا بها بعدما نسي العلم، قال تعالى:﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّـرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾[(٤)].

وقد جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير هذه الآية؛ أنه قال :«كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين»، قال: وكذلك في قراءة عبد الله: «كان الناس أمة واحدة فاختلفوا»[(٥)].

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، اللغوي، نزيل همذان، مات بالري في صفر سنة ٣٩٥هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٥٣٨/١٢.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ٢٦٥/٣، مادة (شرك).

(٣) عقيدة محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها، لصالح العبود ٦٨٤/٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢١٣.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٣/ ٦٢١، والحاكم في مستدركه، ٥٩٥/٢، برقم ٤٠٠٩، وقال هذا حديث صحيح، ووافقه الذهبي وقال في التلخيص على شرط البخاري.

وعن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه[1]، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال ذات يوم في خطبته: «... **وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم**[2] **عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا**...»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود كانت لكلب بدومة الجندل[4]، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف[5]، عند سبإ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى

---

(١) عياض بن حمار بن أبي حمار بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي المجاشعي، كان صديقاً قديماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، سكن البصرة، ينظر: الاستيعاب ٣/ ١٢٣٢، أسد الغابة ٤/ ٢٢، الإصابة ٤/ ٦٢٥.

(٢) فاجتالتهم، يقال للقوم إذا تركوا القصد والهدى: اجتالهم الشيطان أي جالوا معه في الضلالة، ينظر: تهذيب اللغة ١٢٨/١١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٢١٩٧/٤، برقم ٢٨٦٥.

(٤) دومة الجندل، مدينة تقع شمال المملكة العربية السعودية-حرسها الله- وهي أحدى محافظات منطقة الجوف، وتقع جنوب غرب مدينة سكاكا، سميت بذلك، لبناء حصن قديم فيها بالجندل، ينظر: معجم البلدان ٤٨٧/٢، المعالم الأثيرة ١١٧/١.

(٥) الجوف؛أرض لمراد؛ وهو موضع باليمن وقيل هو بطن الوادي، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣١٧/١.

الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا[(١)]، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم[(٢)] عبدت»[(٣)].

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول شرك وقع في الأرض:

١. أن فيما رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله:«كلهم على شريعة الحق فاختلفوا»، إشارة إلى أن الأصل هو التوحيد؛ وأن الشرك حادث، وفيه بيان ورد على القائلين بأن الأصل في البشرية الشرك.

٢. فيه رد على من زعم من أهل التاريخ من أهل الكتاب أن قابيل وبنيه عبدوا النار[(٤)]، فالشرك لم يحدث إلا في قوم نوح عليه السلام.

٣. الرد على من قال بأن الشرك وقع في بني شيث، وذلك قبل قوم نوح، كما أورد ابن الكلبي[(٥)] بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «قال وكان بنو شيث يأتون جسد آدم في المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه، فقال رجل من بني قابيل بن آدم: يا بني قابيل إن

---

(١) النصب، بضم الصاد وسكونها: حجر كانوا ينصبونه في الجاهلية، ويتخذونه صنما فيعبدونه، والجمع: أنصاب، وقيل: هو حجر كانوا ينصبونه، ويذبحون عليه فيحمر بالدم، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٥/٦٠.

(٢) تنسخ العلم؛ زال معرفة الناس بأصل نصبها، ينظر: تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري، والنسخ: أمر كان يعمل به من قبل ثم ينسخ بحادث غيره، ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٥/٤٢٤، مادة (نسخ).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب تفسير القرآن، باب﴿ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ ﴾، ٦/١٦٠، برقم ٤٩٢٠.

(٤) الكواكب الدراري لابن عروة الحنبلي ٦/٢١٢، بتصرف يسير، بواسطة كتاب تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للألباني ١/٩٠.

(٥) هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو المنذر، الكوفي، الأخباري، شيعي متروك كأبيه، مات سنة ٢٠٤هـ، وقيل ٢٠٦هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ١٠/١٠١، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٠٥.

لبني شيت دواراً يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شئ، فنحت لهم صنما فكان أول من عملها»[(١)]، ولمخالفتها رواية ابن عباس رضي الله عنهما التي في البخاري.

٤. وجوب حماية جناب التوحيد من الإبتداع والبناء على القبور والأضرحة وبناء المساجد على القبور، لأن ذلك سبيل للشرك كما وقع في قوم نوح، فكانوا أول من أشرك بالله.

٥. أن أول رسول بعث للمشركين هو نوح عليه السلام، بعد ما وقع الشرك في وقومه، وكما جاء عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا نوحا، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتونه**...»[(٢)].

---

(١) الأصنام للكلبي ص: ٥٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قول الله: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾، ١٧/٦، برقم ٤٤٧٦.

المطلب الرابع: أول من بدّل الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام

الحنيفية[١] في اللغة الميل، والمعنى أن إبراهيم عليه السلام حنف إلى دين الله ودين الإسلام فإنما أخذ الحنف من قولهم: رجل حنفاء ورجل أحنف، وهو الذي تميل قدماه كل واحدة إلى أختها بأصابعها، ولذلك سمي الأحنف بن قيس[٢] أحنفاً[٣].

والحنيفية هي أن تعبد الله مخلصاً له الدين، وهي التي قال الله عز وجل فيها لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٤] فالحنيفية هي الملة التي فيها الإخلاص لله وموالاته، وترك الإشراك به سبحانه[٥].

وقد كان أهل مكة من قريش وغيرهم على الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام، بعيدون عن الوثنية، حتى كان أول من بدل وغير دين إبراهيم الخليل عليه السلام، هو عمرو بن لحي الخزاعي[٦]، وكان مطاعاً في قومه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أول من غير دين إبراهيم: عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبو خزاعة**»[٧].

---

(١) الحنيفية، هي الملة الكبرى، وهي ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، وهي الحنيفية التي تقابل الصبوة تقابل التضاد، ومن العجب أن التوحيد من أخص أركان الحنيفية، ولهذا يقترن نفي الشرك بكل موضع ذكر الحنيفية: ﴿ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾، ينظر: الملل والنحل ٣٧/١.

(٢) الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن حفص بن عبادة بن النزال بن تميم، أبو بحر التميميّ السّعديّ لقبه الأحنف، كان ثقة مأموناً، قليل الحديث، مات بالبصرة زمن ولاية مصعب بن الزبير سنة ٦٧هـ، ينظر: الاستيعاب ١/ ١٤٤ ، أسد الغابة ٦٨/١ ، الإصابة ١/ ٣٣١.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري ٧١،٧٢/٥، مادة (حنف).

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٣.

(٥) شرح ثلاثة الأصول لابن باز ص:٣٥.

(٦) عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف، أول من غير دين إبراهيم، رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجر قصبه في النار، ينظر: الاستيعاب ١٤٢/١.

(٧) أخرجه الطبراني في الأوسط ٧٢/١، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ١/ ٥٠٤.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**عرضت علي النار فرأيت فيها عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبو عمرو وهو يجر قصبه في النار، وهو أول من سيب السوائب وغير عهد إبراهيم** عليه السلام**، وأشبه من رأيت به أكثم بن أبي الجون**» قال: فقال أكثم: يا رسول الله يضربي شبهه؟ قال: «**لا إنك مسلم وإنه كافر**»[1]

وعن سعيد بن المسيب رحمه الله، قال: «البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء، قال: وقال أبو هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، كان أول من سيب السوائب**»، والوصيلة: الناقة البكر، تبكر في أول نتاج الإبل، ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم، إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر، والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت، وأعفوه من الحمل، فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**رأيت جهنم يحطم**[3] **بعضها بعضا، ورأيت عمراً يجر قصبه، وهو أول من سيب السوائب**[4]»[5].

قال ابن القيم رحمه الله: «وقد أخرج الفاكهي[6] من طريق ابن الكلبي، قال كان لعمرو بن ربيعة رئي[1] من الجن فأتاه فقال أجب أبا ثمامة، وادخل بلا ملامة، ثم ائت سيف[2]

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ٤/٦٤٧، برقم ٨٧٨٩، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ ٦/٥٥،برقم٤٦٢٣

(٣) يحطم بعضها بعضا: أي تندفع فيدفع بعضها بعضا لشدة اشتعالها وتلهبها وأصل الحطم الكسر، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين لابن ابي نصر ١/٥١٢.

(٤) السائبة، أن تسيب فلا تمنع من مرعى ولا تطرد عن ماء ولا ينتفع بها، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين لابن ابي نصر ١/٥١٣.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ ٦/٥٥،برقم٤٦٢٤

(٦) عبد الله بن محمد بن العباس المكي، الفاكهي، أبو محمد، له تصانيف في أخبار مكة، توفي سنة ٣٥٣هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ١٦/٤٤.

جدة، تجد بها أصناما معدة، ثم أوردها تهامة[٣] ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب، قال: فأتى عمرو ساحل جدة، فوجد بها ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسراً، وهي الأصنام التي عبدت على عهد نوح وإدريس، ثم إن الطوفان طرحها هناك فسفى عليها الرمل فاستثارها عمرو وخرج بها إلى تهامة وحضر الموسم فدعا إلى عبادتها فأجيب وعمرو بن ربيعة هو عمرو بن لحي»[٤].

وأورد الكلبي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**رفعت لي النار فرأيت عمراً رجلا قصيرا أحمر أزرق يجر قصبه في النار، قلت: من هذا قيل: هذا عمرو بن لحي، أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة وسيب السائبة وحمى الحامي وغير دين إبراهيم ودعا العرب إلى عبادة الأوثان**»[٥].

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من بدل الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام:

١. فيه إشارة إلى عظم وزر الإبتداع في الدين؛ وأعظم ذلك حمل الناس على الشرك بالله عز وجل، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم**

(١) رئي، هو جني يتعرض للإنس، ينظر: غريب الحديث لإبراهيم الحربي ٢/٧٧٣.

(٢) سيف، السين والياء والفاء أصل يدل على امتداد في شيء وطول، وقولهم سيف البحر، وهو ما امتد معه من ساحله، ينظر: مقاييس اللغة ٣/١٢١.

(٣) تهامة، هي بكسر التاء، وهي اسم لكل مانزل عن نجد من بلاد الحجاز، ومكة من تهامة، سميت تهامة من التهم يعني – بفتح التاء والهاء – وهو شدة الحر وركود الريح، ينظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٣/٤٤.

(٤) فتح الباري لابن حجر ٨/٨٦٦.

(٥) أورده الكلبي في الأصنام ١/٥٨.

شيئا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا»(١)

٢. أن غالب ما يكون التأثير في الناس من كبرائهم ومن المعظمين؛ حتى يصل الأمر إلى تغيير الدين كما فعل عمرو بن لحي بقومه إذ أمرهم فأطاعوه، ولم يكن منهم رجل رشيد.

٣. أن الاستحسان بغير دليل يؤدي إلى الإبتداع في الدين؛ كما استحسن عمرو بن لحي فعل أهل الشام بعبادتهم للأصنام وأنهم يستمطرونها فتمطرهم، فطلب منهم صنماً فأعطوه.

٤. فيه دليل على أن أهل مكة كانوا على بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتمسكون بها، من تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف على عرفة ومزدلفة ،وهدي البدن، وإهلال الحج والعمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس فيه ، وذلك قبل أن يسعى في تبديلها عمرو بن لحي الخزاعي، إذ هو أول من بدَّلها، وهكذا هي رحمة الله بعباده؛ أنه كلما انحرفوا عن الهدى أرسل لهم رسولاً يهديهم إليه، فسبحانك ربي ما أرحمك بعبادك.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة ، ٤/٢٠٦٠، برقم ٢٦٧٤.

المطلب الخامس: أول من أتى بعبادة النجوم للعرب.

الإنحراف عن الملة الحنيفية والذي حدث للعرب في الجاهلية لم يكن على سبيل واحد بل كان متعدداً؛ لأن مشاربهم كانت مختلفة فلا كتاب يتبعوه ولا رسول يبايعوه، ومن الإنحراف الذي حدث لهم عبادتهم للنجوم والكواكب؛ وهي عبادة دخيلة عليهم فلم تكن فيهم حيث أن المشهور فيهم هو عبادتهم للأصنام.

وقد كان كوكب الشعرى أهم الكواكب التي عُبدت، ومن لم يكن يعبدها فإنه يعظمها، وقد ذكر الله ﷻ أنه رب الشعرى قال تعالى:﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴾[(١)]، كما هو ﷻ رباً لغيره؛ وإنما خص هذا الكوكب لأن بعض العرب كانت تعبده ومنهم خزاعة[(٢)].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)] في تفسير الآية: «هي كوكب خلف الجوزاء كانت خزاعة تعبدها، والمراد بها الشعرى التي يقال لها العبور، وهي أشد ضياء من الشعرى التي يقال لها الغميصاء[(٤)]، وإنما ذكر ﷻ أنه رب الشعرى مع كونه ربا لكل الأشياء للرد على من كان يعبدها، وأول من عبدها أبو كبشة، وكان من أشراف العرب، وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن أبي كبشة تشبيها له به لمخالفته دينهم كما خالفهم أبو كبشة، ومن ذلك قول أبي سفيان رضي الله عنه يوم الفتح: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة»[(٥)].

---

(١) سورة النجم، آية:٤٩.

(٢) النكت والعيون للماوردي ٥/٤٠٥، بتصرف.

(٣) أحمد بن محمد بن علي الشوكاني، قاض، من فضلاء اليمانيين، من أهل صنعاء، توفي سنة ١٢٨١هـ، ينظر: الأعلام للزركلي ١/٢٤٦.

(٤) تزعم الْعَرَب فِي أَخْبَارهَا أَن الشعريين أُخْتا سُهَيْل، والعبور تَرَاهُ إذا طلع فتستعبر، والغميصاء لَا تَرَاهُ فقد بَكت حَتَّى غمصت، وقيل غير ذلك، ولعل ذلك ضرب من التمثيل عند العرب للتقريب، والشاهد أن الغميصاء أقل ضوءاً ونوراً من العبور، والله أعلم، ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة ١/٣٨١، وجمهرة اللغة لابن دريد الأزدي ١/٣٤٨، بتصرف.

(٥) فتح القدير للشوكاني ٥/١٤١.

ومن ذلك أيضاً ما رواه أبي هريرة رضي الله عنه، قال: مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عبد الله بن أبي ابن سلول[١] وهو في ظل أجمة، فقال: قد غبر علينا ابن أبي كبشة، فقال ابنه عبد الله بن عبد الله رضي الله عنه: والذي أكرمك، والذي أنزل عليك الكتاب، لئن شئت لآتينك برأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا، ولكن بر أباك، وأحسن صحبته**»، قال أبو حاتم رحمه الله[٢]: أبو كبشة هذا والد أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كان قد خرج إلى الشام، فاستحسن دين النصارى، فرجع إلى قريش وأظهره، فعاتبته قريش حيث جاء بدين غير دينهم، فكانت قريش تعير النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتنسبه إليه، يعنون به أنه جاء بدين غير دينهم، كما جاء أبو كبشة بدين غير دينهم[٣].

قال ابن الجوزي رحمه الله: «ووجز هو أبو كبشة الذي كانت قريش تنسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه؛ لأنه جده من قبل أمه، والعرب تظن أن أحدا لا يعمل شيئا إلا بعرق نزعه شبهه، فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دين قريش قال مشركو قريش: نزعه أبو كبشة، فإن أبا كبشة خالف الناس بعبادته الشعرى، وكان أبو كبشة سيدا في خزاعة، لم يعيروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نقص كان فيها، ولكن لما خالف دينهم نسبوه إلى خلاف أبي كبشة، فقالوا: خالف كما خالف أبو كبشة»[٤].

---

(١) عبد الله بن أبي ابن سلول، يكنى أبا الحباب، رأس المنافقين، اجتمعت الخزرج قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أن يتوجوه، ويسندوا أمرهم إليه، وكان من أشرافهم، فجاء الله بالإسلام فأضمر النفاق حسداً، ينظر: الاستيعاب ٣/٩٤٠.

(٢) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، أبو حاتم، الحافظ الإمام، ولد بعد سنة ٢٧٠هـ، توفي سنة ٣٥٤هـ، ينظر: تذكرة الحفاظ ٣/٨٩هـ، سير أعلام النبلاء ١٦/٩٢، طبقات الحفاظ ص:٣٧٥.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، باب حق الوالدين ٢/١٧٠، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٧/ ٦٧٦.

(٤) كشف المشكل لابن الجوزي ٤/٩١.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال أبو الحسن الجرجانى[١] النسابة فى معنى نسبة قريشٍ رسول الله إلى أبى كبشة قال: إنما كانت تدعوه بذلك وتغير اسمه؛ عداوة له إذ لم يمكنهم الطعن فى نسبه المهذب، صلوات الله عليه، وكان وهب بن عبد مناف بن زهرة أبو آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعى: أبا كبشة، وكان عمرو بن زيد بن أسد النجاري، أبو سلمى أم عبد المطلب يدعى: أبا كبشة، وكان فى أجداده من قِبَل أمه أبو كبشة، وجد ابن غالب بن الحارث وهو أبو قيلة أم وهب بن عبد مناف أبى آمنة أم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أبوه من الرضاعة يدعى: أبا كبشة وهو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى، وقال ابن قتيبة: إنما نسبه صلى الله عليه وآله وسلم، إلى أبى كبشة وهو الحارث بعض أجداد أمه؛ لأنه رجل عبد الشعرى، ولم تعرف العرب عبادة الشعرى لأحد قبله، وجعلوا فعله فى ذلك شذوذًا فى الدين، فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما لا يعرفونه من دينهم ودين آبائهم وشذ عنهم فى ترك عبادة الأوثان، ودعا إلى دين الله ودين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ شبهوه بأبى كبشة فى شذوذه فى عبادة الشعرى»[٢].

وذكر ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده عن الزبير بن بكار[٣] أنه قال: «أول من عبد الشعرى أبو كبشة، واسمه وجز بن غالب بن عامر، وكان يقول: إن الشعرى تقطع السماء عرضا، ولا أرى في السماء شمسا ولا قمرا ولا نجما يقطع السماء عرضا غيرها، والعرب تسمي الشعرى العبور؛ لأنها تعبر السماء عرضا»[٤].

---

(١) على بن عبد العزيز بن الحسن بن على بن إسماعيل أبو الحسن الجرجانى، كان فقيها شاعراً، توفى بالري فى ذى الحجة سنة ٣٩٢، ينظر: طبقات الشافعية للسبكي ٤٥٩/٣.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٥٠/١.

(٣) الزبير بن بكر بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر أو أبو عبد الله، مولده في سنة ١٧٢هـ، ثقة ثبت، توفي في ذي القعدة سنة ٢٥٦هـ، بمكة، ينظر: سير أعلام النبلاء ٣١/١٠، وفيات الأعيان ٣١٢/٢، تذكرة الحفاظ ٨٥/٢.

(٤) كشف المشكل من الصحيحين لابن الجوزي ٩١/٤، ولم أجد هذا الأثر سوى عند ابن الجوزي.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من أتى بعبادة النجوم للعرب:

١. ذكر أن أول من أظهر عبادة النجوم من العرب هو أبو كبشة.

٢. يظهر أن التأثر بعبادة النجوم أو الأصنام، لم يكن إلا باختلاط بعض العرب مع الأمم الأخرى التي انحرفت عن شرائعها السماوية.

المطلب السادس: أول من لبى التلبية الشركية.

إن عامة العرب عند مجيء الإسلام كانت على الشرك إلا من رحم الله، وذلك بسبب عمرو بن لحي الخزاعي، الذي كان أول من غير دين الخليل عليه السلام، وكان عامة العرب قبل ذلك على الحنيفية ملة نبي الله إبراهيم عليه السلام، فكما جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أول من غير دين إبراهيم: عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبو خزاعة**»[1]، وهو أول من سيب السوائب وبحر البحيرة، فعن أبي هريره رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، كان أول من سيب السوائب**»[2]

ومن الشرك والتبديل الذي أحدثه عمرو بن لحي الخزاعي، هو إحداث التلبية الشركية، فكانت تلبيتهم عند البيت الحرام: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك»، كما روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك، قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ويلكم، قد قد**»، فيقولون: إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت[3].

وكل ذلك يؤيد ما جاء في السير من أنه هو أول من أحدث التلبية الشركية؛ فقد قال السهيلي[4]: «وكانت التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام: لبيك لا شريك لك لبيك حتى كان عمرو بن لحي، فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه، فقال عمرو: لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ: إلا شريكا هو لك، فأنكر ذلك عمرو، وقال: وما هذا؟ فقال الشيخ قل: تملكه وما ملك، فإنه لا بأس بهذا، فقالها عمرو، فدانت بها العرب»[5].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ٧٢/١، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١/ ٥٠٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾،٦/٥٤،برقم٤٦٢٣

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها ٨٤٣/٢، برقم ١١٨٥.

(٤) عبدالرحمن بن عبدالله بن الخطيب الخثعمي ثم السهيلي، أبو زيد، ولد سنة ٥٠٨هـ، بمالقا، محدث أديب نحوي لغوي علامة، كان مكفوف البصر، توفي سنة٥٨٣هـ، ينظر: وفيات الاعيان ١٤٣/٣، الوافي بالوفيات ١٨/ ١٠٠.

(٥) الروض الأنف لأبو القاسم السهيلي ٣٥٨/١.

قال الشيخ محمد بن ابراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهم على تلك الحالة يجدِّد لهم ما اندرس واخلولق من دين أبيهم إبراهيم عليه السلام فإن قريشاً ومَن يليهم ذريتُه وورثته، وكانوا على هذا الدين الحنيف ولكنه اندرس واخلولق فيهم بسبب عمرو بن لحي بعد أن استخرج الأصنام وفرقها في العرب وغيَّر عليهم التلبية فتغير بسبب ذلك»[١].

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من لبى التلبية الشركية:

١. إن تلبية التوحيد من دين إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ.
٢. ذكر أول من لبى التلبية الشركية، وهو أول من غير دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو عمرو بن لحي الخزاعي.
٣. أن السير في طريق الشرك والبدع، يجر بدعاً أخرى، ما أنزل الله بها من سلطان، ومن ذلك التحريف والتبديل الذي وقع من قريش في الحج، حيث عطلوا الوقوف بعرفة بعد حادثة الفيل، فكان الناس يقفون بعرفة، وقريش يقفون بالمزدلفة؛ لأنها من الحرم، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس[٢]، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات، ثم يقف بها، ثم يفيض منها» فذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾[٣]»[٤].

(١) شرح كشف الشبهات لمحمد بن ابراهيم ٢٨/١.

(٢) الحمس: قريش ومن ولدت قريش وكنانة، وجديلة قيس، وهم فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان، وبنو عامر بن صعصعة هؤلاء الحمس، سموا حمسا لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا، ينظر: تهذيب اللغة ٢٠٦/٤.

(٣) سورة البقرة، آية:١٩٩.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾، ٢٧/٦، برقم ٤٥٢٠.

المطلب السابع: أول ردة وشرك في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

أعظم الذنوب وأظلم الظلم هو الشرك بالله عز وجل؛ وهو أن تجعل لله نداً أومثيلاً أونظيراً وهو خلقك، وكما جاء في وصايا لقمان لابنه من التحذير من الوقوع في الشرك ووصفه بالظلم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1]، وكما جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أي الذنب أعظم عند الله؟ قال:«**أن تجعل لله ندا وهو خلقك**»، قلت: إن ذلك لعظيم»[2].

وقد حذّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الوقوع في الشرك سواءً الشرك الأكبر أو الأصغر، ومع ذلك فقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم بوقوع الشرك في أمته لا محالة.

فأما الردة فقد كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي مرضه الذي توفي فيه، فقد خرج الأسود العنسي[3]، في حياته صلى الله عليه وآله وسلم قبيل حجة الوداع، وهذا الذي أخبر به صلى الله عليه وآله وسلم في ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**بينما أنا نائم، رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأوحي إلي في المنام: أن انفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين، يخرجان بعدي**»، فكان أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة الكذاب، صاحب اليمامة[4].

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال: «أول ردة في العرب مسيلمة بن حبيب صاحب اليمامة، والأسود بن كعب العنسي باليمن في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال

---

(١) سورة لقمان، آية:١٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾٦/١٨، برقم٤٤٧٧

(٣) عمرو بن الأسود العنسي، يكنى أبا عياض، حمصي سكن داريا، وهو عمير بن الأسود، مخضرم ثقة عابد، من كبار التابعين، مات في خلافة معاوية، ينظر: تقريب التهذيب ١/٦٦٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة ، ٤/٢٠٣، برقم ٣٦٢٠.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إني أريت في ذراعي سوارين من ذهب فنفخت فيهما فطارا فأولهما: كذاب اليمامة وكذاب صنعاء**»[(١)].

وأما تعيين الأسود العنسي قبل مسيلمة فذلك لما أورده الطبري رحمه الله بسنده عن الضحاك بن فيروز بن الديلمي[(٢)]، عن أبيه، قال: «إن أول ردة كانت في الإسلام باليمن كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على يدي ذي الخمار عبهلة بن كعب- وهو الأسود- في عامة مذحج، خرج بعد الوداع، كان الأسود كاهناً شعباذاً، وكان يريهم الأعاجيب، ويسبي قلوب من سمع منطقه، وكان أول ما خرج أن خرج من كهف خبان[(٣)]، وهي كانت داره، وبها ولد ونشأ، فكاتبته مذحج، وواعدته نجران، فوثبوا بها وأخرجوا عمرو بن حزم[(٤)]، وخالد بن سعيد بن العاص[(٥)]، وأنزلوه منزلهما، ووثب قيس بن عبد يغوث[(٦)]،

---

(١) أورده البوصيري في إتحاف الخيرة، كتاب التعبير، باب مارآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في منامه ٦/٣٧٠، برقم ٦٠٣٩، قال ابن حجر في المطالب العالية ١٥/ ٤٨٧: «فيه انقطاع».

(٢) الضحاك بن فيروز الديلمي الفلسطيني، مقبول، من الثالثة، ينظر: تقريب التهذيب ١/ ٢٧٩ .

(٣) خُبَانُ، قرية بأسفل نجران، في واد يقال له خبان من ديار مراد، إليها ينسب كهف خبّان، وهو الكهف الذي مات فيه مرقّش الأكبر، وهي قرية الأسود الكذاب، ينظر، معجم ما استعجم من البلدان ٢/٤٨٥، معجم البلدان ٢/٣٤٣.

(٤) عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الأنصاري، يكنى أبا الضحاك. شهد الخندق وما بعدها، واستعمله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على نجران، مات بعد سنة ٥٠هـ، ينظر: الاستيعاب ٣/١١٧٢، أسد الغابة ٣/٧١١، الإصابة ٤/٥١١.

(٥) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي، يكنى أبا سعيد، أسلم قديماً، قتل في معركة مرج الصفر في سنة ١٤هـ، ينظر: الاستيعاب ٢/٤٢٠، أسد الغابة ١/٥٧٤.

(٦) قيس بن عبد يغوث ابن مكشوح، اختلف في صحبته، كان ممن ارتد عن الاسلام باليمن، ثم عاد إلى الإسلام وشهد الفتوح، قتل بصفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ينظر: الاستيعاب ٣/ ١٢٩٩، الإصابة ٥/ ٤٠٥.

على فروة بن مسيك[(١)]، وهو على مراد، فأجلاه ونزل منزله، فلم ينشب عبهلة بنجران أن سار إلى صنعاء فأخذها، وكتب بذلك الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من فعله ونزوله صنعاء، وكان أول خبر وقع به عنه من قبل فروة بن مسيك، ولحق بفروة من تم على الإسلام من مذحج، فكانوا بالأحسية، ولم يكاتبه الأسود ولم يرسل إليه، لأنه لم يكن معه أحد يشاغبه، وصفا له ملك اليمن»[(٢)].

وأما عبادة الأوثان والشرك الذي وقع في هذه الإمة، فقد جاء عن ثوبان رضي الله عنه[(٣)]، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان، وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي**»[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة**»، وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية»[(٥)].

وأما أول شرك وقع في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكان في القدر، كما يدل عليه حديث عبدَ الله بن عباس رضي الله عنهما الذي جاء فيه: قيل لابن عباس: إن رجلا قدم علينا يكذب بالقدر. فقال: دلوني عليه. وهو يومئذ قد عمي، قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس؟ قال: والذي نفسي بيده، لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته في

---

(١) فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة بن الحارث المرادي الغطيفي، أبو عمر، ويكنى أبا سبرة، أصله من اليمن، أستعمله النبي صلى الله عليه وآله وسلم على مراد ومذحج كلها، ينظر: الاستيعاب ١٢٦١/٣، أسد الغابة ٥٩/٤، الإصابة ٥/ ٢٨١.

(٢) تاريخ الرسل والملوك للطبري ١٨٥/٣.

(٣) ثوبان بن بجدد، يكنى أبا عبد الله، مولى رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، صحابيّ مشهور، اشتراه رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم ثم أعتقه فخدمه إلى أن مات، ثم تحول إلى الرملة ثم حمص، ومات بها سنة ٥٤هـ.
ينظر: الاستيعاب ١/ ٢١٨ ، أسد الغابة ١/ ٢٩٦ ، الإصابة ١/ ٥٢٨.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، ٤٩٩/٤، برقم ٢٢١٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٦٥/١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب تغير الزمان ، ٥٨/٩، برقم ٧١١٦.

يدي، لأدقنها، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**كأني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج تصطك ألياتهن مشركات**»، هذا أول شرك هذه الأمة، والذي نفسي بيده، لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيرا، كما أخرجوه من أن يكون قدر شرا»[١].

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول ردة وشرك في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

١. أن من رحمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمته، تحذيرهم من الشرك والوقوع فيه.
٢. أن من رحمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمته، أن بين لهم خروج الدجالين والأئمة المضلين حتى لايلحقوا بهم، ويحذروا منهم أشد الحذر.
٣. ذكر أن القول في القدر، هو أول شرك يقع في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٧٢/٥، برقم ٣٠٥٤، قال أحمد شاكر رحمه الله إسناده حسن على الأقل.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في توحيد الأسماء والصفات

قبل الشروع في الحديث عن توحيد الأسماء والصفات وأهميته يحسن بنا معرفة المعنى اللغوي والشرعي لتوحيد الأسماء والصفات.

فالإسم في اللغة أصله من سمو، وهو من العلو، لأنه تنويه ودلالة على المعنى، فالسين والميم والواو أصل يدل على العلو، يقال سموت، إذا علوت، وسماوة الهلال وكل شيء: شخصه، والجمع سماو(١).

ويؤيد هذا المعنى قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ؛ حيث قال: «فإن الاسم مقصوده إظهار المسمى وبيانه، وهو مشتق من السمو وهو العلو كما قال النحاة البصريون، وقال النحاة الكوفيون هو مشتق من السمة وهي العلامة، وهذا صحيح في الاشتقاق الأوسط، وهو ما يتفق فيه حروف اللفظين دون ترتيبهما فإنه في كليهما (السين والميم والواو) والمعنى صحيح فإن السمة والسيما العلامة، ومنه يقال: وسمته أسمه كقوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾(٢)، ومنه التوسم كقوله: ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾(٣)، لكن اشتقاقه من السمو هو الاشتقاق الخاص الذي يتفق فيه اللفظان في الحروف وترتيبها، ومعناه أخص وأتم، فإنهم يقولون في تصريفه سميت ولا يقولون وسمت، وفي جمعه أسماء لا أوسام، وفي تصغيره سمي لا وسيم، ويقال لصاحبه مسمى لا يقال موسوم وهذا المعنى أخص»(٤).

وتعريفها في الاصطلاح: «الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها»(٥).

وهذا تعريف شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ للأسماء الحسنى، وهو تعريف جامع مانع اشتمل على ثلاثة أمور:

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٩٨/٣، مادة (سمو).

(٢) سورة القلم، آية:٩٨.

(٣) سورة الحجر، آية:٧٥.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٠٧/٦.

(٥) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ٣١/١.

الأمر الأول: أن الأسماء الحسنى هي التي يدعى الله بها، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾[(١)].

الأمر الثاني: أن الأسماء الحسنى هي التي جاءت في الكتاب والسنة، فلا سبيل لمعرفة الأسماء الحسنى إلا ماجاء عن طريق الوحي، فأسماء الله توقيفية، لانسمي الله عز وجل إلا بما سمى الله به نفسه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

الأمر الثالث: وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها، فأسماء الله تعالى أحسن الأسماء وأكملها على الإطلاق.

قال الشيخ العثيمين رحمه الله: «بالغة في الحسن غايته، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾، وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديرًا»[(٢)].

أما الصفة في اللغة، فالواو والصاد والفاء: أصل واحد، هو تحلية الشيء، ووصفته أصفه وصفا، والصفة: الأمارة اللازمة للشيء[(٣)].

تعريف الصفات اصطلاحاً: «ما قام بالذات الإلهية مما يميزها عن غيرها، ووردت به نصوص الكتاب والسنة»[(٤)].

وتوحيد الأسماء والصفات في الإصطلاح: «هو إفراد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في القرآن والسنة، والإيمان بمعانيها وأحكامها»[(٥)].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله هو: «اعتقاد انفراد الرب جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلالة والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من جميع الأسماء والصفات،

---

(١) سورة الحجر، آية:٧٥.

(٢) القواعد المثلى لابن عثيمين ١/٦.

(٣) المصدر السابق ٦/١١٥.

(٤) الصفات الالهية للتميمي ١/١٢.

(٥) معتقد أهل السنة والجماعة للتميمي ص:٢٩.

ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل»(١).

ولاشك أن التفقه في هذا التوحيد من أعظم العبادات وأشرف العلوم، لأن شرف العلم تبع لشرف المعلوم، وموضوع توحيد الأسماء والصفات يبحث في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، ومن عرف الله حق المعرفة حصل له من المحبة والخوف، والتوكل والخشية، ما يلزم به عبادته ﷻ، ويخلص له في ذلك، ويطيعه في السراء والضراء؛ رغبةً ورهبة.

ومن الأمور المعينة على معرفة الله هو التفقه في أسماء الله وصفاته، ومعرفة مدلولاتها ومقتضياتها، فإذا عرف العبد ذلك؛ أوجبت له محبة الله وخشيته في السراء والضراء، وهي من أعمال القلوب، التي لها تأثير كبير في إيمان العبد.

فالمؤمن إذا علم أن الله سميع لم يتكلم إلا بما يرضي الرب عز وجل، وإذا علم أن الله بصير لن تخطو قدماه إلى معصية؛ وهكذا يراقب الله في جميع أعماله ويخشاه ﷻ، ويخاف يوماً يرجع فيه إلى الله فيحاسبه على ما قدم لآخرته في دنياه، فيثمر له ذلك طاعةً وتقوىً لله عز وجل، وهذا من ثمرة هذا العلم المبارك.

وأما المسائل العقدية المتعلقة بالأوائل في توحيد الأسماء والصفات فقد جعلتها في ستة مطالب، وهي:

المطلب الأول: أول من ضحك له الرب تبارك وتعالى.

المطلب الثاني: أول من ينظر إلى الرب تبارك وتعالى.

المطلب الثالث: أول يوم ينظر فيه إلى الرب تبارك وتعالى.

المطلب الرابع: أول من يأتي إليهم الرب تبارك وتعالى في العرصات.

المطلب الخامس: أول من ابتدع الكلام في الصفات.

المطلب السادس: أول من ابتدع القياس الفاسد.

---

(١) القول السديد لابن سعدي ١/١٨.

المطلب الأول: أول من ضحك له الرب تبارك وتعالى.

إن منهج أهل السنة والجماعة هو إثبات صفة الضحك لله تعالى كما جاء في الأدلة الصحيحة الثابتة، وكما يليق بجلاله ﷻ، فهي من الصفات الفعلية لله تعالى، يفعلها سبحانه وتعالى كيف شاء ومتى شاء؛ من غير تمثيل ولا تكييف ولا تشبيه ولاتعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]، وهذا هو مذهب السلف الصالح في إثبات صفة الضحك لله ﷻ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على صفة الضحك لله تعالى: «هو من صفات أفعاله ﷻ التي لا يشبهه فيها شيء من مخلوقاته كصفات ذاته، وقد وردت هذه الصفة في أحاديث كثيرة لا سبيل إلى ردها، كما لا سبيل إلى تشبيهها وتحريفها»[2].

قال الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الضحك قريب من الفرح والرضا والمحبة، من حيث المعنى العام، وهو صفة من صفات الأفعال تقوم بالله تعالى كما يليق به، وهو من الصفات التي انفردت بها السنة إذ لم يرد ذكرها في القرآن الكريم، وهذا الانفراد لا يؤثر عند أهل السنة والجماعة، لأن ما ثبت بالسنة الصحيحة كالذي ثبت بالقرآن دون فرق، لأن القرآن نفسه يأمر الله فيه عباده بالأخذ بالسنة مطلقاً، جاءت "مؤكدة" أو جاءت "بانَيةً" ودون تفريق بين الأحكام والعقيدة»[3].

ومن الأدلة في إثبات هذه الصفة الفعلية لله تعالى، الحديث المشهور من قصة آخر أهل النار دخولاً الجنة؛ والذي جاء فيه:«...**فيقول: أي رب، لا أكونن أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك منه، قال له: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تمنه، فسأل ربه وتمنى...**» [4].

---

(١) سورة الشورى، آية: ١١.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ٥٩٣/٣.

(٣) الصفات الإلهية لمحمد أمان ٢٩١/١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، ١٢٨/٩، برقم ٧٤٣٧.

وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة: يقاتل هذا في سبيل الله، فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل، فيستشهد**»[1].

والأحاديث الدالة على إثبات صفة الضحك لله تعالى كثيرة، وليس هذا موضع بسطها، فلذا اقتصرت على دليلين فقط.

وأما ما ورد في أول من ضحك له الرب تبارك وتعالى، فكان ذلك في حق الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه لما حضرته الوفاة، فعن أسماء بنت يزيد بن سكن رضي الله عنها[2] قالت: لما توفي سعد بن معاذ رضي الله عنه صاحت أمه، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**ألا يرقأ[3] دمعك، ويذهب حزنك، فإن ابنك أول من ضحك الله له، واهتز له العرش**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب الجهاد ،باب الكافر يقتل المسلم ٢٤/٤، برقم ٢٨٢٦

(٢) أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية ثم الأشهلية، وكانت تكنى أم سلمة رضي الله عنها، يقال لها خطيبة النساء، شهدت اليرموك، وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها، وعاشت بعد ذلك دهراً، ينظر: الاستيعاب ١٧٨٧/٤، أسد الغابة ١٨/٦،الإصابة ٢١/٨.

(٣) رقأ الدمع، يرقأ رقأ ورقوءاً، سكن، وكذلك الدم، وأرقأ الله دمعه، سكنه، ينظر: الصحاح ٥٣/١.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥٦٣/٤٥ واللفظ له، وفي فضائل الصحابة ٨٢٤/٢، والحاكم في مستدركه ٢٢٨/٣، وقال: «صحيح الإسناد،ولم يخرجاه»، وقال الذهبي في التلخيص:«صحيح»، والطبراني في الكبير ١٢/٦، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٦٦/٧، وابن أبي عاصم في السنة ٢٤٦/١، وابن خزيمة في التوحيد ٥٨٠/٢، وقال: «لست أعرف إسحاق بن راشد هذا،ولا أظنه الجزري، أخو النعمان بن راشد»، وجزم بذلك ابن حجر في اتحاف المهرة ٨٦٥/١٦، قال الألباني في ظلال الجنة ٢٤٦/١: «إسناده ضعيف رجاله كلهم ثقات غير إسحاق بن راشد فإنه مجهول لا يعرف وهو غير الجزري فإنه أقدم طبقة منه».

وقد اختلف في تأويل اهتزاز العرش الوارد في الحديث على عدة أقوال[1]:

القول الأول: أن المراد بالعرش هنا هو السرير الذي كان عليه سعد واهتزازه تحركه، وقد ذهب إلى هذا القول البراء بن عازب، وابن عمر رضي الله عنهما، ولكن ابن عمر رضي الله عنهما رجع عن قوله هذا، وجزم بأنه اهتزاز عرش الرحمن.

القول الثاني: أن المراد باهتزاز العرش استبشاره وسروره بقدوم روحه، وقد استدل هؤلاء بما جاء في رواية: «**اهتز العرش فرحا به**».

القول الثالث: أن المراد اهتزاز أهل العرش وهم حملته وغيرهم من الملائكة، والمراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول.

القول الرابع: أنه كناية عن تعظيم شأن وفاته، والعرب تنسب الشيء العظيم إلى أعظم الأشياء؟ فيقولون: أظلمت لموت فلان الأرض وقامت له القيامة، وفي هذه منقبة عظيمة لسعد.

القول الخامس: أن الاهتزاز هو على حقيقته، وأن العرش تحرك لموت سعد فرحا بقدومه، وقد جعله الله في العرش ليكون فيه منقبة لسعد، وهذا هو ما دل عليه ظاهر الحديث، وهو أمر لا ينكر من جهة العقل، لأن العرش إنما هو جسم من الأجسام يقبل الحركة والسكون، وهذا هو ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية[2]، وهو قول السلف.

وهذه تُعَدُّ خِصِّيصَّة لسعد بن معاذ رضي الله عنه -إن صح الحديث- حيث أنه أول من ضحك له المولى سبحانه وتعالى وكذلك اهتزاز العرش له كما ثبت من أحاديث أخرى منها حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: وجنازة سعد بن معاذ رضي الله عنه بين أيديهم«**اهتز له عرش الرحمن**»[3].

---

(١) العرش للذهبي ٤١٨/١، باختصار.

(٢) ينظر: الرسالة العرشية لابن تيمية ١١/١.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه٦٨٩/٥، برقم ٣٨٤٨ ، وصححه الألباني في ظلال الجنة ٢٤٧/١.

وكذلك ما رواه جابر رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: «**اهتز العرش لموت سعد بن معاذ**»(١).

والله تعالى أعلى وأعلم.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من ضحك له الرب تبارك وتعالى:

١. إثبات صفة الضحك لله تبارك وتعالى كمايليق بجلاله، كما هو معتقد السلف من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل، ولايلزم من إثبات صفة الضحك لله تعالى، تكييفها أو تشبيه المخلوقين بها.

٢. فضيلة الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه الذي اهتز له عرش الرحمن، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسعد وهو يدفن: «**إن هذا العبد الصالح تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء**»(٢).

٣. الرد على من أوَّل صفة الضحك عن الله تعالى:

١/ فمنهم من قال أن المراد لازم الضحك وهو الرضا، كما قال بذلك القسطلاني: «(حتى يضحك الله) عز وجل (منه) المراد لازم الضحك وهو الرضا»(٣).

٢/ ومنهم من أوّل صفة الضحك بحصول الثواب، ويرد عليه حديث: «فإذا ضحك منه قال له ادخل الجنة»، والثواب حصل بعد الرضى.

قال أبو سعيد الدارمي رحمه الله(١): «فادعى المعارض في تفسير الضحك أن ضحك الرب رضاه ورحمته، وصفحه عن الذنوب، ألا ترى أنك تقول: رأيت زرعا يضحك، فيقال

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه، ٣٥/٥، برقم ٣٨٠٣.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٣٣٩/٧، برقم ٨١٦٧، والحاكم في مستدركه ٢٢٧/٣، برقم ٤٩٢٣، قال الذهبي في التلخيص: «صحيح».

(٣) إرشاد الساري للقسطلاني ٤٠٢/١٠.

لهذا المعارض: قد كذبت فيما رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الضحك شبهت ضحكه بضحك الزرع؛ لأن ضحك الزرع ليس بضحك، إنما هو خضرته ونضارته، فجعل مثلا للضحك، فعمن رويت هذا التفسير من العلماء، أن ضحك الرب رضاه ورحمته؟ فسمه وإلا فأنت المحرف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأويل ضلال، إذ شبهت ضحك الله الحي القيوم الفعال لما يشاء ذي الوجه الكريم، والسمع السميع والبصرالبصير، بضحك الزرع الميت الذي لا ضحك له، ولا قدرة له، ولا يقدر على الضحك وإنما ضحكه يمثل، وضحك الله ليس يمثل، ويحك! إن ضحك الزرع نضارته وزهرته وخضرته، فهو أبدا ما دام أخضر ضاحك لكل أحد للولي والعدو ولمن يسقيه، ولمن يحصده، لا يقصد بضحكه إلى شيء، والله يقصد بضحكه إلى أوليائه عندما يعجبه فعالهم، ويصرفه عن أعدائه فيما يسخطه من أفعالهم، فالدليل من فعل الله أنه يضحك إلى قوم ويصرفه عن قوم، أن ضحك الزرع مثل على المجاز، وضحك الله أصل وحقيقة للضحك، ويضحك كما يشاء، والزرع أبدا نضارته وخضرته التي سميته ضحكا قائم أبدا حتى يستحصد.

وأما قولك: إن ضحكه رضاه ورحمته، فقد صدقت في بعض؛ لأنه لا يضحك إلى أحد إلا عن رضى فيجتمع منه الضحك والرضا، ولا يصرفه إلا عن عدو وأنت تنفي الضحك عن الله، وتثبت له الرضا وحده، ولئن جزعت من حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الضحك حتى نفيته عن الله بمعنى ضحك الزرع، مالك من راحة فيما روى عنه ابن مسعود رضي الله عنه مما يكذب دعواك ويستحيل به تفسيرك»[2].

قال الشيخ غالب عواجي – حفظه الله– في الرد على من أوّل صفات الله تعالى، كصفة الضحك: «كل تلك التأويلات باطلة ومخالفة للحق الذي قررته الشريعة الإسلامية ، ولا يلزم من إثباتها أي محذور ، وليس فيه أي تشبيه لله بخلقه ، خصوصاً وقد مدح الله

---

(١) عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد، أبو سعيد التميمي، الدارمي، السجستاني، ولد: قبل المائتين بيسير، وتوفي في ذي الحجة سنة ٢٨٠هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٣١٩/١٣، تذكرة الحفاظ ١٤٦/٢، طبقات الشافعية ٣٠٢/٢.

(٢) النقض على بشر المريسي للدرامي ٧٧١/٢.

نفسه بها ، ولا يتصور التشبيه إلا من لم يعرف الحق ولم يطلع على مذهب السلف ، ذلك أنها صفات تليق بالله عز وجل وكما لا نعرف ذاته فكذلك لا نعرف كيفية صفاته»[١].

٤. الرد على من نفى صفة الضحك عن الله تعالى.

(١) فرق معاصرة لغالب عواجي ١٢٤٨/٣.

المطلب الثاني: أول من ينظر إلى الرب تبارك وتعالى.

أهل السنة الجماعة يعتقدون أنهم لن يروا ربهم حتى يموتوا، وأنهم سيرونه يوم القيامة في العرصات وفي الجنة؛ كما وعدهم ربهم في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد ثبتت رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الأدلة المتواترة من الكتاب والسنة، والأدلة على ذلك مستفيضة؛ ومن ذلك:

١/ قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[(١)]،

روى ابن جرير الطبري بسنده قوله: «قال: تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تنظر وهي تنظر إلى الخالق»[(٢)].

٢/ وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[(٣)].

قال البغوي رحمه الله: «أي: للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى، وهي الجنة وزيادة وهي النظر إلى وجه الله الكريم، وهذا قول جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر الصديق وحذيفة وأبو موسى وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم»[(٤)].

٣/ وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[(٥)].

أخرج الإمام اللالكائي رحمه الله[(٦)] بسنده: «قال رجل لمالك: يا أبا عبد الله هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ قال: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعيِّر الله الكفار»[(٧)].

---

(١) سورة القيامة، آية:٢٢.

(٢) جامع البيان للطبري ٥٠٧/٢٢.

(٣) سورة يونس، آية:٢٦.

(٤) معالم التنزيل للبغوي ٤١٧/٢.

(٥) سورة المطففين، آية:١٥.

(٦) هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، الالكائي الإمام أبو القاسم، توفي في رمضان سنة ٤١٨هـ، ينظر: تذكرة الحفاظ ١٨٩/٣، سير أعلام النبلاء ٤١٩/١٧

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٥١٨/٣.

٤/ وفي الحديث عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنظر إلى القمر ليلة – يعني البدر – فقال:«**إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته...**»[١].

وفي ذلك يقول الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في منظومة سلم الوصول[٢]:

وإنه يرى بلا إنكار   في جنة الفردوس بالأبصار
كل يراه رؤية العيان   كما أتى في محكم القرآن
وفي حديث سيد الأنام   من غير ما شك ولا إيهام
رؤية حق ليس يمترونها   كالشمس صحوا لا سحاب دونها
وخص بالرؤية أولياؤه   فضيلة وحجبوا أعداؤه

وأما الأولية في النظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى فلم أجد دليلاً صحيحاً يدل عليها إلا ما أثر عن الحسن البصري رحمه الله[٣]، في قوله: «أول من ينظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى الأعمى»[٤]، وكذلك حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «**أول من ينظر إلى الله عز وجل يوم القيامة من كان ضريرا**»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر ١/١١٥، برقم ٥٥٤.

(٢) معارج القبول لحافظ الحكمي ١/٣١.

(٣) الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار الأنصاري، مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرا ويدلس، رأس أهل الطبقة الثالثة، مات سنة ١١٠هـ، وقد قارب ٩٠سنة، ينظر: تقريب التهذيب ١/١٦٠.

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/٥٢٣، وسنده فيه جهالة عن أبي الأشهب، والله تعالى أعلم بصحته.

(٥) ذكره الديلمي في الفردوس ١/٥٥، عن سمرة بن جندب به مرفوعاً.

وأيضاً قول الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن أول من ينظر إلى الله في الجنة الأضراء، ثم الرجال، ثم النساء، بأعين رؤوسهم، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته**»، والإيمان بهذا واجب وإنكاره كفر»[(١)].

وهذا الترتيب يحتاج إلى دليل؛ فمن سعادة المرء أن يوفق لتحقيق العقيد السليمة المبنية على الدليل من الكتاب والسنة، ومن أعظم ذلك العلم بالله وبأسمائه وصفاته.

وأما الحديث الذي يروى عن أنس رضي الله عنه؛ وجاء فيه: «**يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه؟** قال: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾[(٢)]، قال: «**جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي**»[(٣)]، فلا يدل على الأولية، فالصواب إذاً أن المؤمنون جميعاً ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة كما في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[(٤)]، وفي الحديث عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى القمر ليلة – يعني البدر – فقال: «**إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته...**»[(٥)] وهذا الخطاب يشمل الأعمى والبصير، والله تعالى أعلى وأعلم.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من ينظر إلى الرب تبارك وتعالى :

١. بيان أن رؤية الله تعالى يوم القيامة حق، وأن المؤمنون يرون ربهم بنص الكتاب والسنة.

٢. الرد على الفرق التي أنكرت رؤية الله تعالى يوم القيامة، وعلى رأسهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

---

(١) شرح السنة للبربهاري ١/٨٦.

(٢) سورة البقرة، آية:٣٢.

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ٥٧٨، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة ١٢/ ٥٩٨: «وهذا إسناد ضعيف».

(٤) سورة القيامة، آية:٢٣،٢٢.

(٥) سبق تخريجه ص:٩٢.

المطلب الثالث: أول يوم يُنظر فيه إلى الرب تبارك وتعالى.

رؤية الله عز وجل ممتنعة في الدنيا كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وكما تقرر ذلك من أدلة الكتاب والسنة؛ قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سأل الله الرؤية في الدنيا وإن الله تجلى للجبل فجعله دكا فأعلمهم بذلك لأنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة»[2].

ولما جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال يوم حذر الناس الدجال: «**إنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه من كره عمله، أو يقرؤه كل مؤمن**»، وقال:«**تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت**»[3].

وأما رؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الآخرة فهي ثابتة بنص الكتاب والسنة؛ فضلاً من الله ونعمة، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة وأنهم يرون الله عز وجل يوم القيامة بأبصارهم، وذلك ثابت بدلالة الكتاب والسنة، قال تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[5]، ويرونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في العرصات كما في حديث جابر: «**فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك**»[6].

---

(١) سورة الأعراف، آية:١٤٣.

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٦/٤٤٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن ، باب ذكر ابن صياد، ٤/٢٢٤٥، برقم ١٦٩.

(٤) سورة القيامة، آية:٢٢،٢٣.

(٥) سورة يونس، آية:٢٦.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة،١/١٧٧، برقم ١٩١.

ويرونه ﷻ في الجنة لحديث صهيب[(١)]، عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**»[(٢)].

وأما الكفار فإنه محجوبون عن ربهم بسبب فعالهم؛ قال تعالى:﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾[(٣)]، وهل يرونه قبل الاحتجاب عنهم على أقوال.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: «وتنازع المتأخرون المنتسبون إلى السنة في الكفار هل يحجبون عنه في الآخرة مطلقا أو يرونه ثم يحجبون؟ على ثلاثة أقوال:فقال طوائف من أهل الكلام والفقه وغيرهم من أصحاب مالك: لا يرونه بحال، وقالت طائفة منهم أبو الحسن بن سالم وغيره: بل يرونه ثم يحجب عنهم كما يدل على ذلك أحاديث معروفة، وقال أبو بكر بن خزيمة:"بل يراه المنافقون من هذه الأمة دون غيرهم»[(٤)].

فعلى قول من قال بأن الكفار يرونه، ثم يحتجب عنهم؛ فتكون أول الرؤية في المحشر من جميع الخلائق، قال الإمام اللالكائي: «لأنهم قد رأوه أول مرة في المحشر، ولذا لما ظهر لهم في صورة أخرى وقال: أنا ربكم! قالوا: لا»[(٥)]، وقال ابن حجر: «ووقع في رواية هشام بن سعد ثم نرفع رؤوسنا وقد عاد لنا في صورته التي رأيناه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فنقول نعم أنت ربنا، وهذا فيه إشعار بأنهم رأوه في أول ما حشروا والعلم عند الله»[(٦)]

---

(١) صهيب بن سنان بن مالك النمري الرومي، أبو يحيى، كان من أواخر من هاجر إلى المدينة، توفي سنة ٣٨هـ، وهو ابن٧٠سنة،ينظر:الاستيعاب٢/٧٢٦،أسد الغابة٢/٤١٨،الإصابة٣/٣٦٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم، ١/١٦٣، برقم ١٨١.

(٣) سورة المطففين، آية:١٥.

(٤) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة لابن تيمية ١/٤٧١.

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٦/٢٩.

(٦) فتح الباري لابن حجر ١١/٤٥١.

وعلى قول من قال بأن الكفار لايرونه ﷻ بحال، فتكون أول الرؤية من المؤمنين في العرصات لما أخرجه الطبراني بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «ويبقى محمد صلى الله عليه وسلم وأمته»، قال: «فيتمثل الرب عز وجل فيأتيهم، فيقول: ما لكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟»، قال: «فيقولون إن لنا لإلها ما رأيناه بعد»[1].

ولحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟**»، قلنا: لا، قال: «**فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ، إلا كما تضارون في رؤيتهما**» ثم قال:«**ينادي مناد: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله، من بر أو فاجر، وغبرات من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم، لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون في جهنم، ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتم، لم يكن لله صاحبة، ولا ولد، فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم، ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا مناديا ينادي: ليلحق كل قوم بما**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٩/ ٣٥٧، برقم ٩٧٦٣، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٢٧/٣: وقال: «رواه ابن أبي الدنيا والطبراني من طرق أحدها صحيح واللفظ له والحاكم وقال صحيح الإسناد»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤٣/١٠: «رواه كله الطبراني من طرق، ورجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني، وهو ثقة».

كانوا يعبدون، وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا...»(١).

ولما سبق فإن أول يوم ينظر فيه إلى الرب تبارك وتعالى هو يوم القيامة، ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله عز وجل**»(٢)، فيُرى الرب تبارك وتعالى في العرصات وفي الجنة، والخلاف إنما هو رؤيته سبحانه وتعالى لجميع الخلائق في المحشر.

ورؤية المؤمنين لربهم عز وجل رؤية لا يشترط فيها الإحاطة، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن، إلا كخردلة في يد أحدكم»(٣).

قال شارح الطحاوية رحمه الله: «أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، فقوله:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾(٤)، يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾(٥)، فلم ينف موسى الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علما، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ ، ١٢٩/٩، برقم ٧٤٣٩.

(٢) أخرجه الدار قطني في الرؤية ١٧٧/١، وسنده ضعيف لأن فيه كوثر بن حكيم وهو متروك كما حكاه الدار قطني وغيره، وقال ابن معين ليس بشيء، ينظر: ميزان الاعتدال ٤١٦/٣.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٤٦/٢٠.

(٤) سورة الأنعام، آية:١٠٣.

(٥) سورة الشعراء، آية:٦١.

كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية. بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه»[1].

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن المعلوم – ولله المثل الأعلى – أن الواحد منا إذا كان عنده خردلة، إن شاء قبضها وأحاطت قبضته بها، وإن شاء جعلها تحته، وهو في الحالين مباين لها، عال عليها فوقها من جميع الوجوه، فكيف بالعظيم الذي لا يحيط بعظمته وصف واصف، فلو شاء لقبض السماوات والأرض اليوم، وفعل بها كما يفعل بها يوم القيامة، فإنه لا يتجدد به إذ ذاك قدرة ليس عليها الآن، فكيف يستبعد العقل مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم وهو على عرشه فوق سماواته؟ أو يدني إليه من يشاء من خلقه؟ فمن نفى ذلك لم يقدره حق قدره، وفي حديث أبي رزين المشهور الذي رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رؤية الرب تعالى: فقال له أبو رزين: كيف يسعنا – يا رسول الله – وهو واحد ونحن جميع؟ فقال: سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله: هذا القمر، آية من آيات الله، كلكم يراه مخليا به، والله أكبر من ذلك، وإذ قد تبين أنه أعظم وأكبر من كل شيء. فهذا يزيل كل إشكال، ويبطل كل خيال»[2].

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول يوم يُنظر فيه إلى الرب تبارك وتعالى:

١. إثبات صفة الضحك؛ كما يليق به سبحانه وتعالى.
٢. الرد على الصوفية الذين يقولون بوحدة الوجود وتجلي الرب في الدنيا.
٣. بيان مجانبة الصواب للإمام أبو سعيد الدرامي رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث جعل معرفتهم إياه بصفاته التي تعرف بها إليهم في الدنيا[3].
٤. الرد على الفرق الضالة التي أنكرت رؤية الله تعالى في الآخرة، ومنهم الجهمية والمعتزلة.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن ابي العز ٢١٥/١.

(٢) المصدر نفسه ٣٧٤/٢.

(٣) ينظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان ١١٦/٢.

المطلب الرابع: أول من يأتي إليهم الرب تبارك وتعالى في العرصات .

يجمع الله ﷻ الأولين والآخرين ليوم القيامة لفصل القضاء بينهم فيما كانوا فيه يختلفون، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾(١)، فيجيء المولى ﷻ مجيئاً حقيقي يليق به ﷻ، قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾(٣)، وهي صفة فعلية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة، وهي صفة يفعلها سبحانه وتعالى كيف شاء ومتى شاء؛ ومنهج أهل السنة والجماعة هو إثباتها من غير تمثيل ولا تكييف ولا تشبيه ولاتعطيل، كما هو سائر الصفات.

فأول من يأتيهم المولى عز وجل يوم القيامة هم أهل الموقف وذلك لفصل القضاء، ومن الأدلة على ذلك حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء**»، قال: «**وينزل الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادي مناد أيها الناس: ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا أن يولي كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدين، أليس ذلك عدلا من ربكم؟ قالوا: بلى**»، قال: «**فلينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون في الدنيا**»، قال: «**فينطلقون ويمثل لهم أشياء ما كانوا يعبدون، فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر، وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون**»، قال: «**ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيرا شيطان عزير، ويبقى محمد** صلى الله عليه وآله وسلم **وأمته**»، قال: «**فيتمثل الرب عز وجل فيأتيهم فيقول: ما لكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟**» قال: «**فيقولون إن لنا**

---

(١) سورة الواقعة، آية: ٤٩،٥٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٠.

(٣) سورة الفجر، آية: ٢٢.

لإلها ما رأيناه بعد، فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناها، قال: فيقول: ما هي؟، فيقولون: يكشف عن ساقه»، قال: «عند ذلك يكشف عن ساق فيخر كل من كان بظهره طبق، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي[١] البقر يريدون السجود فلا يستطيعون، وقد كان يدعون إلى السجود وهم سالمون، ثم يقول: ارفعوا رءوسكم، فيرفعون رءوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نورا مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نورا أصغر من ذلك، حتى يكون رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويفيء مرة، فإذا أضاء قدم قدمه فمشى، وإذا طفئ قام»، قال: «**والرب عز وجل أمامهم حتى يمر في النار فيبقى أثره كحد السيف دحض مزلة**»[٢].

أما إتيانه للمؤمنين، بعد أن تتبع كل أمة ما كانت تعبد حتى يتساقطوا في النار، فهو إتيان خاص ليميز الله المؤمن من المنافق، فيكشف عن ساق وهي علامة من الرب تبارك وتعالى للمؤمنين، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴾[٣]، ثم إنه يكون بعد فصل القضاء.

والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) كصياصي البقر: يعني قرونها وإنما سميت صياصي لأنها حصونها التي تحصن بها من عدوها، ينظر: غريب الحديث للقاسم بن سلام ٢/٨٤.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٩/٤١٦، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/٢٢٧: «وقال: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني من طرق أحدها صحيح واللفظ له والحاكم وقال صحيح الإسناد»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٤٣: «رواه كله الطبراني من طرق، ورجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني، وهو ثقة».

(٣) سورة القلم، آية:٤٢،٤٣.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط الفائدة الآتية، من مسألة أول من يأتي إليهم الرب تبارك وتعالى في العرصات:

١. ما جاء في الحديث: «**فيتمثل الرب عز وجل فيأتيهم فيقول: ما لكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟**» فيه إثبات لصفة المجيء والإتيان والنزول كما يليق به سبحانه وتعالى، والرد على من أول مجيء الرب تبارك وتعالى.

المطلب الخامس: أول من ابتدع الكلام في الصفات.

لقد أثبت الله ﷻ لنفسه أسماءً حسنى وصفاتاً عُلَى، كما جاء ذلك في كتابه العزيز، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ، وقد تلقى ذلك الصحابة بالقبول الذين شاهدوا التنزيل، ودرجت الأمة على الأيمان بأسماء الله تعالى وصفاته وإثباتها من غير تشبيه ولا تكييف ولاتعطيل ولاتمثيل.

ولم يكن أحد من المسلمين تكلم في صفات الله تعالى حتى جاء الجعد بن درهم[1] فقال على الله قولاً عظيماً لم يسبقه إليه أحد فزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما، فأنكر جميع الصفات، وكان ذلك في أواخر عصر التابعين، وفي أوائل المائة الثانية.

قال البيهقي بعد أن ساق كلام الإمام البخاري عن قول المعطلة بخلق القرآن:«وقد روينا نحو هذا عن جماعة أخرى من فقهاء الأمصار وعلمائهم رضي الله عنهم، ولم يصح عندنا خلاف هذا القول عن أحد من الناس في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين وأول من خالف الجماعة في ذلك الجعد بن درهم»[2].

قال ابن العماد الحنبلي[3]: «**والجعد هذا من أول من نفى الصفات**، وعنه انتشرت مقالة الجهمية، إذ ممن حذا حذوه في ذلك الجهم بن صفوان، عاملهما الله تعالى بعدله»[4]

---

(١) الجعد بن درهم، مؤدب مروان الحمار، أصله من خراسان، مبتدع ضال، أول من قال بخلق القرآن، كان زنديقاً، هو الذي قتله خالد بن عبد الله القسري بالكوفة يوم الأضحى، ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٣٣/٥، ميزان الاعتدال ٣٩٩/١.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ٦١٦/١.

(٣) عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح، مؤرخ، فقيه، عالم بالأدب، ولد في دمشق سنة ١٠٣٢هـ، ومات بمكة حاجاً سنة ١٠٨٩هـ،ينظر: الأعلام٢٩٠/٣

(٤) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١١٢/٢.

قال البيهقي: «**وإنما أحدث هذه البدعة الجعد بن درهم**، ومنه كان يأخذ جهم، فذبحه خالد بن عبد الله القسري[١] يوم الأضحى»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية حينما سأل عن تأويل الصفات: «الحمد لله رب العالمين، هذه مسألة كبيرة عظيمة القدر اضطرب فيها خلائق من الأولين والآخرين من أوائل المائة الثانية من الهجرة النبوية فأما المائة الأولى فلم يكن بين المسلمين اضطراب في هذا وإنما نشأ ذلك في أوائل المائة الثانية لما ظهر الجعد بن درهم وصاحبه الجهم بن صفوان ومن اتبعهما من المعتزلة وغيرهم على إنكار الصفات»[٣].

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط الفائدة الآتية من مسألة أول من ابتدع الكلام في الصفات:

١. أن الإنحراف في باب الأسماء والصفات لم يكن على عهد الرعيل الأول من الصحابة والتابعين، بل كان في أوائل القرن الثاني، وبذلك يتبين زمن نشوء البدع، وأنها محدثة في الدين.

---

(١) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، أمير الحجاز، ثم الكوفة، ليست له رواية عندهما، قتل سنة ١٢٦هـ، مقبول، من الرابعة، ينظر: تقريب التهذيب ١/١٨٩.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ١/٣٣١.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦/٣٣.

المطلب السادس: أول من ابتدع القياس الفاسد.

قال الأزهري[(١)]: «المقايسة: مفاعلة من القياس، قال: ويقال: هذه خشبة قيس إصبع، أي: قدر إصبع، وقد قاس الشيء يقيسه قياسا وقيسا، أي: قدره، والمقياس: المقدار»[(٢)].

قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «واعلم رحمك الله أنه ليس في السنة قياس، ولا يُضرب لها الأمثال، ولا تتبع فيها الأهواء، وهو التصديق بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا كيف ولا شرح، ولا يقال: لم ولا كيف؟»[(٤)].

وقال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٥)]: «وأما علم المقاييس فأصله في السنة، ثم في علم السلف بالقياس، ثم قد جاء في ذم القياس أشياء حملوها على القياس الفاسد، وهو القياس على غير أصل، وهو عمدة كل مبتدع»[(٦)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر كلام بعض طوائف الجهمية عن إثبات وحدانية الله بإثباتهم الوجود المطلق له سبحانه وتعالى: «ومنشأ هذا من القياس الفاسد والتمثيل برب العالمين والتسوية بينه وبين غيره كما قال تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ

---

(١) محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي اللغوي الشافعي، أبو منصور، كان رأسا في اللغة والفقه، ثقةً ثبتاً ديناً، مات في ربيع الآخر سنة ٣٧٠هـ، عن ٨٨سنة، ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٢٨/١٢.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ١٧٩/٩، مادة (قيس).

(٣) الحسن بن علي بن خلف البربهاري، أبو محمد، كان داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم، توفي في رجب سنة ٣٢٨هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٩٢/١٥، الوافي بالوفيات ٩٠/١٢.

(٤) شرح السنة للبربهاري ٤١/١.

(٥) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، توفي سنة ٧٩٠هـ، ينظر: الأعلام ٧٥/١.

(٦) الاعتصام للشاطبي ٢٥٦/١.

﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٨ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[١]، وأصل الإشراك الذي هو من القياس الفاسد هو من إبليس أول من قاس قياساً»[٢].

قال الحسن: «أول من قاس إبليس قال:﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[٣]»[٤].

وقال ابن سيرين قال: «أول من قاس إبليس وإنما عبدت الشمس والقمر بالمقاييس»[٥].

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما ما روي عن السلف في ذم القياس فهو عندنا قياس على غير أصل، أو قياس يرد به أصل»[٦].

وذلك أن إبليس عندما جاءه النص بالسجود لآدم، في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[٧]، عارضه بعقله فظن أنه خيراً من آدم، وكان قياسه أن النار خير من الطين ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[٨]، فرد أمر الله ولم يمتثل؛ وهو – أي إبليس– إمام الكفار والمشركين في شبههم وتأويلاتهم، فكفار قريش قاسوا دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم بتوحيد الله

---

(١) سورة الشعراء، آية:٩٤ – ٩٩.

(٢) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٣٧٦/٤.

(٣) سورة الأعراف، آية:١٢.

(٤) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ٨٩٢/٢، برقم ١٦٧٤، والطبري في تفسيره ٨٧/١٠، والدارمي في سننه ٢٨٠/١، برقم ١٩٦، وقال أبو الأشبال الزهيري: إسناده حسن، وقال الشوكاني في فتح القدير ٢٢٠/٢: إسناده صحيح إلى الحسن.

(٥) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ٨٩٢/٢، برقم ١٦٧٥، والطبري في تفسيره ٨٧/١٠، والدارمي في سننه ٢٨٠/١، برقم ١٩٥، وقال أبو الأشبال الزهيري: إسناده حسن، وقال الشوكاني في فتح القدير ٢٢٠/٢: إسناده صحيح إلى الحسن.

(٦) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٨٩٠/٢.

(٧) سورة الأعراف، آية:١١.

(٨) سورة الأعراف، آية:١٢.

على ماكانوا عليه من الشرك والإنحراف عن الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام، فأنكروا التوحيد بل وعجبوا من ذلك ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[1]، فكان أول من قاس هو إبليس، وتبعه على ذلك المشركين على مر العصور.

وفي باب الأسماء والصفات وقع هذا القياس الفاسد، فقاسوا صفات الخالق بصفات المخلوقين فوقعوا في المحظور، وسواءً أكان ذلك في الأمم السابقة أم في الجاهلية؛ أو حتى بعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الفرق الضالة عن الهدي النبوي، وكان إمام الجميع في ذلك هو إبليس، وهو قد توعد بإضلال بني آدم من قبل، قال تعالى:﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾[2].

ومن ذلك ما وقع فيه من انحرف في هذا الباب من الفرق، فإما تعطيل وإما تشبيه وإما تكييف، وذلك لأنهم شبهوا صفات الله تعالى بصفات المخلوقين، فمنهم من إدى به ذلك إلى إنكار صفات الله تعالى بالكلية كالجهمية، وسبب ذلك هو هذا القياس الفاسد.

ومن ذلك إنكار علم الله تعالى، ومن أفعال الجاهلية وقياسهم الباطل: قياس الخالق على المخلوق، وهذا من الأقيسة الفاسدة التي اقتدوا فيها بإبليس، فقاسوا الخالق على المخلوق في كثير من الصفات كالسمع والعلم.

كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «أن نفراً كانوا يجلسون في الحجْر يخفض بعضهم لبعض الكلام ويسره، ثم يقول: إن الله لا يعلم ما نقول: لأنه ليس معنا».

---

(١) سورة ص، آية:٥.

(٢) سورة الأعراف، آية:١٦،١٧.

الفصل الثاني:

المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الإيمان بالله وملائكته وكتبه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الإيمان بالله.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الإيمان بالملائكة.

المبحث الثالث:المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الإيمان بالكتب.

المبحث الأول:المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الإيمان بالله.

قبل الشروع في الحديث عن الإيمان بالله يحسن بنا معرفة المعنى اللغوي والشرعي للإيمان.

قال الأزهري: «وأما الإيمان فهو مصدر: آمن يؤمن إيمانا؛ فهو مؤمن، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه: التصديق»(١) .

وهذا التعريف لا يسلّم لأهل اللغة، لإن منهم من يوجه المعاني الشرعية حسب اعتقاده الفاسد، ثم إن اللغة ليست حجة على الشريعة، وهي لن تعدو قدرها في رسم حدود التعاريف إلى تبيين المعاني الشرعية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق»(٢).

وقال الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بل الإيمان في اللغة: الإقرار بالشيء عن تصديق به، بدليل أنك تقول: آمنت بكذا وأقررت بكذا وصدقت فلانا ولا تقول: آمنت فلاناً، إذا فالإيمان يتضمن معنى زائداً على مجرد التصديق، وهو الإقرار والاعتراف المستلزم للقبول للأخبار والإذعان للأحكام، هذا الإيمان»(٣).

وحده في الشرع كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: « ولهذا كان القول: إن الإيمان قول وعمل، عند أهل السنة من شعائر السنة، وحكى غير واحد الإجماع على ذلك، وقد ذكرنا عن الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ما ذكره من الإجماع على ذلك قوله في الأم، وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: إن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر»(٤).

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٣٦٨/١٥، مادة (أمن).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦٣٨/٧.

(٣) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين ٥٤/١.

(٤) الإيمان لابن تيمية ٢٤١/١.

وجميع التعريفات الشرعية للإيمان تدور حول هذا المعنى، وإن اختلفت العبارات في ذلك، إلا أن المقصود واحد وهو اشتماله على القول والعمل.

والإيمان بالله هو أصل الأصول وأول أركان الإيمان، إذا لايعتد ببقية الأركان إلا بعد تحقيق هذا الركن العظيم، ودليل ذلك حديث جبريل عليه السلام: «قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(١)]، فأضاف الملائكة والكتب والرسل إلى الركن الأول وهو الإيمان بالله تعالى.

فسعادة المرء وفلاحه منشؤها النطق بالشهادتين، والتسليم والإستسلام لأمر الله تعالى، فالمرء حياته ونسكه ومماته كلها لله رب العالمين، فإن صرف شيئا منها لغير الله هلك.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن العمل الصالح لايقبل إلا بشرط الإيمان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[(٢)]، فبسبب الإيمان يهنأ المرء بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[(٤)].

وأما المسائل العقدية المتعلقة بالأوائل في الإيمان بالله فقد جعلتها في ثلاثة مطالب وهي:

المطلب الأول: أول من آمن من العرب بعد الأنصار.

المطلب الثاني: أول من آمن من بني إسرائيل.

المطلب الثالث: أول ما دخل النقص على بني إسرائيل.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، ١/٣٦، برقم ٨.

(٢) سورة النحل، آية ٩٧.

(٣) سورة طه، آية ٧٥.

(٤) سورة الإسراء، آية ١٩.

المطلب الأول: أول من آمن من العرب بعد الأنصار.

لم تدع المواجهات التي كانت بين المسلمين ومشركي مكة فرصة للدعوة أن تنتشر؛ حتى جاء صلح الحديبية ووضعت الحرب أوزارها؛ فبدأت مرحلة أخرى من مراحل الدعوة، فبدأت مكاتبات النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الملوك في مشارق الأرض ومغاربها، ومنها رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى كسرى[١]، الذي غضب وطرد رسولَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدائن[٢]، وهو عبدالله بن حذافة السهمي رضي الله عنه[٣]، وأرسل إلى نائبه في اليمن باذان[٤]، أن يأتي له بالنبي صلى الله عليه وسلم، فأرسل باذان رجلين إلى المدينة، فعادا إليه بخبر مقتل كسرى، وما إن جاءه الخبر بذلك من بلاد فارس[٥]، حتى شرح الله صدر باذان للإسلام، فآمن؛ وآمن معه الأبناء[٦]، وكذلك أهل اليمن، فكانوا أول من آمن من العرب بعد الأنصار، فعن

---

(١) كسرى: لقب ملوك الفرس، بفتح الكاف وكسرها، وهو معرب، وأصله خسرى فعرب، فقيل: كسرى، وجمع كسرى أكاسرة على غير قياس، ينظر: تهذيب اللغة ١٠/٣١، الصحاح ٢/٨٠٦.

(٢) المدائن: سمتها العرب كذلك، لأنها كانت سبع مدن من بناء الأكاسرة بين دجلة والفرات، ينظر: معجم البلدان ٥/٧٤، آثار البلاد ١/٤٥٣.

(٣) عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي، أبو حذافة أو أبوحذيفة، توفي بمصر في خلافة عثمان رضي الله عنه، ينظر: الاستيعاب ٣/ ٨٨٨، أسد الغابة ٣/ ١٠٧، الإصابة ٤/٥٠.

(٤) باذان الفارسي من الأبناء، وكان بصنعاء، فأسلم في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وله أثر كبير في قتل الأسود العنسي، ينظر: أسد الغابة ١/٣٤٩.

(٥) بلاد فارس، ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق أرّجان ومن جهة كرمان السّيرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مكران، وهي موضع دولة إيران اليوم، ينظر: معجم البلدان ٤/٢٢٦.

(٦) الأبناء: وهم من أولاد الفرس الذين سيرهم كسرى أنوشروان مع سيف بن ذي يزن إلى اليمن لقتال الحبشة، فأقاموا باليمن، ينظر: أسد الغابة ١/٣٤٩.

عمر رضي الله عنه قال : «**كان أهل اليمن أول من أسلم من العرب بعد الأنصار ثم عبد القيس أهل البحرين**»[(١)].

وإسراع أهل اليمن إلى الإسلام تعد فضيلة ومنقبة لهم؛ فعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إني لبعقر**[(٢)]**حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض**[(٣)] **عليهم**»[(٤)].

قال محمد فؤاد عبدالباقي[(٥)]: «(أذود الناس لأهل اليمن) معناه أطرد الناس عنه غير أهل اليمن ليرفض على أهل اليمن وهذه كرامة لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب منه مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقدمهم في الإسلام والأنصار من اليمن فيدفع غيرهم حتى يشربوا كما دفعوا في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعداءه والمكروهات»[(٦)].

وفي فضل أهل اليمن جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة وألين قلوبا، الإيمان يمان**[(٧)] **والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء**

---

(١) أخرجه المحاملي في أماليه ٢٩٩/١، برقم ٢١، والطبراني في الأوائل ٨٨/١، برقم ٦٠، وابن أبي عاصم في الأوائل ٨٩/١، برقم ١٠٦، وسنده فيه عبدالله بن شبيب أبو سعيد الربعي إخباري علامة لكنه واه قال أبو أحمد الحاكم ذاهب الحديث، ينظر: ميزان الاعتدال ٤٣٨/٢، لسان الميزان ٢٩٩/٣.

(٢) لبعقر: عقر الحوض مقام الشاربة، ينظر: غريب الحديث لابراهيم الحربي ٩٩٧/٣.

(٣) يرفض : أي يسيل، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٤٣/٢.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصفاته ١٧٩٩/٤، برقم ٢٣٠١.

(٥) محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح بن محمد، ولد سنة ١٢٩٩هـ، مصري الأبوين، عالم بتنسيق الأحاديث النبوية ووضع الفهارس لها، توفي بالقاهرة سنة ١٣٨٨هـ، ينظر: الأعلام للزركلي ٣٣٣/٦.

(٦) صحيح مسلم بشرح محمد عبد الباقي ١٧٩٩/٤.

(٧) الإيمان يمان أي هو من هذه الناحية، فهما وإن لم يكونا من اليمن فقد يجوز أن ينسبا إليها إذا كانتا من ناحيتها، وقيل إنما قال ذلك لأن الإيمان بدأ من مكة، وهي من تهامة، وتهامة من أرض اليمن، ولهذا يقال: الكعبة اليمانية، وقيل: إنه قال هذا القول وهو بتبوك، ومكة والمدينة يومئذ بينه وبين اليمن، فأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة، وقيل: أراد بهذا القول الأنصار لأنهم يمانون=

في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم»[١]، فرقة أفئدتهم ولين قلوبهم من خشية الله جعلتهم يسرعون إلى الدخول في الإسلام، فكان من رحمة الله تعالى بأهل اليمن أن دخلوا في حظيرة الإسلام بلا حرب.

وعن أبي مسعود رضي الله عنه[٢]، قال: أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده نحو اليمن، فقال: «**ألا إن الإيمان ههنا، وإن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين**[٣]**، عند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة، ومضر»**[٤].

وفي الحديث الذي رواه عمران بن حصين رضي الله عنه قال: «فدخل ناس من أهل اليمن فقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم**» قالوا: «**قبلنا جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان**»[٥]، فحازوا من قبل على البشرى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال ابن الجوزي رحمه الله: «وإنما أثنى على أهل اليمن لمبادرتهم إلى الإيمان، وإذا رقت الأفئدة ولانت القلوب وصلت إليها المواعظ وأثرت فيها»[٦].

=وهم نصروا الإيمان والمؤمنين وآووهم، فنسب الإيمان إليهم، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٣٠٠، غريب الحديث للقاسم بن سلام ٢/١٦٢.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين ٥/١٧٣، برقم ٤٣٨٨.

(٢) هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة الأنصاري، أبو مسعود البدري، مشهور بكنيته، نزل الكوفة، وكان من أصحاب عليّ، واستخلف مرة على الكوفة، مات بعد سنة أربعين، ينظر: الاستيعاب ٣/١٠٧٤، أسد الغابة ٣/٥٥٤، الإصابة ٤/٤٣٢.

(٣) الفدادين هم الَّذين تعلوا أَصْوَاتهم فِي حروثهم فِي أَمْوَالهم ومواشيهم يُقَال فد الرجل يفد فديداً إِذا اشْتَدَّ صَوته، وقيل هم المكثرون من الْإِبِل وهم جُفَاة ذَوُو خُيَلَاء، ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي ٢/١٨٠.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ١/٧١، برقم ٥١.

(٥) سبق تخريجه ص:٢٥.

(٦) كشف المشكل لابن الجوزي ٣/٣٧١.

قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقيل سبب الثناء على أهل اليمن إسراعهم إلى الإيمان وحسن قبولهم للبشرى حين لم يقبلها بنو تميم وفي رواية أتاكم أهل اليمن ألين قلوبا وأرق أفئدة يريد بلين القلوب سرعة خلوص الإيمان في قلوبهم»(١).

ومن حرصهم على تعلم السنة والإسلام؛ أن أرسلوا وفداً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى يرسل معهم من يعلمهم ذلك، فعن أنس رضي الله عنه أن أهل اليمن قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والإسلام قال فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: «**هذا أمين هذه الأمة**»(٢).

كل ما سبق يدل على فضيلة أهل اليمن في ذلك الزمان، وأنهم حازوا قصب السبق في الإسلام بعد الأنصار فكانوا أول من آمن من العرب بعد الأنصار، والله تعالى أعلى وأعلم.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من آمن من العرب بعد الأنصار:

١. أن الجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾(٤)، فتقدم إسلام أهل اليمن؛ فكان تقديمهم في الشرب من حوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة جزاءً وفاقاً.

٢. تقدم إسلام الأنصار من أهل المدينة وهم من أهل اليمن أصلاً، ثم لحق بهم في هذه الفضيلة أهل اليمن فسبقوا غيرهم.

٣. أن ثناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أهل اليمن كان بسبب إسراعهم وقبولهم الإسلام؛ وبما فيهم من رقة في القلوب؛ أدت بهم إلى ذلك، فكانوا أول العرب إسلاماً بعد الأنصار، وهذا

---

(١) عمدة القاري للعيني ١٥/١٩٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل أبي عبيدة ٤/١٧٩٩، برقم ٢٤١٩.

(٣) سورة يونس، آية:٢٦.

(٤) سورة الرحمن، آية:٦٠.

يدل على فضل الأولية والسبق إلى الإسلام، كما أثنى سبحانه وتعالى من قبل على المهاجرين والأنصار، فذكرهم تعالى بصفة السبق إلى الإسلام، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2]، وفي غيرها من الآيات.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

(٢) سورة الحديد، آية ١٠.

المطلب الثاني: أول من آمن من بني إسرائيل.

أتباع الرسل في كل زمان هم المؤمنون، الذين أقروا لله تعالى بالوحدانية في أفعاله تعالى؛ وفي أفعالهم، وأمروا صفات البارئ كما جاءت، ولم يتكلفوا ما ليس لهم به علم، ولم يتعنتوا في ذلك، وصدقوا رسله فاتبعوهم بما جاؤوا به من عند ربهم سبحانه وتعالى، وإن اختلف زمان إسلامهم فهم المؤمنون حقاً، ومن أولئك من آمن من بني إسرائيل ووحد الله تعالى، واتبعوا الرسل.

ولاريب أن الاستجابة السريعة لنداء الحق لها فضل وميزة عمن تأخر إسلامة، وكلا الفريقين على خير، ولكن لا يستوون في الفضل، قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[١]، وقال تعال: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾[٢]، وقال تعال: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٣].

وعند استقراء نصوص الكتاب العزيز، تبين أنه قد جاء وصف الأولية لمن آمن من بني إسرائيل في موضعين من كتاب الله تعالى، وكلا الموضعين جاء في وصف أول من آمن من بني إسرائيل، ثم إني جعلت ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن أول من آمن من بني إسرائيل هو نبي الله تعالى موسى عليه السلام.

وُصِفَ نبي الله تعالى موسى عليه السلام، بأنه أول المؤمنين من بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى

(١) سورة الحديد، آية ١٠.

(٢) سورة الواقعة، آية ١٠.

(٣) سورة التوبة، آية ١٠٠.

ﭐلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1].

فعن ابن عباس رضي الله عنه، في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ قال: «ما تجلى عنه إلا مثل الخنصر، قال : فجعله دكا، قال : تراباً، وخر موسى صعقاً: غشي عليه، فلما أفاق قال: سبحانك تبت إليك من أن أسألك الرؤية، وأنا أول المؤمنين قال : أول من آمن بك من بني إسرائيل»[2]

قال ابن كثير رحمه الله: «﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد[3]: من بني إسرائيل، واختاره ابن جرير، وفي رواية أخرى عن ابن عباس: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أنه لا يراك أحد، وكذا قال أبو العالية[4]: قد كان قبله مؤمنون، ولكن يقول: أنا أول من آمن بك أنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة»[5].

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله: « يقول تعالى ذكره: فلما ثاب إلى موسى عليه السلام فهمه من غشيته، وذلك هو الإفاقة من الصعقة التي خر لها موسى صلى الله عليه وسلم، قال: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ تنزيها لك يا رب وتبرئة أن يراك أحد في الدنيا ثم يعيش، ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾

---

(١) سورة الأعراف، آية ١٤٣.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٣٤/١٠، وابن أبي عاصم في السنة ٢١٢/١، برقم ٤٨٤، واللفظ له، وسنده ضعيف لأنه فيه الحسين بن الأسود العجلي وهو صدوق، ينظر: تقريب التهذيب ١٦٧/١.

(٣) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المخزومي مولاهم، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، توفي سنة ١٠٤هـ، وقيل قبل ذلك، ينظر: تذكرة الحفاظ ٧١/١، سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٤، ميزان الاعتدال ٤٣٩/٣، تقريب التهذيب ٥٢٠/١.

(٤) رفيع بن مهران البصري، أبو العالية الرياحي، من كبار التابعين، مقرىء ثقة كثير الإرسال، توفي سنة ٩٣هـ، ينظر: الطبقات الكبرى ١١٢/٧، أسد الغابة ٨٣/٢، تذكرة الحفاظ ٤٩/١، سير أعلام النبلاء ٢٠٧/٤، تقريب التهذيب ٢١٠/١.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٧٢/٣.

من مسألتي إياك ما سألتك من الرؤية ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بك من قومي أن لا يراك في الدنيا أحد إلا هلك»[١].

وعلل ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ إختياره بقوله: «وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على قول من قال معناه: أنا أول المؤمنين من بني إسرائيل؛ لأنه قد كان قبله في بني إسرائيل مؤمنون وأنبياء، منهم ولد إسرائيل لصلبه، وكانوا مؤمنين وأنبياء، فلذلك اخترنا القول الذي قلناه قبل»[٢].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: جدد عليه الصلاة والسلام إيمانه، بما كمل الله له مما كان يجهله قبل ذلك»[٣].

القول الثاني: أن أول من آمن من بني إسرائيل هم سحرة فرعون رحمهم الله.

وُصِفَ سحرة فرعون رحمهم الله بأنهم أول المؤمنين بموسى من بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: لأن كنا أول من آمن بموسى وصدقه بما جاء به من توحيد الله وتكذيب فرعون في ادعائه الربوبية في دهرنا هذا وزماننا»[٥].

---

(١) جامع البيان للطبري ١٠/٤٣٢.

(٢) المصدر نفسه ١٠/٤٣٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ١/٣٠٢.

(٤) سورة الشعراء، آية ٤٥-٥١.

(٥) جامع البيان للطبري ١٧/٥٧١.

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: « قوله ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: كانوا كذلك يومئذ أول من آمن بآياته حين رأوها»[١].

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «وبه دعا السحرة الذين كانوا أول من آمن بموسى صلوات الله على نبينا وعليه، حيث قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[٣]»[٤].

القول الثالث: مؤمن آل فرعون رَحِمَهُ اللَّهُ.

وُصِفَ مؤمن آل فرعون بالإيمان قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾[٥]، ولا شك أن هذا ثناء من الله تعالى على هذا الرجل بوصفه بالإيمان، ويتبين من سياق الآيات في سورة القصص أن هناك أولية في إيمان هذا الرجل على السحرة، فإيمان السحرة كان بعد مجيء موسى من مدين[٦]، وتحذير مؤمن آل فرعون لموسى كان قبل خروجه إلى مدين، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[٧].

---

(١) المصدر السابق، الجزء والصفحة.

(٢) علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي قاضي القضاة بدمشق ثم بالديار المصرية ثم بدمشق وهو الذي امتحن بسبب اعتراضه على قصيدة ابن ايبك الدمشقي، مولده سنة ٧٣١هـ، ووفاته سنة ٧٩٢هـ، ينظر: الدرر الكامنة ١٠٣/٤.

(٣) سورة الأعراف، آية ١٢٦.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن ابي العز ٣٧٣/١.

(٥) سورة غافر، آية ٢٨.

(٦) مدين، مدينة على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل وهي أكبر من تبوك، وبها البئر التي استقى منها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لسائمة شعيب، ينظر: معجم البلدان ٧٧/٥.

(٧) سورة القصص، آية ٢٠-٢٢.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ ذكر أنه مؤمن آل فرعون»[١].

قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فجاء رجل فأخبره، وقال له: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾ قيل: كان حزقيل[٣]مؤمن آل فرعون، كان على بقية من دين إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان أول من آمن بموسى، فلما أخبره خرج من بينهم ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾وأخذ في ثنيات الطريق»[٤].

الجمع بين الأقوال:

ولاتضاد بين هذه الأقوال، فحين يمكن الجمع بين الأقوال فهو الأولى، والجمع بينها ممكن، فيحمل القول الأول على أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أول من آمن من بني إسرائيل بأن الله لا يرى في الدنيا، وهي رواية عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وقال به أبو العالية، وابن جرير الطبري.

ويحمل القول الثاني على أن السحرة أول من آمن بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من بني إسرائيل في ذلك الزمان بعد أن رأوا الآيات والمعجزات العظيمة التي فاقت سحرهم، كما قال به ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وإن كان مؤمن آل فرعون قد آمن قبلهم، فهو الذي حذر موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قبل خروجه من مدين، فيكون إيمانه قبل مبعث موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأما إيمان السحرة فبعد بعثة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بعد أن رأوا معجزة العصا.

والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) جامع البيان للطبري ١٩/٥٤٧.

(٢) علي بن محمد بن الواحد الشّيباني الجزري، أبو الحسن، عز الدين، المعروف بابن الأثير، توفي سنة ٦٣٠هـ، ينظر: شذرات الذهب ١/٥٢، وفيات الاعيان ٣/٣٤٨، طبقات الشافعية ٨/٢٩٩.

(٣) قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: فلمّا أرسل فرعون الذباحين لقتل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أخذوا الطريق الأعظم فجاء رجل من شيعة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أقصى المدينة أي آخرها، واختصر طريقا قريبا وسبقهم فأخبره وأنذره، حتى أخذ طريقا آخر فذلك قوله: وَجاءَ رَجُلٌ واختلفوا فيه، فقال أكثر أهل التأويل: هو حزقيل بن صبورا مؤمن آل فرعون، وكان ابن عم فرعون، ينظر: تفسير الثعلبي ٧/٢٤٢.

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير ١/١٥٤.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من آمن من بني إسرائيل:

١. أن من تقدم إسلامه وسبق إلى الإيمان بالله تعال ليس كمن تأخر، كما قال موسى عليه السلام حينما أفاق: ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1]، وكما قال سحرة فرعون الذين تابوا حينما رأوا الآيات: ﴿ نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[2]، وذلك كحال الصديق أبي بكر رضي الله عنه، فقد سبق إلى الإسلام فكان له الفضل العظيم، وكان أن رجح إيمانه بإيمان الأمة كلها.

٢. ذكر أن أول المؤمنين بموسى عليه السلام هو مؤمن آل فرعون، فقد آمن به قبل بعثته.

٣. ذكر أن أول المؤمنين بموسى عليه السلام بعد بعثته هم السحرة التائبون.

---

(١) سورة الأعراف، آية ١٤٣.

(٢) سورة الشعراء، آية ٤٥-٥١.

المطلب الثالث: أول ما دخل النقص على بني إسرائيل.

الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وعلى هذا كان السلف الصالح، وقد وردت آيات عدة في كتاب الله تعالى تدل على أن الإيمان يزيد وينقص، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾[3].

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إن من فِقْه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد الإيمان أم ينقص؟ وأن من فقه الرجل أن يعلم: نزغات الشيطان أنى تأتيه»[4].

وقد بوّب البخاري رحمه الله في صحيحه فقال: «باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس» وهو قول وفعل، ويزيد وينقص، قال الله تعالى ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ ﴾[5]، ﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾[6]، ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ ﴾[7]، ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾[8]، وقوله: ﴿ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا ﴾[9]، وقوله:

---

(١) سورة التوبة، آية:١٢٤.

(٢) سورة الأنفال، آية:٢.

(٣) سورة الأنفال، آية:٧٤.

(٤) الإيمان لابن تيمية ١/١٧٧.

(٥) سورة الفتح، آية:٤.

(٦) سورة الكهف، آية:١٣.

(٧) سورة مريم، آية:٧٦.

(٨) سورة محمد، آية:١٧.

(٩) سورة المدثر، آية:٣١.

﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾[١]، وقوله جل ذكره: ﴿فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾[٣]، والحب في الله والبغض في الله من الإيمان»[٤].

وكتب عمر بن عبد العزيز[٥]إلى عدي بن عدي[٦]: «إن للإيمان فرائض، وشرائع، وحدودا، وسننا، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص»، وقال إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم: «ولكن ليطمئن قلبي»، وقال معاذ بن جبل: «اجلس بنا نؤمن ساعة»، وقال ابن مسعود: «اليقين الإيمان كله»، وقال ابن عمر: «لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر»[٧]

وأول ما كان النقص على بني إسرائيل في دينهم أنهم تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، كان الرجل يلقى الرجل، فيقول: يا هذا، اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض**»، ثم قال: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة التوبة، آية:١٢٤.

(٢) سورة آل عمران، آية:١٧٣.

(٣) سورة الأحزاب، آية:٢٢.

(٤) صحيح البخاري ١/١٠.

(٥) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ابن أبي العاص الأموي، أمير المؤمنين، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب، ولي إمرة المدينة للوليد، وكان مع سليمان كالوزير، وولي الخلافة بعده، مات سنة ١٠١هـ، ينظر: تقريب التهذيب ١/٤١٥.

(٦) عدي بن عدي بن عميرة، الكندي، أبو فروة الجزري، ثقة فقيه، عمل لعمر بن عبد العزيز على الموصل، من الرابعة، مات سنة ١٢٠هـ، ينظر: تقريب التهذيب ١/٣٨٨.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب «بني الإسلام على خمس» ١/١٠.

كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ﴾ إلى قوله ﴿فَٰسِقُونَ﴾، ثم قال: «**كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدي الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرا**»[1].

قال الشيخ عبدالمحسن العباد حفظه الله: «والأكيل والشريب والجليس بمعنى أنه يؤاكله ويجالسه ويشاربه، وينبسط معه، ولا يحصل منه شيء من التأثر، ولا يرى في وجهه شيئاً من التغير بسبب ما حصل منه من المنكر»[2].

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول ما دخل النقص على بني إسرائيل:

١. فيه تقرير لمسألة زيادة الإيمان ونقصانه، وبيان لمنهج أهل السنة والجماعة في ذلك.

٢. فيه دلالة على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان من تركهم هذا الركن العظيم، وإن أمروا باللسان إلا أنه لم تتمعر وجوههم غضباً لله، بل كانت هناك مجالسة وتبسط مع المخالفين.

٣. لعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتبر حماية لإيمان المؤمن من أن ينقص، فمتى أمر بالمعروف ونهى عن المنكر؛ وهو يعمل بما يأمر به، كان محافظاً على إيمانه من النقصان، ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[3].

٤. مثل ما وقع في بني إسرائيل من النقص بسبب تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كالمثل الذي ضربه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسفينة، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**مثل القائم**

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي ١٢١/٤، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٢٦٢/١.

(٢) شرح سنن أبي داود، للشيخ عبدالمحسن العباد، دروس مفرغة، المكتبة الشاملة/الدرس ٤٨٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص ٦٩/١، برقم ٤٩.

على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا»[1] فكان أول النقص في بني إسرائيل ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة ١٣٩/٣، برقم ٢٤٩٣.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الإيمان بالملائكة.

قبل الشروع في الحديث عن الإيمان بالملائكة يحسن بنا معرفة المعنى اللغوي والشرعي للملائكة.

فأصل كلمة الملائكة في اللغة مشتقة من الك، قال الليث: الألوك: الرسالة، وهي المألكة، على مفعلة، وقال غيره: جاء فلان وقد استالك مالكته أي حمل رسالته، قال لبيد[١]:

وغلام أرسلته أمه بألوك فبذلنا ما سأل

وكذلك المألك والمألكة، بضم اللام فيهما، قال الشاعر:

أبلغ أبا دختنوس[٢] مألكة غير الذي قد يقال ملكذب

والملائكة: جمع ملأكة وملأك، ثم ترك الهمز، فقيل: ملك في الوحدان، وأصله ملأك كما ترى[٣]، وأنشد:

فلست لإنسي ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب

وأما المعنى الشرعي للملائكة، فقال فيه ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السماوات»[٤].

والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان؛ الذي لايتم إيمان العبد إلا به، كما جاء في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ المشهور، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان النبي

---

(١) لبيد بن ربيعة بن مالك الشاعر المشهور، ويكنى أبا عقيل، كان فارساً شجاعاً سخياً، قال الشعر في الجاهلية دهراً، ثم قدم على الرسول فأسلم، ولم يقل شعراً بعد إسلامه، توفي بالكوفة سنة٤١هـ، ينظر: الاستيعاب ١٣٣٥/٣، أسد الغابة ٢١٤/٤، الإصابة ٥٠٠/٥.

(٢) لقيط بن زرارة الدارمي، شاعر جاهلي، قُتِل يوم شعب جبلة، ودختنوس ابنته، ينظر: معجم الشعراء ١/ ٢٧٧.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ٢٠٢/١٠، الصحاح للجوهري ١٥٧٣/٤، مادة (ألك).

(٤) فتح الباري لابن حجر ٣٠٦/٦.

صلى الله عليه وآله وسلم بارزاً يوما للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث»[١].

قال ابن حجر رحمه الله: «الإيمان بالملائكة هو التصديق بوجودهم وأنهم كما وصفهم الله تعالى عباد مكرمون وقدم الملائكة على الكتب والرسل نظرا للترتيب الواقع لأنه سبحانه وتعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسول»[٢].

وقال ابن دقيق العيد رحمه الله: «والإيمان بالملائكة: هو التصديق بأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»[٣].

وقال الشيخ عبدالمحسن العباد حفظه الله: «والإيمان بالملائكة الإيمانُ بأنَّهم خَلقٌ من خلق الله، خُلقوا من نور، كما في صحيح مسلم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**خُلقت الملائكةُ من نور، وخُلق الجانُّ من مارجٍ من نار، وخُلق آدم مِمَّا وُصف لكم**»[٤]، وهم ذوو أجنحة كما في الآية الأولى من سورة فاطر، وجبريل له ستمائة جناح، كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم خلقٌ كثيرٌ لا يعلم عددَهم إلاَّ الله عزَّ وجلَّ، ويدلُّ لذلك أنَّ البيتَ المعمور وهو في السماء السابعة يدخله كلَّ يوم سبعون ألف ملَك لا يعودون إليه.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يُؤتَى بجهنَّم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كلِّ زمام سبعون ألف ملَك يجرُّونها**»[٥].

والملائكةُ منهم الموَكَّلون بالوحي، والموكَّلون بالقطر، والموكَّلون بالموت، والموكَّلون بالأرحام، والموكَّلون بالجنَّة، والموكَّلون بالنار، والموكَّلون بغير ذلك، وكلُّهم مستسلمون منقادون لأمر الله، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمَرون، وقد سُمِّي منهم في الكتاب والسنة جبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك ومنكر ونكير، والواجب الإيمان بمَن سُمِّي منهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ١٩/١، برقم ٥٠.

(٢) فتح الباري لابن حجر ١١٧/١.

(٣) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ١/ ٣٠.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث..، ٤/ ٢٢٩٤، برقم ٢٩٩٦.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب في شدة حر جهنم، ٤/ ٢٢٩٤، برقم ٢٩٩٦.

ومَن لَم يسمَّ، والواجب أيضاً الإيمان والتصديق بكلِّ ما جاء في الكتاب العزيز وصحَّت به السنَّة من أخبار عن الملائكة»[1].

وأما المسائل العقدية المتعلقة بالأوائل في الإيمان بالملائكة فقد جعلتها في ثمانية مطالب وهي:

المطلب الأول: أول من يرفع رأسه من الملائكة بعد الوحي فيكلمه الله.

المطلب الثاني: أول من سجد لآدم من الملائكة.

المطلب الثالث: أول من لبى لله .

المطلب الرابع: أول من طاف بالبيت العتيق.

المطلب الخامس: أول من يتلقى أمر الله.

المطلب السادس: أول من يُبعث من الملائكة.

المطلب السابع: أول من يُدعى يوم القيامة.

المطلب الثامن: أول من غسلته الملائكة.

---

(١) فتح القوي المتين في شرح الأربعين للشيخ عبدالمحسن العباد ١/٢٠.

المطلب الأول: أول من يرفع رأسه من الملائكة بعد الوحي:

الملائكة خلق كريم من خلق الله، مسكنهم السماء، مقربون من الملك العلّام، قال تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[1]، ومع قربهم وتكريمهم فإنهم يعرفون الله حق المعرفة، ولذا فهم لا يعصون الله أبداً ويفعلون ما يؤمرون، قال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[2]، ليس ذلك فحسب، بل هم يخشون الله تعالى حق خشيته، ويقدرون الله تعالى حق قدره، كما وصفهم رب العزة والجلال فقال تعالى: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾[3].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الملائكة عباد الله مكرمون عنده، في منازل عالية ومقامات سامية، وهم له في غاية الطاعة قولا وفعلا، ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: لا يتقدمون بين يديه بأمر، ولا يخالفونه فيما أمر به بل يبادرون إلى فعله»[4].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأخبر عن وصف الملائكة، بأنهم عبيد مربوبون مدبَرون، ليس لهم من الأمر شيء، وإنما هم مكرمون عند الله، قد أكرمهم الله، وصيرهم من عبيد كرامته ورحمته، وذلك لما خصهم به من الفضائل والتطهير عن الرذائل، وأنهم في غاية الأدب مع الله، والامتثال لأوامره، فـ ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ ﴾ أي: لا يقولون قولا مما يتعلق بتدبير المملكة، حتى يقول الله، لكمال أدبهم، وعلمهم بكمال حكمته وعلمه، ﴿ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: مهما أمرهم، امتثلوا لأمره، ومهما دبرهم عليه، فعلوه، فلا

---

(١) سورة النساء، آية:١٧٢.

(٢) سورة التحريم، آية:٦.

(٣) سورة الأنبياء، آية:٢٦-٢٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/٣٣٨.

يعصونه طرفة عين، ولا يكون لهم عمل بأهواء أنفسهم من دون أمر الله، ومع هذا، فالله قد أحاط بهم علمه، فعلم ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: أمورهم الماضية والمستقبلة، فلا خروج لهم عن علمه، كما لا خروج لهم عن أمره وتدبيره، ومن جزئيات وصفهم، بأنهم لا يسبقونه بالقول، أنهم لا يشفعون لأحد بدون إذنه ورضاه، فإذا أذن لهم، وارتضى من يشفعون فيه، شفعوا فيه، ولكنه تعالى لا يرضى من القول والعمل، إلا ما كان خالصا لوجهه، متبعاً فيه الرسول، وهذه الآية من أدلة إثبات الشفاعة، وأن الملائكة يشفعون، ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون وجلون، قد خضعوا لجلاله، وعنت وجوههم لعزه وجماله»[١].

ومع أنهم أعطوا عظمةً في الخلقة، ورفعةَ القدر عند الله، إلا أنهم يخشون الله تعالى خشية عظيمة، يكون فيها جبريل عليه السلام كالحلس البالي، كما جاء عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ليلة أسري بي مررت على جبريل في الملأ الأعلى كالحلس**[٢] **البالي من خشية الله عز وجل**»[٣]، وميكائيل لم ير ضاحكاً قط منذ أن خلقت النار، فكيف بمن دونهم في الفضيلة من الملائكة.

وحين يتكلم الله تعالى بالوحي يغشى عليهم من شدة شفقتهم منه تعالى وخشيتهم له، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[٤].

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا أيضا مقام رفيع في العظمة، وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي، سمع أهل السموات كلامه، أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي»[٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٥٢١/١.

(٢) الحلس، كساء رقيق يكون تحت البرذعة، ينظر: الصحاح ٩١٩/٣.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ٢٧٦/١، برقم ٦٢١، وصححه الألباني في ظلال الجنة ٢٧٦/١.

(٤) سورة سبأ، آية:٢٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥١٤/٦.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير**»(١)

قوله: «**ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله**»، في هذا معنى عظيم لمن تدبر ذلك، ففي ضرب الملائكة بأجنحتها خضوع لله وخشية ومهابة وخوف، وما ذلك إلا لمعرفتهم بالله تعالى حق المعرفة، الأمر الذي أوجب لهم الخشية الحقة، مع أنهم أعطوا قوة عظيمة ليست لأحد سواهم، كما قال تعالى عن جبريل عليه السلام: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾(٢)، وعندما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على صورته التي خلق عليها قد سد الأفق، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «**رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبريل في صورته، وله ست مائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل(٣) والدر والياقوت ما الله به عليم**»(٤).

وأول من يرفع رأسه من الملائكة بعد الوحي هو جبريل عليه السلام، كما جاء ذلك عن النواس بن سمعان رضي الله عنه(٥)، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «**إذا أراد الله عز وجل أن يوحي بأمره تكلم بالوحي ، فإذا تكلم أخذت السماوات رجفة – أو قال رعدة – شديدة خوفا من الله عز وجل ، فإذا سمع بذلك أهل السماوات صعقوا ، وخروا لله سجدا ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام ، فيكلمه الله تعالى من وحيه ما أراد فيمضي جبريل عليه السلام على الملائكة كلما مر بسماء يسأله ملائكتها**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ ١٢٢/٦، برقم ٤٨٠٠.

(٢) سورة التكوير، آية: ٢٠.

(٣) التهاويل، زينة الوشي، وكذلك زينة التصاوير والسلاح، والمراد بالتهاويل هنا، تزايين ريشه، وما فيه من صفرة وحمرة وبياض وخضرة مثل تهاويل الرياض، والله أعلم، ينظر: تهذيب اللغة ٢١٩/٦، غريب الحديث لابن الجوزي ٥٠٥/٢.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٢٩٤/٦، وقال ابن كثير في تفسيره ٤٥٢/٧: اسناده حسن.

(٥) النوّاس بن سمعان بن خالد بن كلاب العامريّ الكلابيّ، له ولأبيه صحبة، معدود في الشاميين، ينظر: الاستيعاب ١٥٣٤/٤، أسد الغابة ٥٩١/٤، الإصابة ٣٧٧/٦.

: ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال الحق وهو العلي الكبير، قال: فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله عز وجل من السماء والأرض»[1]، والله تعالى أعلى وأعلم.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من يرفع رأسه من الملائكة بعد الوحي:

١. ذكر أن أول من يرفع رأسه من الملائكة بعد الوحي جبرائيل، وهذا فيه تكريم وتشريف لهذا الملك العظيم، وكذلك أن جبرائيل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله تعالى[2].

٢. قوله: «**تكلم بالوحي**» فيه التصريح بأنه سبحانه وتعالى يتكلم بالوحي فيوحيه إلى جبريل عليه السلام، ففيه الرد على الأشاعرة في قولهم أن القرآن عبارة عن كلام الله[3]، وهذه من الأدلة التي تضرب بها أعناق المبتدعة.

٣. قوله: «**ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: «قال الحق وهو العلي الكبير»، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل؛ فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل**» فيه دليل بأنه تعالى قال ويقول وأنه عالٍ على خلقه، بائن عنهم، وأهل البدع من الجهمية وأفراخهم، جحدوا ما أثبته الله تعالى في كتابه وأثبته رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في سنته من علوه

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد ٣٤٨/١، والآجري في الشريعة ١٠٩٢/٣، والبيهقي في الاسماء والصفات ٥١١/١، وابن أبي عاصم في السنة ٢٢٦/١، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢٣٦/١، وقال الألباني في ظلال الجنة ٢٢٧/١: إسناده ضعيف، وله شواهد عدة يتقوى بها، منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري: «إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله...»، والذي تقدم ذكره في نفس المطلب.

(٢) كتاب التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب ٤٩/١، بتصرف.

(٣) ينظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز ١/ ١٩٤ .

وكلامه وغير ذلك من صفات كماله التي أثبتها له رسوله، والمؤمنون من الصحابة والتابعين وتابعيهم من أهل السنة والجماعة على ما يليق بجلال الله وعظمته[١].

٤. فيه دليل على فضيلة جبريل عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[٢].

٥. فيه دليل على عظمة الرب تعالى، فكل من لم يعظم الله تعالى ولم يقدره حق قدره فذلك بسبب جهله بالله تعالى وبأسماءه وصفاته، وكلما زاد علم المؤمن زادت معرفته بالله، وكلما قلت خشيته من الله تعالى كان ذلك دليلاً على جهله بالله تعالى، فالملائكة لعظيم علمهم بالله تعالى يخشونه حق الخشية.

---

(١) ينظر: الصواعق المرسلة لابن القيم ٣/ ١١٠٧ .

(٢) تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبدالله ١/ ٢٢٦.

المطلب الثاني: أول من سجد لآدم من الملائكة.

الساجد: المنتصب، وسجد يسجد سجوداً: وضع جبهته على بالأرض، وقوم سجد وسجود، وقوله تعالى: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ﴾(١)، هذا سجود إعظام لا سجود عبادة؛ لأن بني يعقوب لم يكونوا ليسجدوا لغير الله عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾(٢)، السجود عبادة لله تعالى لا عبادة لآدم؛ لأن الله إنما خلق من يعقل لعبادته، وأسجد الرجل إذا طأطأ رأسه وانحنى، وسجد إذا وضع جبهته بالأرض(٣).

وخلق الله سبحانه وتعالى آدم بيده، وأمر ملائكته المقربون بالسجود له، كما قص الله سبحانه وتعالى علينا ذلك في أكثر من موضع من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾(٤).

يخبر تعالى بامتنانه على بني آدم، بتنويهه بذكرهم في الملأ الأعلى قبل إيجادهم، وأنه سيجعل من يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل، ثم ذكر الله تعالى مقاماً فيه شرف آدم على الملائكة، بما اختصه به من علم أسماء كل شيء دونهم، وهذا كان بعد

---

(١) سورة يوسف، آية: ١٠٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٣٤.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٠/٣٠٠، المحكم لابن سيده ٧/٢٦١، مادة (سجد).

(٤) سورة البقرة، آية: ٣٠-٣٤.

سجودهم له، وإنما قدم هذا الفصل على ذاك، لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة، حين سألوا عن ذلك، فأخبرهم الله تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون؛ ولهذا ذكر تعالى هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم، فقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾، فلما ظهر فضل آدم، عليه السلام، على الملائكة، عليهم السلام، في سرده ما علمه الله تعالى من أسماء الأشياء، قال الله تعالى للملائكة: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾أي: ألم أتقدم إليكم أني أعلم الغيب الظاهر والخفي، ومن ذلك ماكان يخفيه ابليس من الحسد والكبر، وما يخفيه من الاغترار، ثم إنه سبحانه وتعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم استجابوا لأمر الله فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين[1].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾[2].

قال السعدي رحمه الله: «ثم ذكر اختصام الملأ الأعلى فقال: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ على وجه الإخبار ﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾أي: مادته من طين.

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ ﴾ أي: سويت جسمه وتم، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ فوطَّن الملائكة الكرام أنفسهم على ذلك، حين يتم خلقه ونفخ الروح فيه، امتثالا لربهم، وإكراما لآدم عليه السلام، فلما تم خلقه في بدنه وروحه، وامتحن الله آدم والملائكة في العلم، وظهر فضله عليهم، أمرهم الله بالسجود.

فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس لم يسجد ﴿ٱسْتَكْبَرَ ﴾ عن أمر ربه، واستكبر على آدم ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ في علم الله تعالى»[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢١٦-٢٢٦، بتصرف.

(٢) سورة ص، آية:٧٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ١/٧١٦.

وأما ما ورد في أول من سجد لآدم من الملائكة الكرام، فقيل أن أول من سجد من الملائكة الكرام هو إسرافيل عليه السلام.

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «لما أمر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم أول من سجد له إسرافيل فأثابه أن كتب القرآن في جبهته»[1].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «ومن مشاهير الملائكة إسرافيل ... وقد روى النقاش[2] أنه أول من سجد من الملائكة فجوزي بولاية اللوح المحفوظ»[3].

والذي يجب علينا أن نؤمن به هو أن الملائكة سجدوا كلهم أجمعون، كما جاء ذلك في كتاب الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾، ولم يختص الله تعالى أحداً من الملائكة، ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تعيين أحد الملائكة بأنه أول من سجد لآدم عليه السلام، ولم يثبت أيضاً بأثر صحيح عن أحد الصحابة تعيين ذلك، فنحن نثبت السجود من جميع الملائكة لآدم عليه السلام كما جاء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في المنتظم ٢٠٣/١، وابن كثير في البداية والنهاية ٢٠٢/١، وأبوالشيخ الأصبهاني في العظمة بنحوه ١٥٦٢/٥، ولم أجد من حكم على هذا الأثر، فالله أعلم بصحته.

(٢) محمد بن الحسن بن محمد، أبو بكر النقاش المفسر، ولد سنة ٢٦٦هـ، كان عالماً بالقرآن والتفسير ومع جلالته ونبله فهو متروك الحديث يغلب عليه القصص، توفي سنة ٣٥١هـ، ينظر: وفيات الاعيان ٢٩٨/٤، تذكرة الحفاظ ٨٢/٣، سير أعلام النبلاء ٥٧٣/١٥.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٣٠٨/٦.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من سجد لآدم من الملائكة:

١. ذكر ما روي أن أول من سجد لآدم من الملائكة حين أمرهم الله تعالى بذلك هو إسرافيل عليه السلام، والله تعالى أعلم بالصواب.

٢. أن الملائكة الكرام والرسل ومن سلك سبيلهم في الخشية من الله تعالى، هم أسرع في الاستجابة لأمر الله تعالى، فكل ما كان العبد أشد خشية لله، كان أسرع في الإستجابة لنداء الله، كما كان من أمر الملائكة حين السجود لآدم عليه السلام.

٣. فيه الحث على المسارعة إلى إمتثال أوامر الله تعالى.

المطلب الثالث: أول من لبى لله .

قال الجوهري[1]: «لبيك، أي أنا مقيم على طاعتك، ونصب على المصدر كقولك حمدا لله وشكراً، وثنى على معنى التأكيد، أي إلبابا بك بعد إلباب، وإقامة بعد إقامة، وهو من قولهم دار فلان تلب داري أي تحاذيها، أي أنا مواجهك بما تحب، إجابة لك، والياء للتثنية، وفيها دليل على النصب للمصدر»[2].

وقال ابن فارس: «اللام والباء، أصل صحيح يدل على لزوم وثبات، وعلى خلوص وجودة.

فالأول ألب بالمكان، إذا أقام به، يلب إلبابا، ورجل لب بهذا الأمر، إذا لازمه، ومن الباب التلبية، وهو قوله: لبيك، قالوا: معناه أنا مقيم على طاعتك، ونصب على المصدر، وثني على معنى إجابة بعد إجابة، واللبيب: الملبي، قال الشاعر:

فقلت لها فيئي إليك فإنني ... حرام وإني بعد ذاك لبيب

ويكون ذلك من الثبات على الود»[3].

والتلبية شعار الحج، ودليل على التوحيد، والإخلاص لله تعالى، وأول من دعا للتلبية لله تعالى في الأرض هو إبراهيم الخليل عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[4].

وفي ذلك أورد الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «لما بنى إبراهيم البيت أوحى الله إليه، أن أذن في الناس بالحج، قال: فقال إبراهيم: ألا إن ربكم قد اتخذ بيتاً،

---

(١) إسماعيل بن حماد التركي الأتراري، أبو نصر، المعروف بالجوهري، إمام اللغة، مات الجوهري مترديا من سطح داره بنيسابور، في سنة ٣٩٣هـ، وقيل بعد ذلك، ينظر: سير أعلام النبلاء ٣٢٨/١٢.

(٢) الصحاح للجوهري ٢١٧/١، مادة (لبب).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس ١٩٩/٥، مادة (لب).

(٤) سورة الحج، آية:٢٧.

وأمركم أن تحجوه، فاستجاب له ما سمعه من شيء من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شيء: لبيك اللهم لبيك»[١].

قال السهيلي: «وكانت التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام: لبيك لا شريك لك لبيك...»[٢]، فيه دليل على أن التلبية بصيغتها المعروفة «لبيك اللهم لبيك» أول ماكانت في عهد إبراهيم عليه السلام، والله أعلم.

والتلبية معناها أجابة بعد إجابة، وهي أبلغ في الإجابة، إذ هي تشتمل على الإستجابة وأمر زائد وهو المحبة، كما يتضح ذلك من المعنى اللغوي للتلبية، وهي دليل على العبودية كما سلف، وسرعة الإستجابة لأمر الله تعالى.

وأما ما ورد فيمن أول من لبى لله تعالى فقد قيل أنهم الملائكة، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن أول من لبى الملائكة، قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾**[٣]، **فزادوه فأعرض عنهم، فطافوا بالعرش ست سنين، يقولون: لبيك لبيك اعتذارا**»[٤].

وهذا الحديث معناه صحيح، لأن الملائكة جبلوا على طاعة الله، وسرعة الاستجابة لأمره، كما مر بنا في المطلب السابق في السجود لآدم عليه السلام، وفي غيره، فهم أشد خشية لله وخوفاً منه سبحانه وتعالى.

كذلك مما يدل على أن أول من لبى لله هم الملائكة عليهم السلام، أن خلق الملائكة سابق لخلق آدم وذريته، وسابق لخلق الجن، فيكون المعنى صحيحاً لأولية خلقهم قبل غيرهم، فقد روي عن وهب رحمه الله قال: «لما خلق الله النار ذعرت منها الملائكة ذعراً شديداً، وقالوا: ربنا لم خلقت هذه النار، ولأي شيء خلقتها؟ قال: لمن عصاني من خلقي، قال: ولم يكن

---

(١) جامع البيان للطبري ١٦/٥١٥.

(٢) الروض الأنف للسهيلي ١/٢١١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٣٠.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور ١/٤٦، وعزاه لابن أبي الدنيا في كتاب التوبة، ولم أجده هناك، ولم أجد من أورده غيره، والله تعالى أعلم بصحته.

لله خلق يومئذ إلا الملائكة، والأرض ليس فيها خلق، إنما خلق آدم بعد ذلك، وقرأ قول الله: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾[١]، قال: قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ليت ذلك الحين، ثم قال: قالت الملائكة: يا رب أويأتي علينا دهر نعصيك فيه، لا يرون له خلقاً غيرهم، قال: لا، إني أريد أن أخلق في الأرض خلقا وأجعل فيها خليقة يسفكون الدماء ويفسدون في الأرض، فقالت الملائكة: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾[٢]، وقد اخترتنا؟ فاجعلنا نحن فيها فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ونعمل فيها بطاعتك، وأعظمت الملائكة أن يجعل الله في الأرض من يعصيه، فقال: إني أعلم ما لا تعلمون، يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فقال: فلان، وفلان، قال: فلما رأوا ما أعطاه الله من العلم، أقروا لآدم بالفضل عليهم، وأبى الخبيث إبليس أن يقر له، قال: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾[٣]»[٤].

والله تعالى أعلى وأعلم..

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من لبى لله:

١. ذكر أن أول من لبى لله تعالى وهم الملائكة على ما ورد.

٢. ذكر أن أول من دعا للتلبية لله تعالى في الأرض هو إبراهيم الخليل عليه السلام، استجابة لأمر الله تعالى بالتأذين في الناس بذلك.

---

(١) سورة الإنسان، آية:١.

(٢) سورة البقرة، آية:٣٠.

(٣) سورة الأعراف، آية:١٢.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١/٤٩٥.

٣. مناسبة هذا المطلب لما قبله، حيث أن سرعة الاستجابة لأمر الله دليل على التوحيد والإخلاص والعبودية لله تعالى، كما تدل على عظم المحبة والخوف والخشية منه سبحانه وتعالى.

٤. القرآن والسنة والآثار تدل على أنه سبحانه نفخ فيه من روحه بعد خلق جسده فمن تلك النفخة حدثت فيه الروح ولو كانت روحه مخلوقة قبل بدنه مع جملة أرواح ذريته لما عجبت الملائكة من خلقه ولما تعجبت من خلق النار وقالت لأي شيء خلقتها وهي ترى أرواح بني آدم فيهم المؤمن والكافر والطيب والخبيث[١].

---

(١) ينظر: لوامع الأنوار للسفاريني ٢/٤٤.

المطلب الرابع: أول من طاف بالبيت العتيق.

قال الجوهري: «طوف، طاف حول الشئ يطوف طوفاً وطوفاناً، وتطوف واستطاف، كله بمعنى، ورجل طاف، أي كثير الطواف»[١].

وقال ابن فارس: «طوف، الطاء والواو والفاء أصل واحد صحيح يدل على دوران الشيء على الشيء، وأن يحف به، ثم يحمل عليه، يقال: طاف به وبالبيت يطوف طوفا وطوافا، واطاف به، واستطاف»[٢].

والمعنى اللغوي يدل على أن الطواف هو الدوران حول شيء معين مرات عدة.

وفي الشرع يقصد به: الدوران حول الكعبة المشرفة على هيئة مخصوصة، وبعدد مخصوص، بقصد التعبد لله.

والطواف حول البيت يدل على التوحيد والعبودية الخالصة لله تعالى، والإخلاص والاستجابة له سبحانه وتعالى، وأما الطواف حول الأضرحة وغيرها فهو بضده، وهو شرك صريح، ومخالفة عظيمة لأمر الله تعالى.

فالطواف إذن عبادة عظيمة، فالملائكة تطوف في السماء بالبيت المعمور، وأما في الأرض فيطوف المؤمنون حول البيت العتيق، ولا يشرع الطواف إلا حول الكعبة المشرفة فقط، وأما ما عدا ذلك فلا ينبغي لأحد أن يطوف بشيء سواها.

فالطواف عبادة مخصوصة لمكان مخصوص، وسائر العبادات عامةٌ في الغالب، كالصلاة ونحوها، فهي تؤدى في المساجد في جميع بقاع الأرض.

وبيت الله العتيق وهو الكعبة المشرفة، هو أول بيت وضع للناس لعبادة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣].

---

(١) الصحاح للجوهري ٤/١٣٩٦، مادة (طوف).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٤٣٢، مادة (طوف).

(٣) سورة آل عمران، آية:٩٦،٩٧.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يخبر تعالى أن أول بيت وضع للناس، أي: لعموم الناس، لعبادتهم ونسكهم، يطوفون به ويصلون إليه ويعتكفون عنده ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ يعني: الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي يزعم كل من طائفتي النصارى واليهود أنهم على دينه ومنهجه، ولا يحجون إلى البيت الذي بناه عن أمر الله له في ذلك ونادى الناس إلى حجه، ولهذا قال: ﴿مُبَارَكًا﴾ أي وضع مباركا ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾»[1].

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾، قال: «كانت البيوت قبله، ولكن كان أول بيت وضع لعبادة الله»[2].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويدل على أن المراد بالبيت بيت العبادة لا مطلق البيوت، وقد ورد ذلك صريحاً عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[3].

قال الحسن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: «هو أول مسجد عبد الله فيه في الأرض»[4].

وإذا أردنا أن نعرف أول من طاف حول البيت العتيق، فعلينا أن نحرر مسألة أول من بنى البيت العتيق، وذلك لأن لها صلة وثيقة بأول من طاف حوله، فالذي يتصور أن من بنى البيت العتيق يكون له رفعة في الدرجات ومكانة عالية ورفيعة عند الله تعالى، ويكون عند الباني له تحقيق للتوحيد وإخلاص للعبودية على أكمل الدرجات، كالملائكة والأنبياءعَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولا يتصور إلا أن من بنى البيت العتيق هو أول من طاف به.

وقد أختلف في أول من بنى البيت، فقيل أنهم الملائكة، وقيل إنه آدم، وقيل إنه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكل ما ورد في ذلك لم يثبت بدليل صحيح، ولكن الله عز وجل أخبرنا في كتابه العزيز أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أول من رفع القواعد من البيت بمعاونة إبنه

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٧٧.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٠٧.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٦/٤٠٨.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٥/٥٩٠.

إسماعيل عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1]،وهذا لا يعارض أن يكون البيت العتيق موجوداً من قبل، لأنه يفهم من الرفع أن القواعد موجودة، لإن من معاني الرفع الإظهار وليس الإنشاء[2].

ولا يتصور أن الأنبياء قبل إبراهيم عليه السلام لم يحجوا، بل ورد أن آدم عليه السلام والانبياء بعده قد طافوا بالبيت العتيق.

فعن قتادة[3] في قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾، قال: «هو أول بيت وضعه الله عز وجل فطاف به آدم ومن بعده»[4].

وعن عروة بن الزبير أنه قال: «ما من نبي إلا وقد حج البيت إلا ما كان من هود، وصالح ولقد حجه نوح فلما كان من الأرض ما كان من الغرق أصاب البيت ما أصاب الأرض ، وكان البيت ربوة حمراء فبعث الله هوداً عليه السلام فتشاغل بأمر قومه حتى قبضه الله إليه فلم يحجه حتى مات فلما بوأه الله لإبراهيم عليه السلام حجه ، ثم لم يبق نبي بعده إلا حجه»[5].

قال ابن كثير رحمه الله: «والمقصود الحج إلى محله، وبقعته وإن لم يكن ثم بناء، والله أعلم»[6].

ثم جمع بين ذلك كله محمد صديق خان رحمه الله[1]، فقال: «وقد اختلف في الباني له في الابتداء فقيل الملائكة، وقيل آدم، وقيل إبراهيم، ويجمع بين ذلك بأن أول من بناه الملائكة ثم جدده آدم ثم إبراهيم»[2].

---

(١) سورة البقرة، آية:١٢٧.

(٢) قال ابن فارس: «الراء والفاء والعين أصل واحد، يدل على خلاف الوضع. تقول: رفعت الشيء رفعا؛ وهو خلاف الخفض، والرفع: إذاعة الشيء وإظهاره»، ينظر: مقاييس اللغة ٤٢٣/٢.

(٣) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب، ولد في سنة ٦٠هـ، وكان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، توفي سنة ١١٨هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥، تذكرة الحفاظ ٩٢/١.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٩٢/٥، وعبدالرزاق في تفسيره ٤٠٣/١.

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢٨٨/٥.

(٦) البداية والنهاية لابن كثير ٤٧٧/٣.

إذا عُلِمَ ذلك فإن أول من طاف بالبيت العتيق، يرجع إلى قولين:

القول الأول: أول من طاف بالبيت العتيق هم الملائكة عليهم السلام.

وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، حيث قال: «أول من طاف بالبيت الملائكة»[٣].

وعنه أيضاً رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**قدم آدم مكة فلقيته الملائكة فقالوا: بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام، قال: فما كنتم تقولون حوله؟ قالوا: كنا نقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وكان آدم إذا طاف بالبيت قال هؤلاء الكلمات**»[٤].

وعن علي بن الحسين رحمه الله[٥] حينما سأله رجل عن بدء الطواف بالبيت، أنه قال له: «أما بدء هذا الطواف بهذا البيت فإن الله تعالى قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فقالت الملائكة: أي رب أخليفة من غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون ويتباغون، أي رب اجعل ذلك الخليفة منا، فنحن لا نفسد فيها ولا نفسك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد ولا نتباغى ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ونطيعك ولا نعصيك، قال الله: إن أعلم ما لا تعلمون فظنت الملائكة أن ما قالوا رد على ربهم عز وجل وأنه قد غضب عليهم من قولهم فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤسهم وأشاروا بالأصابع يتضرعون ويبكون إشفاقا لغضبه فطافوا بالعرش ثلاث ساعات، فنظر الله تعالى إليهم فنزلت الرحمة عليهم فوضع الله سبحانه تحت العرش بيتا على أربع أساطين من زبرجد وغشاهن بياقوتة حمراء وسمى البيت الضراح ثم قال الله للملائكة: طوفوا بهذا البيت ودعوا العرش، فطافت الملائكة بالبيت وتركوا العرش فصار أهون عليهم وهو البيت المعمور الذي

---

(١) محمد صديق خان بن حسن القنوجي، أبو الطيب، ولد ونشأ في قنوج بالهند، توفي سنة ١٣٠٧هـ، ينظر: الأعلام للزركلي ٦/١٦٧.

(٢) فتح البيان لصديق خان ٢/٢٨٨.

(٣) أخرجه ابن ابي شيبة في مصنفه ٧/٢٧١، وأبو عبدالله المقدسي في الأحاديث المختارة ١٠/٢٨٢، وقال عبدالملك بن دهيش: «إسناده ضعيف».

(٤) أورده الأزرقي في أخبار مكة ٢/١٣.

(٥) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي زين العابدين،ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور، من الثالثة، مات سنة ٩٣هـ، وقيل غير ذلك، ينظر: تقريب التهذيب ١/٤٠٠.

ذكره الله، يدخله كل يوم وليلة سبعون ملك لا يعودون فيه أبدا، ثم إن الله تعالى بعث ملائكة فقال: ابنوا لي بيتا في الأرض بمثاله وقدره، فأمر الله سبحانه من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور»(١).

وعن ابن سابط رَحِمَهُ اللَّهُ(٢)، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**دحيت الأرض من مكة وكانت الملائكة تطوف بالبيت، فهي أول من طاف به وهي الأرض التي قال الله:** ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾»(٣).

القول الثاني: أول من طاف بالبيت العتيق هو آدم عليه السلام.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال:قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «بعث الله جبريل عليه السلام، إلى آدم وحواء، فقال لهما: ابنيا لي بناء، فخط لهما جبريل، عليه السلام، فجعل آدم يحفر وحواء تنقل حتى أجابه الماء، نودي من تحته: حسبك يا آدم، فلما بنياه أوحى الله، تعالى، إليه: أن يطوف به، وقيل له: أنت أول الناس، وهذا أول بيت، ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه»(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «كان آدم عليه السلام أول من أسس البيت، وصلى فيه حتى بعث الله الطوفان»(٥).

---

(١) أورده الأزرقي في أخبار مكة ١/٣٤.

(٢) عبد الرحمن بن عبد اللّٰه بن سابط الجمحي، تابعيّ ثقة كثير الإرسال، لا يصح له سماع من صحابي، توفي سنة ١١٨هـ، ينظر: الإستيعاب ٣/٩١٤،، أسد الغابة ٣/٣٤٧، الإصابة ٥/١٧٥.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١/٤٧٦، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/٧٦، وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره ١/٢١٧: «وهذا مرسل، وفي سنده ضعف وفيه مدرج وهو أن المراد بالأرض مكة، والله أعلم، فإن الظاهر أن المراد بالأرض أعم من ذلك».

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/٤٥، قال ابن كثير في تفسيره ٢/٧٨: من مفردات ابن لهيعة، وهو ضعيف.

(٥) أورده الأزرقي في أخبار مكة ١/٤٠.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله قال لآدم حين أهبط إلى الأرض: «خطيئتك يا آدم، ولكن اذهب، فابن لي بيتا، فطف به، واذكرني حوله، كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي»[١].

وعن قتادة في قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾، قال: «هو أول بيت وضعه الله عز وجل فطاف به آدم ومن بعده»[٢].

فيفهم مما سبق أنه لم يطف بالبيت أحد قبل آدم عليه السلام، والله تعالى أعلى وأعلم.

ومن خلال ما تقدم فإن أول من طاف بالكعبة غير معروف بعد تحقيق المسألة قدر المستطاع، فجميع تلك الروايات لا ترقى إلى درجة الصحة، ولذا لا يمكن الجزم بذلك، والله تعالى أعلى وأعلم.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من طاف بالبيت العتيق:

١. ذكر أول من طاف بالبيت العتيق، وذكر الخلاف فيه.

٢. أن الطواف بالبيت العتيق شعيرة عظيمة، اختص بها البيت العتيق، وهي دليل على التوحيد والإخلاص، والإستجابة لله تعالى.

٣. أن الطواف، هو عبادة أهل السماء بما ورد عن طواف الملائكة حول البيت المعمور.

٤. أن الطواف عبادة عظيمة تختص بمكان واحد وهو البيت العتيق.

٥. بيان فساد عقيدة الصوفية ومن نحا نحوهم بطوافهم حول الأضرحة والقبور، وأن ذلك من الشرك بالله تعالى، ومضاهاة لما أمر الله به من الطواف حول بيته العتيق.

---

(١) المصدر السابق ١/٣٦.

(٢) سبق تخريجه ص:١٤٣.

المطلب الخامس: أول من يتلقى أمر الله.

مر بنا في المطلب الأول[(١)] الحديث عن علو قدر الملائكة وشدة خشيتهم من الله، وديمومة عبادتهم لله، مما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وكما جاء في عدد من الأدلة من الكتاب والسنة أن الملائكة هم أول من يتلقى أمر الله تعالى، فمن الكتاب العزيز:

١. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[(٢)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تعالى بامتنانه على بني آدم، بتنويهه بذكرهم في الملأ الأعلى قبل إيجادهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ أي: واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة، واقصص على قومك ذلك»[(٣)].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا شروع في ذكر فضل آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أبي البشر أن الله حين أراد خلقه أخبر الملائكة بذلك، وأن الله مستخلفه في الأرض»[(٤)].

٢. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[(٥)].

٣. وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[(٦)].

---

(١) ينظر: المطلب الأول، ص:١٢٣.

(٢) سورة البقرة، آية:٣٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢١٦/١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٨/١.

(٥) سورة الحجر، آية:٢٨،٢٩.

(٦) سورة ص، آية:٧١،٧٢.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن الله سبحانه أعلم الملائكة قبل خلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما وإعظاما واحتراما وامتثالا لأمر الله عز وجل، فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوج ما كان إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم...»[١].

وأما الأدلة من السنة النبوية المطهرة، فمنها مايلي:

١. عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير**»[٢]

ففي الحديث دليل على أن الملائكة هم أول من يتلقى أمر الله إذا قضاه سبحانه وتعالى، فتضرب بأجنحتها خضوعاً وخشية وهيبة منه سبحانه وتعالى، وفي هذا تشريف وتكريم لهم، وما ذاك إلا لعلو منزلتهم ومكانتهم من الله تعالى.

٢. وعن النواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال : قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إذا أراد الله عز وجل أن يوحي بأمره تكلم بالوحي ، فإذا تكلم أخذت السماوات رجفة – أو قال رعدة – شديدة خوفا من الله عز وجل ، فإذا سمع بذلك أهل السماوات صعقوا ، وخروا لله سجدا ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام ، فيكلمه الله تعالى من وحيه ما أراد فيمضي جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على الملائكة كلما مر بسماء يسأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال الحق وهو العلي الكبير ، قال : فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله عز وجل من السماء والأرض**»[٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨١/٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ﴾ ١٢٢/٦، برقم ٤٨٠٠.

(٣) سبق تخريجه ص:١٣١.

وفي هذا الحديث تخصيص لجبريل عليه السلام، بأنه هو أول من يرفع رأسه من جملة الملائكة ليتلقى وحي الله سبحانه وتعالى لينفذه إلى حيث أُمِرَ من السماء والأرض.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأنصار، أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «**ماذا كنتم تقولون في الجاهلية، إذا رمي بمثل هذا ؟**»، **قالوا : الله ورسوله أعلم، كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم : «**فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمرا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا**»، **ثم قال** : «**الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ماذا قال : قال فيستخبر بعض أهل السماوات بعضا، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون**»(١).

وفي هذا الحديث إشارة إلى أن أول من يتلقى أمر الله تعالى هم حملة العرش من الملائكة، لأنهم الأقربون من العرش، وذلك مستفاد من قوله: «**إذا قضى أمرا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم**»، فبدأ بحملة العرش، ورتب من بعدهم بـ «ثم»، ثم قال : «**قال فيستخبر بعض أهل السماوات بعضا، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا**»، أي أن حملة العرش علموا أولاً فأخبروا من بعدهم حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا.

قال الذهبي رحمه الله: «فالحديث يدل على أن حملة العرش هم أول من يتلقى أمر الله، ثم يبلغونه للذين يلونهم من أهل السموات، فكونهم أقرب الخلق إلى الله دليل على أن العرش أقرب منهم إليه سبحانه لأنهم إنما يحملونه»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة، ٤/١٧٥٠، برقم ٢٢٢٩.
(٢) العرش للذهبي ١/٣٢٠.

ولعل الجمع بين القولين له سبيل، فيكون جبريل عليه السلام مختص بأنه أول من يتلقى أمر الله تعالى من الوحي، لأنه الروح الأمين على وحي الله تعالى، وفي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه، جاء التخصيص بالوحي في قوله: «**إذا أراد الله عز وجل أن يوحي بأمره تكلم بالوحي**».

وأما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، فجاء الكلام عاماً، ولم يخصص بالوحي بل جاء الأمر عاماً، فقال: «**إذا قضى أمراً سبح حملة العرش**».

وبالجملة فإن الملائكة هم أول من يتلقى أمر الله تعالى سواءً ماكان منه وحياً، أو غيره، وقد جاءت الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة كما تقدم، والله تعالى أعلى وأعلم.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من يتلقى أمر الله:

١. ذكر أن أول من يتلقى أمر الله هم الملائكة المقربون.

٢. ذكر أن أول من يتلقى أمر الله من الملائكة هم الأنبياء، لأنهم الرسل.

٣. إن الملائكة مع فضلهم ومكانتهم ومع كونهم يعبدون الله عز وجل لا يفترون، ومع كونهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، مع هذه الخصائص جميعاً لا يستحقون العبادة؛ لأنهم يخافون، والإله لا يخاف، ففيه بيان بطلان عبادة الملائكة، وبطلان عبادة من سواهم من باب أولى[1].

---

(١) ينظر: إعانة المستفيد للشيخ صالح الفوزان ١/ ٢٢١.

المطلب السادس: أول من يُبعث من الملائكة.

قال الجوهري رَحِمَهُ اللَّهُ: «بعث، بعثه وابتعثه بمعنى، أي أرسله، فانبعث، وقولهم: كنت في بعث فلان، أي في جيشه الذي بعث معه، والبعوث: الجيوش، وبعثت الناقة: أثرتها، وبعثه من منامه، أي أهبه، وبعث الموتى: نشرهم ليوم البعث، وانبعث في السير، أي أسرع، وتبعث مني الشعر، أي انبعث، كأنه سار، ويوم بعاث بالضم: يوم للاوس والخزرج»[١].

وقال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «بعث، الباء والعين والثاء أصل واحد، وهو الإثارة، ويقال: بعثت الناقة: إذا أثرتها، وقال ابن أحمر[٢]:

فبعثتها تقص المقاصر بعدما كربت حياة النار للمتنور»[٣]

والبعث في معناه اللغوي يدل على المعنى الشرعي، وبينهما ترابط.

فالبعث في معناه الشرعي: هو إحياء الله تعالى للأموات، وإخراجهم من قبورهم، وإرسالهم للحشر، لفصل القضاء.

وقد جاءت الإدلة الشرعية متعددة لتقرير البعث، والإيمان باليوم الآخر، الذي هو هو أحد أركان الإيمان الستة، ومن يتدبر كتاب الله تعالى، يجد أن تقرير البعث والإيمان باليوم الآخر، مبثوث في مواطن كثيرة، فمنها قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٤].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله، والإيمان بالله وكتابه، وقوله: ﴿ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾ يقول: فيما كتب الله مما سبق في علمه أنكم تلبثونه ﴿فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ يقول: فهذا يوم يبعث الناس من قبورهم ﴿وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا

---

(١) الصحاح للجوهري ٢٧٣/١، مادة (بعث).

(٢) عمرو بن أحمر بن العمرد بن تميم الباهلي، يكنى أبا الخطاب، أدرك الإسلام فأسلم وغزا مغازي الروم، وأصيبت إحدى عينيه هناك، ونزل الشام، وتوفي على عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن بلغ سناً عالية، وهو صحيح الكلام كثير الغريب، ينظر: معجم الشعراء ٢١٤/١.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس ٣٦٦/١، مادة (بعث).

(٤) سورة الروم، آية:٥٦.

تَعْلَمُونَ ﴾ يقول: ولكنكم كنتم لا تعلمون في الدنيا أنه يكون، وأنكم مبعوثون من بعد الموت، فلذلك كنتم تكذبون»[(١)].

وقد ضرب الله الأمثال لذلك في كتابه العزيز، فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[(٢)].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا احتجاج من الله على الذي أخبر عنه من الناس أنه يجادل في الله بغير علم، اتباعا منه للشيطان المريد، وتنبيه له على موضع خطأ قيله، وإنكاره ما أنكر من قدرة ربه. قال: يا أيها الناس إن كنتم في شك من قدرتنا على بعثكم من قبوركم بعد مماتكم وبلاكم استعظاما منكم لذلك، فإن في ابتدائنا خلق أبيكم آدم صلى الله عليه وآله وسلم من تراب ثم إنشائناكم من نطفة آدم، ثم تصريفناكم أحوالا حالا بعد حال، من نطفة إلى علقة، ثم من علقة إلى مضغة، لكم معتبرا ومتعظا تعتبرون به، فتعلمون أن من قدر على ذلك فغير متعذر عليه إعادتكم بعد فنائكم كما كنتم أحياء قبل الفناء»[(٣)].

وكثيراً ما يأتي الإيمان باليوم الآخر في كتاب الله تعالى مرتبطاً بالإيمان بالله؛ وذلك لأهميته، وقد جاءت في أكثر من تسعة عشر موضعاً، منها كما قال تعالى:﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾[(٤)]، وقال تعالى:﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ﴾[(٥)]، وقال

(١) جامع البيان للطبري ١٨/٥٢٧.

(٢) سورة الحج، آية:٥.

(٣) جامع البيان للطبري ١٦/٤٦١.

(٤) سورة النساء، آية:٣٩.

(٥) سورة النساء، آية:٥٩.

تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[٤]، وفي هذا دليل على أهمية الإيمان بالبعث يوم القيامة، وأن الناس محاسبون ومجازون على ما قدموا من أعمال.

وجميع الخلائق ستموت كما جاء في حديث الصور: «... **ثم يأتي ملك الموت فيقول: يا رب، قد مات حملة عرشك، فيقول وهو أعلم: فمن بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا يموت، وبقيت أنا، فيقول: أنت خلق من خلقي، خلقتك لما رأيت فمت، فيموت، فإذا لم يبق أحد إلا الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، فكان آخرا كما كان أولا**...»[٥].

ثم يبعث الله الخلائق، فيكون أول من يبعث من البشر هو الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما ثبت ذلك صحيحاً، وسيأتي تفصيل ذلك وبيانه في موضعه إن شاء الله تعالى.

أما أول من يبعث على الإطلاق، فهو من الملائكة الكرام عليهم السلام، كما جاء في حديث الصور: «... **فإذا لم يبق أحد إلا الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، فكان آخرا كما كان أولا، طوى السموات كطي السجل للكتاب، ثم دحاها، ثم تلقفهما ثلاث مرات، ثم قال: أنا الجبار، ثم يقول عز وجل: لمن الملك اليوم؟ فلم يجبه أحد، ثم يقول لنفسه تبارك وتعالى: لله الواحد**

---

(١) سورة النساء، آية:١٦٢.

(٢) سورة التوبة، آية:١٨.

(٣) سورة التوبة، آية:١٩.

(٤) سورة التوبة، آية:٤٤.

(٥) أخرجه البيهقي في البعث والنشور ١/٣٣٦، برقم ٦٠٩، والطبراني في الأحاديث الطوال ١/٢٦٦، برقم ٣٦.

القهار، ثم يقول الله عز وجل: يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، فيبسطها بسطا يمدها مد الأديم العكاظي، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة، فإذا هم في هذه الأرض المبدلة في مثل ما كانوا منه من الأولى، من كان في بطنها كان في بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها، ثم ينزل الله عليكم ماء من تحت العرش كمني الرجال، ثم يأمر الله السماء أن تمطر أربعين يوما، حتى يكون فوقهم اثنا عشر ذراعا، ويأمر الله الأجساد أن تنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم، فكانت كما كانت، قال الله عز وجل: ليحيا حملة العرش، فيحيون، ثم يقول الله: ليحيا جبريل وميكائيل فيحيون، فيأمر الله إسرافيل، فيأخذ الصور، فيضعه على فيه، ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها يتوهج أرواح المؤمنين نورا، والأخرى ظلمة، فيقبضها جميعا، ثم يلقيها في الصور، ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض...» (١).

وأما أول من يبعث من الملائكة تحديداً، فهناك عدة تساؤلات ترد عند التأمل في حديث الصور، وهي كما يأتي:

١. هل بعث إسرافيل قبل حملة العرش؟ لإن إسرافيل عليه السلام هو الموكل بالصور؟.

٢. هل إسرافيل عليه السلام من حملة العرش؟ فيكون من جملة حملة العرش، الذين قال الله لهم «ليحيا حملة عرشي».

وفي هذا ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إنّ ملكاً من حملة العرش يقال له: إسرافيل، زاوية من زوايا العرش على كاهله، قد مرقت قدماه في الأرض السابعة السفلى، ومرق رأسه من السماء السابعة العليا**»(٢).

---

(١) سبق تخريجه ص:١٥٣.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة ٦٩٧/٢، وفي اسناده يحيى العطار وهو ضعيف.

ومن قال بأن إسرافيل هو أحد حملة العرش، ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال: «ومن صفة إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو أحد حملة العرش وهو الذي ينفخ في الصور بأمر ربه نفخات ثلاثة...»[1]

ثم إنه لم يرد في حديث الصور أمر الله بإحياء إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما جاء في حملة العرش وكما جاء في شأن جبريل وميكائل، وإنما الذي جاء هو أمر الله إسرافيل بأخذ الصور ووضعه على فيه، فهل يكون بعث قبلهم؟

هذا ما ذهب إليه ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال: «وفي حديث الصور: أن إسرافيل أول من يبعثه الله بعد الصعق لينفخ في الصور»[2]، والله تعالى أعلى وأعلم.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من يبعث من الملائكة:

١. ذكر أن أول من يبعث من الخلائق على الإطلاق وهم الملائكة.

٢. ذكر أن أول من يبعث من الملائكة هو إسرافيل – والله أعلم –.

٣. أن الإيمان بالبعث، يبعث في النفوس مخافة الله تعالى، فيثمر ذلك طاعة لله وابتغاء ما عند الله والدار الآخرة.

٤. أن من أسماء الله تعالى: الباعث، والمحيي، وهي تدل على أن الله يبعث من في القبور، ويحيي العظام بعد أن كانت رميماً.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١/١٠٢.

(٢) المصدر نفسه ١/١٠٤.

المطلب السابع: أول من يُدعى يوم القيامة.

يوم القيامة يومٌ عظيمٌ، تجمع الخلائق كلها، الإنس والجن، وحتى البهائم، وهو يوم الفزع الأكبر، يومٌ يشيب فيه الولدان مما فيه من الأهوال، يُبعث الناس فيه من قبورهم، حفاةً عراةً غرلاً، قاصدين أرض المحشر، للعرض على الجبار، فيجازيهم بأعمالهم، فريق في الجنة، وفريق في السعير، والله تبارك وتعالى يغفر لمن يشاء.

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ٣١ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾[(١)].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليجزي الذين عصوه من خلقه، فأساءوا بمعصيتهم إياه، فيثيبهم بها النار وليجزي الذين أطاعوه فأحسنوا بطاعتهم إياه في الدنيا بالحسنى وهي الجنة، فيثيبهم بها»[(٢)].

وتدعى الخلائق حينئذ، وأما أول من يدعى يوم القيامة، فاختلف فيه، فقيل إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وتفصيل ذلك كما يلي:

القول الأول: أن أول من يدعى يوم القيامة هو إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ورد أن أول من يدعى يوم القيامة، ويسأل هو إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودليل ذلك ما روي عن حبان بن أبي جبلة[(٣)] بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إذا جمع الله عباده يوم القيامة، كان أول من يدعى إسرافيل، فيقول له ربه: ما فعلت في عهدي؟ هل بلغت عهدي؟ فيقول: نعم رب، قد بلغته جبريل عليهما السلام، فيدعى جبريل، فيقال**

---

(١) سورة التوبة، آية: ٤٤.

(٢) جامع البيان للطبري ٥٩/٢٢.

(٣) حبان ابن أبي جبلة الجشمي، القرشي مولاهم المصري، تابعي معروف، ثقة، مات سنة ١٢٢هـ، وقيل ١٢٥هـ، ينظر: تهذيب التهذيب ١٧١/٢، الإصابة ١٨٦/٢.

له: هل بلغك إسرافيل عهدي! فيقول: نعم رب، قد بلغني، فيخلى عن إسرافيل، ويقال لجبريل: هل بلغت عهدي؟ فيقول: نعم، قد بلغت الرسل، فتدعى الرسل فيقال لهم: هل بلغكم جبريل عهدي؟ فيقولون: نعم ربنا، فيخلى عن جبريل، ثم يقال للرسل: ما فعلتم بعهدي؟ فيقولون: بلغنا أممنا، فتدعى الأمم، فيقال: هل بلغكم الرسل عهدي؟ فمنهم المكذب ومنهم المصدق...»(١).

القول الثاني: أن أول من يدعى يوم القيامة هو آدم عليه السلام.

ورد أن أول من يدعى يوم القيامة هو آدم عليه السلام، ودليل ذلك ما روي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «**أول من يدعى يوم القيامة آدم فتراءى ذريته فيقال هذا أبوكم آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول أخرج بعث جهنم من ذريتك فيقول يا رب كم أخرج فيقول أخرج من كل مئة تسعة وتسعين فقالوا يا رسول الله إذا أخذ منا من كل مئة تسعة وتسعون فماذا يبقى منا قال إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود**»(٢).

ذكر ابن حجر رحمه الله الأقوال(٣) التي قيلت في الوقت الذي يقال لآدم حينها أخرج بعث النار، وملخصها كما يلي:

١. قال بعض المفسرين إن ذلك قبل يوم القيامة لكن الحديث يرد عليه بأنه في يوم القيامة.

٢. وقيل بأن ذلك وقع على سبيل التمثيل والتهويل، وقيل التقدير أن الحال ينتهي إلى أنه لو كانت النساء حينئذ حوامل لوضعت كما تقول العرب أصابنا أمر يشيب منه الوليد.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٦٣٥/٢، وابن أبي الدنيا في الأهوال ١٦١/١، وابن المبارك في الزهد والرقائق ٥٥٧/١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر ١١٠/٨، برقم ٦٥٢٩.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٣٩٠/١١، باختصار.

٣. وقيل يحتمل أن يحمل على حقيقته فإن كل أحد يبعث على ما مات عليه فتبعث الحامل حاملا والمرضع مرضعة والطفل طفلا فإذا وقعت زلزلة الساعة وقيل ذلك لآدم ورأى الناس آدم وسمعوا ما قيل له وقع بهم من الوجل ما يسقط معه الحمل ويشيب له الطفل وتذهل به المرضعة.

٤. ويحتمل أن يكون ذلك بعد النفخة الأولى وقبل النفخة الثانية ويكون خاصا بالموجودين حينئذ وتكون الإشارة بقوله فذاك إلى يوم القيامة وهو صريح في الآية ولا يمنع من هذا الحمل ما يتخيل من طول المسافة بين قيام الساعة واستقرار الناس في الموقف ونداء آدم لتمييز أهل الموقف لأنه قد ثبت أن ذلك يقع متقاربا كما قال الله تعالى ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾[1]، يعني أرض الموقف.

قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: (فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها)، أي: فعند قول الله تعالى عز وجل لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: أخرج بعث النار يشيب الصغير من الهول والشدة. فإن قلت: يوم القيامة ليس فيه حمل ولا وضع؟ قلت: اختلفوا في ذلك الوقت، فقيل: هو عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا، فهو حقيقة، وقيل: هو مجاز عن الهول والشدة، يعني: لو تصورت الحوامل هناك لوضعن حملهن، كما تقول العرب أصابنا أمر يشيب منه الولدان»[2].

القول الثالث: أن أول من يدعى يوم القيامة هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ودليل ذلك ما روي عن علي بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «**إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم حتى لا يكون للإنسان إلا موضع قدمه**»، قال النبي: «**فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن، والله ما رآه قبلها، فأقول : يا**

---

(١) سورة النازعات، آية:١٤،١٣.

(٢) عمدة القاري للعيني ٢٣٩/١٥.

رب، إن هذا أخبرني أنك أرسلته إلي، فيقول : صدق، ثم أشفع فأقول : يا رب عبادك في أطراف الأرض، وهو المقام المحمود»[(١)].

وعن علي بن الحسين، أن رجلا، من أهل العلم أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**تمد الأرض يوم القيامة مد الأديم، فأكون أول من أدعى، فأخر ساجدا، حتى يأذن الله لي برفع رأسي، فأرفع، ثم أقوم، وجبريل عن يمين الرحمن، لم ير الرحمن تبارك اسمه قبل ذلك**»[(٢)]

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن نداء آدم لذريته قبل المقام المحمود للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ذكروا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «**والذي نفسي بيده ، إني لسيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، وإن بيدي لواء الحمد ، وإن تحته آدم عليه السلام ومن دونه ولا فخر قال: ينادي الله عز وجل يومئذ آدم ، فيقول آدم: لبيك رب وسعديك ، فيقول: «أخرج من ذريتك بعث النار» فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: «من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فيخرج مالا يعلم عدده إلا الله عز وجل ، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: أنت آدم أكرمك الله ، وخلقك بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسكنك جنته ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، فاشفع لذريتك ، لا تحرق اليوم بالنار ، فيقول: ليس ذلك إلي اليوم ، ولكن سأرشدكم ، عليكم بعبد اتخذه الله خليلا وأنا معكم ، فيأتون إبراهيم عليه السلام ، فيقولون: يا إبراهيم ، أنت عبد اتخذك الله خليلا ، فاشفع لذرية آدم ، لا تحرق اليوم بالنار ، فيقول: ليس ذلك إلي ، ولكن سأرشدكم ، عليكم بعبد اصطفاه الله عز وجل بكلامه ورسالاته ، وألقى عليه محبة منه: موسى ، وأنا معكم ، فيأتون موسى ، فيقولون: يا موسى أنت عبد اصطفاك الله عز وجل برسالاته وكلامه ، وألقى عليك محبة منه ، اشفع لذرية آدم ، لا تحرق اليوم بالنار قال: ليس ذلك اليوم إلي ، ولكن سأرشدكم ، عليكم بروح الله وكلمته: عيسى ابن مريم ، فيأتون عيسى ابن مريم عليه السلام ، فيقولون يا عيسى ، أنت روح الله**

---

(١) الأهوال لابن أبي الدنيا ١/١٠٩.

(٢) الرد على الجهمية للدرامي ١/١١٠.

وكلمته ، اشفع لذرية آدم ، لا تحرق اليوم بالنار قال: ليس ذلك اليوم إلي ، عليكم بعبد جعله الله عز وجل رحمة للعالمين: أحمد صلى الله عليه وآله وسلم **، وأنا معكم ، فيأتون فيقولون: يا أحمد ، جعلك الله رحمة للعالمين ، فاشفع لذرية آدم ، لا تحرق اليوم بالنار ، فيقول: «نعم ، أنا صاحبها» فآتي حتى آخذ بحلقة باب الجنة ، فيقال: من هذا؟ فأقول: «أنا أحمد فيفتح لي ، فإذا نظرت إلى الجبار تبارك وتعالى خررت ساجدا ، ثم يفتح لي من التحميد والثناء على الرب عز وجل شيء لا يحسن الخلق» ثم يقال: «سل تعطه ، واشفع تشفع»...»**[1].

ويتضح من ذلك أن المقام المحمود للنبي صلى الله عليه وآله وسلم متأخر عن نداء آدم لذريته، فيكون أول من يدعى من الملائكة إسرافيل عليه السلام ليسأل عن تبليغه عهد الله تعالى، وأول من يدعى من البشر آدم عليه السلام ليخرج من ذريته بعث النار، والله تعالى أعلى وأعلم.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من يدعى يوم القيامة:

١. ذكر أن أول من يدعى من الخلائق، وذكر الخلاف فيه.

٢. إثبات صفة الكلام لله تعالى، من قوله : «أخرج بعث جهنم من ذريتك»

٣. ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه «**أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال**»[2]، وكل ذلك لا يكون قبل المقام المحمود للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، لإن العرض والحساب لا يكون إلا بعد المقام المحمود.

---

(١) أخرجه الأجري في الشريعة ١٢٣٩/٣.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة ٥٩١/٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٣٥٢/١.

المطلب الثامن: أول من غسلته الملائكة.

الملائكة الكرام لهم علاقة وثيقة ببني آدم، فكان بدء ذلك قبل خلق آدم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١].

ثم لما خلق الله آدم أسجد له ملائكته كلهم أجمعون، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾[٢].

واستمرت هذه العلاقة في بنيه، بدءاً من كون ابن آدم مضغة في بطن أمه، فيرسل الله له ملكاً، كما جاء عن الصادق المصدوق، قال: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة**»[٣].

وهناك ملائكة موكلون بحفظ بني آدم من الشرور، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[٤].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات»[٥].

ومنهم ملائكة موكلون بكتابة أعمالهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٣٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٣٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ٤/١١١، برقم ٣٢٠٨.

(٤) سورة الرعد، آية: ١١.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٤٣٧.

(٦) سورة الانفطار، آية: ١٠-١٢.

ومنهم ملائكة تحفظ المؤمنين عند منامهم، فعن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا أوى أحدكم إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان، يقول الشيطان: افتح بشر، ويقول الملك: افتح بخير، فإن ذكر الله ذهب الشيطان ويأتي الملك ويكلؤه، وإذا استيقظ ابتدره ملك وشيطان، يقول الشيطان افتح بشر، ويقول الملك: افتح بخير، فإن قال: الحمد لله الذي رد إلي نفسي بعد موتها ولم يمتها في منامها، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، إن الله بالناس لرءوف رحيم، الحمد لله الذي يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فإن خر من دابة مات شهيدا، وإن قام فصلى صلى في الفضائل**»[٢].

ومنهم ملائكة تبشر المؤمن الذي نزل به الموت، وكان في إدبار من الدنيا، وإقبال على الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[٣].

قال الطبري رحمه الله: «قوله: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ قال: لا تخافوا ما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم من أهل وولد، فإنا نخلفكم في ذلك كله»[٤].

---

(١) سورة ق، آية:١٨.

(٢) أخرجه ابن منده في التوحيد ٢٨٧/١، والحاكم في مستدركه ٧٣٣/١، والبيهقي في الدعوات ٥٣٧/١، وابن حجر في اتحاف المهرة ٥٢٨/٣، وقال صحيح على شرط مسلم، وضعفه الألباني في ضعيف الأدب المفرد ١٠٨/١.

(٣) سورة السجدة، آية:١١.

(٤) جامع البيان للطبري ٤٢٧/٢٠.

ومنهم ملائكة موكلون بقبض أرواحهم، وهو ملك الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة، وله أعوان، وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد، حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت»[٢].

وكما في حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان»، قال: «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض»، قال: «فيصعدون بها...»[٣].

ومنهم ملائكة موكلون بسؤال بني آدم في قبورهم، كما في حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ...»[٤].

---

(١) سورة السجدة، آية:١١.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٦٠/٦، باختصار.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤٩٩/٣٠، والآجري في الشريعة ١٢٩٤/٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٣٤٤/١.

(٤) سبق تخريجه ص:١٥٣.

وتستمر علاقة الملائكة بالمؤمنين حتى بعد دخولهم الجنة بإذن الله تعالى، فيسلمون عليهم، ويحيونهم، قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾[١].

ومن ضمن ما وقع من الملائكة لصالحي المؤمنين، غسل الملائكة لبعضهم بعد وفاتهم، وانتقالهم للرفيق الأعلى، وهذا إما أن يكون توجيه وإرشاد من الملائكة لبني آدم، وإما دليل على حسن خاتمتهم، وشرف لهم ولقومهم، ويكون بعد ذلك من المفاخر التي تعد لأقوامهم من بعدهم أن غسلت الملائكة بعضهم.

وقد ورد في السنة النبوية عدد ممن وقع لهم أن غسلتهم الملائكة، وسأذكر ذلك مع الدليل، مع أن الأولية في ذلك لا تحتاج إلى ترجيح إن صح الدليل، فذلك معروف بسبق الزمان لعهد الذي غسلته الملائكة، وفيما يلي ذكرهم:

أولاً: غسيل الملائكة آدم عليه السلام.

وقد ورد في عدد من الأحاديث والآثار أن الملائكة غسلت آدم عليه السلام، بعد موته.

فعن أبيّ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً، وألحدوا له، وقالوا: هذه سنة آدم في ولده**» [٢].

وعن الحسن مرفوعاً قال: «**لما نزل بآدم صلى الله عليه وسلم الموت قال: أي بني، إني أشتهي من ثمر الجنة فانطلق بنوه يلتمسون فرأوا الملائكة فقالوا: أين تريدون يا بني آدم؟ فقالوا: اشتهى أبونا من ثمرة الجنة فانطلقنا نطلب ذلك له فقال: ارجعوا فقد أمر بقبض أبيكم فأقبلوا حتى انتهوا إلى آدم صلى الله عليه وسلم فلما رأتهم حواء عرفتهم فلصقت بآدم فقال: إليك عني فمن قبلك أتيت دعيني وملائكة ربي، قال: فقبضوه**

---

(١) سورة الرعد، آية: ٢٣،٢٤.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ١٥٧/٨، برقم ٨٢٦١ ، وأخرجه الحاكم في مستدركه ٥٩٥/٢، برقم ٤٠٠٤ ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٩٢٤/٢.

وهم ينظرون وغسلوه وهم ينظرون وكفنوه وهم ينظرون وحنطوه وهم ينظرون وصلوا عليه ثم أقبلوا عليهم فقالوا: يا بني آدم هذه سنتكم في موتاكم وهذا سبيلكم»(١).

ثانياً: غسيل الملائكة حنظلة بن عامر الراهب رضي الله عنه(٢).

وقد ورد في عدد من الأحاديث والآثار أن الملائكة غسلت الصحابي الجليل حنظلة بن عامر رضي الله عنه، عندما قتل في معركة أحد، وكان جنباً.

فعن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول عند قتل حنظلة بن أبي عامر بعد أن التقى هو وأبو سفيان بن الحارث حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن صاحبكم تغسله الملائكة**» **فسألوا صاحبته فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة**(٣) **وهو جنب، فقال رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم: «**لذلك غسلته الملائكة**»(٤).

قال السهيلي: «صاحبته يعني امرأته وهي جميلة بنت أبي ابن سلول أخت عبد الله بن أبي، وكان ابتنى بها تلك الليلة فكانت عروسا عنده فرأت في النوم تلك الليل كأن بابا في السماء فتح له فدخله ثم أغلق دونه فعلمت أنه ميت من غده فدعت رجالا من قومها حين أصبحت فأشهدتهم على الدخول بها خشية أن يكون في ذلك نزاع»(٥).

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده ٤٤٣/١، برقم ٥٥١، وأحمد في مسنده ١٦٢/٣٥، برقم ٢١٢٤٠، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ٤٠٤/٦: «وهذا إسناد صحيح موقوف».

(٢) حنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن مالك بن أمية الأنصاري الأوسي، المعروف بغسيل الملائكة، أو بحنظلة الراهب، استشهد بأحد، ينظر: الاستيعاب ٣٨٠/١ ، أسد الغابة ٥٤٣/١ ، الإصابة١١٩/٢.

(٣) الهائعة: هي الصوت الشديد، ينظر: تهذيب اللغة ١٧/٣.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٤٩٦/١٥، والبيهقي في سننه الكبرى ٢٢/٤، والحاكم في مستدركه ٢٢٥/٣، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي في التلخيص، وحسنه الألباني في إرواء الغليل ١٦٧/٣.

(٥) الروض الأنف للسهيلي ٣٢٠/٥.

ثالثاً: غسيل الملائكة حمزة بن عبدالمطلب ﵁[١].

وقد ورد في عدد من الأحاديث والآثار أن الملائكة غسلت عم النبي ﷺ حمزة بن عبدالمطلب ﵁، عندما قتل في معركة أحد، وكان جنباً.

فعن ابن عباس ﵄، قال: قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ جنبا، فقال رسول الله ﷺ: «**غسلته الملائكة**»[٢].

وعنه أيضاً، قال: لما أصيب حمزة بن عبد المطلب وحنظلة بن الراهب وهما جنبان فقال رسول الله ﷺ: «**رأيت الملائكة تغسلهما**»[٣]

وسئل الحسن: أيغسل الشهداء؟ قال: نعم، قال: وقال رسول الله ﷺ: «**لقد رأيت الملائكة تغسل حمزة**»[٤].

وعن عمر بن عثمان الجحشي، عن آبائه، قالوا: «دفن حمزة بن عبد المطلب، وعبد الله بن جحش في قبر واحد، وحمزة خال عبد الله بن جحش» قال: قال محمد بن عمر: «ونزل في قبر حمزة أبو بكر وعمر وعلي والزبير، ورسول الله ﷺ جالس على حفرته، وقال رسول الله ﷺ: «**رأيت الملائكة تغسل حمزة لأنه كان جنبا ذلك اليوم**»[١].

---

(١) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو عمارة عمّ النبيّ ﷺ، وأخوه من الرّضاعة، ولد قبل النبي ﷺ بسنتين. وقيل: بأربع. وأسلم في السنة الثانية من البعثة، واستشهد بأحد، ينظر: الاستيعاب ١/ ٣٦٩، أسد الغابة ١/ ٥٢٨، الإصابة ٢/ ١٠٥.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ٢١٥/٣، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٣١٩/١١، وقال ابن حجر في فتح الباري ٢١٢/٣ إسناده لابأس به، وهو غريب في ذكر حمزة، وقال الهيثمي في المجمع: إسناده حسن، قال الألباني في أحكام الجنائز ٥٦/١: «وسنده صحيح رجاله كلهم ثقات، وفيه رد على الحافظ، فإنه وصف حديث ابن عباس بالغرابة، لانه ذكر فيه حمزة مع أنه قال في سنده: إنه لا بأس به، كما حكاه الشوكاني عنه، فالظاهر أن الحافظ ﵀ لم يقف على هذا الشاهد».

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٦/٣، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز٥٦/١ وصحيح الجامع ٩١٢/٢ برقم ٥١٣٣.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٠/٣.

ومما سبق من الآحاديث والآثار الواردة في شأن من غسلتهم الملائكة، فإن أول من غسلته الملائكة هو آدم عليه السلام ، وذلك لتقدمه عليهم في الزمن، والله تعالى أعلى وأعلم.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الإيمان بالكتب.

قبل الشروع في الحديث عن الإيمان بالكتب يحسن بنا معرفة المعنى اللغوي والشرعي للكتب.

أما المعنى اللغوي، فالكتب جمع كتاب، والكتاب مصدر، وكتبت الكتاب كتباً وكتاباً وكتابةً، فالكتاب: اسم لما كتب مجموعا، ومنه الكتيبة: وهي الجماعة المستحيزة في حيز على حدة، والكتيبة: الجيش، وتكتبت الخيل، أي تجمعت [(١)].

وقال ابن فارس: «الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك الكتاب والكتابة، يقال: كتبت الكتاب أكتبه كتبا»[(٢)].

ويتضح من المعنى اللغوي أن معنى الكتاب، هو اسم لما جمع في حيّز واحد، وكان على نسق واحد.

ولذا يمكن القول بأن المقصود بالكتب في الشرع: بأنه كلام رب العالمين، الذي أنزله الله تعالى على عباده المرسلين، واشتملت على الهدى والنور المبين، لهداية الخلق أجمعين، إلى توحيد رب العالمين.

والإيمان بالكتب هو الركن الثالث من أركان الإيمان؛ الذي لايتم إيمان العبد إلا به، كما جاء في حديث جبريل عليه السلام المشهور، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بارزاً يوماً للناس، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث»[(٣)].

والإيمان بالكتب متضمن للإيمان بالرسل؛ لإن الكتب إنما جاءت عن طريقهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ٨٨/١٠، الصحاح للجوهري ٢٠٨/١، مادة (كتب).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ١٥٨/٥، مادة (كتب).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ١٩/١، برقم ٥٠.

(١) سورة الإنسان، آية:٢٣.

عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[1].

وكذلك متضمن للإيمان بالملائكة، لإن الوحي بهذه الكتب إنما جاء للرسل عن طريق الملائكة، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾[2].

وكذلك متضمن للإيمان بالله تعالى، لإن هذه الكتب التي أنزلت على الرسل، إنما هي كلام الله تعالى.

وكذلك يستلزم الإيمان بالكتب، الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، لأنها أخبرت عن وقوع اليوم الآخر، وكذلك القدر خيره وشره.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإيمان بالله واليوم الآخر داخل في الإيمان بالكتب والرسل»[3].

وفي ذلك قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم شهد تعالى للمؤمنين بأنهم آمنوا بما آمن به رسولهم، ثم شهد لهم جميعاً بأنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، فتضمنت هذه الشهادة إيمانهم بقواعد الإيمان الخمسة؛ التي لا يكون أحد مؤمناً إلا بها، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وقد ذكر تعالى هذه الأصول الخمسة في أول السورة ووسطها وآخرها فقال في أولها: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[4]، فالإيمان بما أنزل إليه وما أنزل من قبله يتضمن الإيمان بالكتب والرسل والملائكة، ثم قال: ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ والإيمان بالله يدخل في الإيمان بالغيب وفي الإيمان بالكتب والرسل فتضمنت الإيمان بالقواعد الخمس»[1].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٨٤.

(٢) سورة الشعراء، آية: ١٩٣.

(٣) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ١/١٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ٤.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤/١٣٥.

والإيمان بالكتب يشمل الإيمان بجميع الكتب السابقة بأنها أنزلت من عند الله، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾[(١)].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن دين الإسلام يتضمن الإيمان بجميع الكتب وجميع الرسل كما قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[(٢)]»[(٣)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مفصلاً، وبما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً ونص على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء»[(٤)].

والإيمان بالكتب، يكون على وجه الإجمال بأن الله أنزل كتباً على رسله، وأنها جميعها حقٌّ، وتهدي إلى الصراط المستقيم، فنؤمن بما لم يسم الله منها، كما قال تعالى: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖ ﴾[(٥)]، ونؤمن على وجه التفصيل بما سمى الله منها كالتوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾[(٦)]، والزبور، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾[(١)]، وصحف إبراهيم وموسى، قال تعالى: ﴿ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[(٢)].

(١) سورة البقرة، آية: ٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٣٦.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٧/١٥٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٤٥٠.

(٥) سورة الشورى، آية: ١٥.

(٦) سورة آل عمران، آية: ٣.

(١) سورة الإسراء، آية: ٥٥.

(٢) سورة الأعلى، آية: ١٩.

وفي ذلك قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى»[1].

وأما المسائل العقدية المتعلقة بالأوائل في الإيمان بالملائكة فقد جعلتها في أربعة مطالب وهي:

المطلب الأول: أول ما نزل من القرآن.

المطلب الثاني: أول ما نُسخ من القرآن.

المطلب الثالث: أول من جمع القرآن.

المطلب الرابع: أول من قال بخلق القرآن.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن ابي العز ٢/٤٢٤.

المطلب الأول: أول ما نزل من القرآن.

القرآن اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت، كما تقول إذا قرأت القرآن، ولكنه اسم لكتاب الله، مثل التوراة والإنجيل، ويسمى كلام الله الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً، وقرآناً، وفرقاناً، وذكراً.

وقرأت الشئ قرآناً: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، وقرأت الكتاب قراءة وقرآناً، ومنه سمي القرآن، وقيل: سمي القرآن لأنه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[1]، أي جمعه وقراءته، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾[2]، أي قراءته، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فإذا بيناه لك بالقراءة فاعمل بما بيناه لك[3].

وفي الإصطلاح: «الكلام المنزل على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلا متواترا»[4].

وقد وردت أحاديث عدة تدل على فضل تعلم القرآن الكريم والعمل بما فيه، منها ما روي عن عثمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[5].

قال ابن بطال[1] رحمه الله: «يدل أن قراءة القرآن أفضل أعمال البر كلها؛ لأنه لما كان من تعلم القرآن أو علمه أفضل الناس وخيرهم دل على ما قلناه؛ لأنه إنما وجبت

---

(١) سورة القيامة، آية:١٧.

(٢) سورة القيامة، آية:١٨.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ٢٠٩/٩، الصحاح للجوهري ٦٥/١، مادة (قرأ).

(٤) إرشاد الفحول للشوكاني ٨٥/١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» ١٩٢/٦، برقم ٥٠٢٧.

(١) علي بن خلف بن بطال البكري، القرطبي، ثم البلنسي، أبو الحسن، ويعرف: بابن اللجام، مات في صفر، سنة ٤٤٩هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٧/١٨.

له الخيرية والفضل من أجل القرآن، وكان له فضل التعليم جاريًا ما دام كل من علمه تالياً»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مثل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ، وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران»[٢].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر**»[٣].

قال ابن بطال رحمه الله: «أنه لما كان ما جمع طيب الريح وطيب المطعم أفضل المأكولات، وشبه النبي المؤمن الذى يقرأ القرآن بالأترجة التى جمعت طيب الريح وطيب المطعم؛ دل ذلك أن القرآن أفضل الكلام»[٤].

وقد اختلف في شأن أول ما نزل من القرآن الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويرجع ذلك الإختلاف إلى قولين، وهي كما يلي:

القول الأول: أن أول ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[٥]

والدليل على ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قالت : «كان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حراء فيتحنث فيه – قال :

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢٦٥/١٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ ١٦٦/٦، برقم ٤٩٣٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام ٧٧/٧، برقم ٥٤٢٧.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢٥٦/١٠.

(٥) سورة العلق، آية:١.

والتحنث : التعبد – الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود بمثلها حتى فجئه الحق، وهو في غار حراء فجاءه الملك، فقال : اقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ما أنا بقارئ»، قال : «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال : اقرأ، قلت : ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال : اقرأ، قلت : ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[(١)]، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال : زملوني زملوني، فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، قال لخديجة : أي خديجة، ما لي لقد خشيت على نفسي، فأخبرها الخبر، قالت خديجة : كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت خديجة : يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، قال ورقة : يا ابن أخي، ماذا ترى ؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وآله وسلم خبر ما رأى، فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا، ذكر حرفا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «أومخرجي هم ؟» قال ورقة : نعم، لم يأت رجل بما جئت به إلا أوذي، وإن يدركني يومك حيا أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة، حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[(٢)].

ومما استدل به أيضاً ما روته عائشة رضي الله عنها، قالت: «أول سورة نزلت من القرآن ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾»[(١)].

---

(١) سورة العلق، آية:١-٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ ١٧٣/٦، برقم ٤٩٥٣.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٣١/٢٤ عن عطاء بن يسار، والحاكم في مستدركه ٥٧٦/٢، برقم ٣٩٥٣ ، واللفظ له، وقال حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ هذا دليل صريح في أن أول ما نزل من القرآن اقرأ وهذا هو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف وقيل أوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ وليس بشيء»[(١)].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي، قال في حديثه : «**بينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، ففرقت منه، فرجعت، فقلت : زملوني زملوني، فدثروه، فأنزل الله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾[(٢)]، **قال أبو سلمة: وهي الأوثان التي كان أهل الجاهلية يعبدون – قال** : «**ثم تتابع الوحي**»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذا الحديث يوافق المتقدم وإن المدثر نزلت بعد أن هبط من الجبل وهو يمشي وبعد أن ناداه الملك حينئذ، وقد بين في الرواية الأخرى أن هذا الملك هو الذي جاءه بحراء وقد بينت عائشة أن ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ نزلت حينئذ في غار حراء، لكن كأنه لم يكن علم أن ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ نزلت حينئذ بل علم أنه رأى الملك قبل ذلك وقد يراه ولا يسمع منه، لكن في حديث عائشة زيادة علم وهو أمره بقراءة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وفي حديث الزهري[(١)] أنه سمى هذا فترة الوحي، وكذلك في حديث عائشة فترة الوحي، فقد يكون الزهري روى حديث جابر بالمعنى وسمى ما بين الرؤيتين فترة الوحي، كما بينته عائشة؛ وإلا فإن كان جابر سماه فترة الوحي فكيف يقول إن الوحي لم يكن نزل؟، وبكل حال

---

(١) دقائق المنهاج للنووي ٢/١٩٩.

(٢) سورة المدثر، آية:١–٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ ٦/١٧٣، برقم ٤٩٥٤.

(١) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، وكنيته أبو بكر، الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه وثبته، مات سنة ١٢٥هـ، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين، ينظر: تقريب التهذيب ١/٥٠٦.

فالزهري عنده حديث عروة عن عائشة؛ وحديث أبي سلمة عن جابر؛ وهو أوسع علماً وأحفظ من يحيى بن أبي كثير لو اختلفا، لكن يحيى ذكر أنه سأل أبا سلمة عن الأولى فأخبر جابر بعلمه ولم يكن علم ما نزل قبل ذلك وعائشة أثبتت وبينت»[١].

القول الثاني: أول ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ﴾[٢].

عن يحيى بن أبي كثير[٣]، سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن[٤] عن أول ما نزل من القرآن، قال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ قلت : يقولون : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنه ما عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت : فقال جابر : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : «**جاورت بحراء، فلما قضيت جواري هبطت فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا، ونظرت أمامي فلم أر شيئا، ونظرت خلفي فلم أر شيئا، فرفعت رأسي فرأيت شيئا، فأتيت خديجة فقلت : دثروني وصبوا علي ماء باردا، قال : فدثروني وصبوا علي ماء باردا، قال : فنزلت :** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾»[١].

ومما استدل به أيضاً ما روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، إذ جاءها عراقي، فقال : أي الكفن خير ؟ قالت : ويحك، وما يضرك ؟، قال : يا أم المؤمنين، أريني مصحفك ؟ قالت: لم ؟ قال: لعلي أولف القرآن عليه، فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت : وما يضرك أيه قرأت قبل ؟ «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٥٩/١٦.

(٢) سورة المدثر، آية:١، ٢.

(٣) يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم، أبو نصر اليمامي، ثقة ثبت لكنه يدلس ويرسل، من الخامسة مات سنة ١٣٢هـ، وقيل قبل ذلك، ينظر: تقريب التهذيب ٥٩٦/١.

(٤) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، قيل اسمه عبد الله، وقيل إسماعيل، ثقة مكثر، من الثالثه، مات سنة ٩٤هـ، أو ١٠٤هـ، وكان مولده سنة بضع وعشرين ، ينظر: تقريب التهذيب ٦٤٥/١.

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ ١٦١/٦، برقم ٤٩٢٢.

ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء : لا تشربوا الخمر، لقالوا : لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل : لا تزنوا، لقالوا : لا ندع الزنا أبدا، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإني لجارية ألعب : بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده»، قال : فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي[(١)]

قال السيوطي: «وقد استشكل هذا بأن أول ما نزل ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ وليس فيها ذكر الجنة والنار وأجيب بأن من مقدره أي من أول ما نزل والمراد سورة المدثر فإنها أول ما نزل بعد فترة الوحي وفي آخرها ذكر الجنة والنار فلعل آخرها نزل قبل نزول بقية ﴿ٱقۡرَأۡ﴾»[(٢)].

في الجمع بين القولين:

قال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في خبر جابر هذا: إن أول ما أنزل من القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، وفي خبر عائشة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، وليس بين هذين الخبرين تضاد، إذ الله عز وجل أنزل على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ وهو في الغار بحراء، فلما رجع إلى بيته دثرته خديجة وصبت عليه الماء البارد، وأنزل عليه في بيت خديجة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ من غير أن يكون بين الخبرين تهاتر أو تضاد»[(١)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تدل على أن المراد بالأولية في قوله أول ما نزل سورة المدثر أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي أو مخصوصة بالأمر بالإنذار لا أن المراد أنها أولية مطلقة فكأن من قال أول ما نزل اقرأ أراد أولية مطلقة ومن قال إنها المدثر أراد بقيد التصريح بالإرسال قال الكرماني استخرج جابر أول ما نزل يا أيها المدثر باجتهاد وليس هو من روايته والصحيح ما وقع في حديث عائشة ويحتمل أن يكون قوله في هذه الرواية فرأيت شيئا أي جبريل بحراء فقال لي اقرأ فخفت فأتيت خديجة فقلت دثروني فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ قلت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن ١٨٥/٦، برقم ٤٩٩٣.

(٢) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٩٥/١.

(١) صحيح ابن حبان ٢٢٠/١.

ويحتمل أن تكون الأولية في نزول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ بقيد السبب أي هي أول ما نزل من القرآن بسبب متقدم وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب وأما اقرأ فنزلت ابتداء بغير سبب متقدم ولا يخفى بعد هذا الاحتمال»[١].

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول ما نزل من القرآن:

٤. ذكر أول ما نزل من القرآن، وبيان الخلاف فيه، وأن الراجح في أول سورة نزلت من القرآن ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، والله أعلم.

٥. بيان شذوذ قول من قال بأن أول ما نزل من القرآن سورة الفاتحة، كالزمخشري صاحب الكشاف[٢].

٦. أن من قال بأن أول ما نزل من القرآن :﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فإن ذلك لا يعد قولاً برأسه، فهو من ضرورات نزول السور[١]، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لا يعلم ختم السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم»[٢].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٨/٦٧٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد للصالحي ٢/٢٤١.

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/٩٥.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه، ١/٣٥٥، برقم ٨٤٥، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

المطلب الثاني: أول ما نُسخ من القرآن.

النسخ في اللغة يطلق على معنيين:

الأول: الرفع والإزالة، وهو إبطال شيء وإقامة آخر مقامه، وقيل هو أن تزايل أمراً كان من قبل يعمل به، ثم تنسخه بحادث غيره، والعرب تقول: نسخت الشمس الظل، والمعنى أذهبت الظل وحلت محله، وفي الكتاب العزيز: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[1].

الثاني: النقل والإثبات، وهو نقل الشيء مع إثبات الأصل، والنسخ اكتتابك كتاباً عن كتاب حرفاً بحرف، تقول: نسخته وانتسخته، فالأصل نسخة، والمكتوب منه نسخة، لأنه قام مقامه والكاتب ناسخ ومنتسخ، ومنه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[1][2].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا أطلق النسخ في الشريعة أريد به المعنى الأول، لأنه رفع الحكم الذي ثبت تكليفه للعباد إما بإسقاطه إلى غير بدل أو إلى بدل»[3].

والمراد بالنسخ في الاصطلاح: «رفع حكم شرعي بحكم شرعي متأخر»[4].

ومعرفة الناسخ والمنسوخ علم عظيم، دل عليه قول علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما مر بقاصٍّ، فقال: «أتعرف الناسخ من المنسوخ؟» قال: لا قال: «هلكت

---

(١) سورة الحج، آية:٥٢.

(١) سورة الجاثية، آية:٢٩.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ٨٤/٧، مادة (نسخ).

(٣) نواسخ القرآن لابن الجوزي ١٢٧/١.

(٤) المصدر نفسه ٦٤٣/٢.

وأهلكت»[١]، ففيه بيان أن لا يجترئ أحد على التصدر إن لم يكن يعرف الناسخ من المنسوخ، وهذا دلالة على أهمية هذا العلم.

كما أن النسخ لايكون في الأخبار، بل يكون فيما سوى ذلك من الأوامر والنواهي، لأن النسخ يكون فيه تيسير على المؤمنين، فيكون فيه رفع حكم شرعي بحكم شرعي آخر أخف منه، أما الأخبار فلا تتبدل، لأن ذلك يعني الكذب وهذا محال في حق الله تعالى.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾[٢]، ما ننقل من حكم آية، إلى غيره فنبدله ونغيره، وذلك أن يحول الحلال حراما، والحرام حلالا والمباح محظورا، والمحظور مباحا، ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي، والحظر والإطلاق، والمنع والإباحة، فأما الأخبار، فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ»[١].

وقال السرخسي[٢]: «قال جمهور العلماء لا نسخ في الأخبار أيضا يعنون في معاني الأخبار واعتقاد كون المخبر به على ما أخبر به الصادق الحكيم بخلاف ما يقوله بعض أهل الزيغ من احتمال النسخ في الأخبار التي تكون في المستقبل لظاهر قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾، ولكنا نقول الأخبار ثلاثة خبر عن وجود ما هو ماض وذلك ليس فيه احتمال التوقيت ولا احتمال أن لا يكون موجوداً وخبر عما هو موجود في الحال وليس فيه هذا الاحتمال أيضا وخبر عما هو كائن في المستقبل نحو الإخبار بقيام الساعة وليس فيه احتمال ما بينا من التردد فتجويز النسخ في شيء من ذلك يكون قولا بتجويز الكذب

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢٢٠/٣، برقم ٥٤٠٧، وابن ابي شيبة في مصنفه ٢٩٠/٥، برقم٢٦١٩٢.

(٢) سورة البقرة، آية:١٠٦.

(١) جامع البيان للطبري ٣٨٨/٢.

(٢) محمد بن أحمد بن أبي سهل أبو بكر السرخسي الحنفي، أبو بكر، فقيه، أصولي، متكلم، مناظر، مات سنة ٤٩٠هـ، ينظر: الجواهر المضية للقرشي ٢٨/٢.

والغلط على المخبر به ألا ترى أنه لا يستقيم أن يقال اعتقدوا الصدق في هذا الخبر إلى وقت كذا ثم اعتقدوا فيه الكذب بعد ذلك»[1].

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والنسخ إنما يقع في الأمر والنهي دون الخبر المحض والاستثناء ليس بنسخ ولا التخصيص»[2].

كما أن الإيمان بالناسخ والمنسوخ فيه آثار عظيمة على المؤمنين، منها تثبيت الله لعباده، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[3].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يقول تعالى ذكره: قل نزل هذا القرآن ناسخه ومنسوخه، روح القدس علي من ربي، تثبيتاً للمؤمنين، وتقوية لإيمانهم، ليزدادوا بتصديقهم لناسخه ومنسوخه إيماناً لإيمانهم، وهدىً لهم من الضلالة، وبشرىً للمسلمين الذين استسلموا لأمر الله، وانقادوا لأمره ونهيه، وما أنزله في آي كتابه، فأقروا بكل ذلك،وصدقوا به قولا وعملا»[1].

وكان أول ما نُسِخَ من القرآن الكريم، ما كان في شأن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، ونسخت بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3]، هكذا جاء في الآثار عن أصحاب رسول الهدى صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) أصول السرخسي ٥٩/٢.

(٢) المصفى لابن الجوزي ١٢/١.

(٣) سورة الإسراء، آية:١٠١، ١٠٢.

(١) جامع البيان للطبري ٣٦٤/١٤.

(٢) سورة البقرة، آية:١١٥.

(٣) سورة البقرة، آية:١٤٩.

فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى نحو بيت المقدس، ستة عشر أو سبعة عشر شهرا، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[1]، فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس، وهم اليهود: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ فصلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل، ثم خرج بعد ما صلى، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال: هو يشهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه توجه نحو الكعبة، فتحرف القوم، حتى توجهوا نحو الكعبة»[2].

وجاء بسياق آخر ذُكر فيه الأولية في النسخ، فعن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: «أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة، قال الله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى نحو بيت المقدس، وترك البيت العتيق، فقال الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ ﴾ يعنون بيت المقدس فنسختها، وصرفه الله إلى البيت العتيق فقال الله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾»[1].

قال ابن حبان رحمه الله: «صلى المسلمون إلى بيت المقدس بعد قدوم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم المدينة سبعة عشر شهراً وثلاثة أيام سواء، وذلك أن قدومه صلى الله عليه وآله وسلم المدينة كان يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، وأمره الله جل وعلا باستقبال الكعبة يوم الثلاثاء، للنصف من شعبان، فذلك ما وصفت على صحة ما ذكرت»[2].

---

(١) سورة البقرة، آية:١٤٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة ٨٨/١، برقم ٣٩٩.

(١) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ٣٢٦/٣، والحاكم في مستدركه ٢٩٤/٢ واللفظ له، والبيهقي في السنن الكبرى ١٩/٢، ومعرفة السنن والآثار ٣١٣/٢، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح ابن حبان ٦١٧/٤.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول ما نُسِخَ من القرآن:

١.ذكر أول ما نُسِخَ من القرآن، وأن أول ما نُسِخَ كان في شأن القبلة، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٢.أن القول بجواز النسخ في الأخبار يؤدي إلى القول بالبداء[1]، والجهل الذي تدعيه اليهود في أصل النسخ[2].

قال ابن الجوزي رحمه الله: «فأما الفرق بين النسخ والبداء، فذلك من وجهين:

الأول: أن النسخ: تغيير عبادة أمر بها المكلّف، وقد علم الآمر حين الأمر أن لتكليف المكلف بها غاية ينتهي الإيجاب إليها ثم يرتفع بنسخها.

والبداء: أن ينتقل الأمر عن ما أمر به وأراده دائما بأمر حادث، لا بعلم سابق.

والثاني: أن سبب النسخ لا يوجب إفساد الموجب لصحّة الخطاب الأول، والبداء يكون سببه دالا على إفساد الموجب لصحّة الأمر الأول، مثل: أن يأمره بعمل يقصد به مطلوبا، فيتبين أن المطلوب لا يحصل بذلك الفعل، فيبدو له ما يوجب الرجوع عنه، وكلا الأمرين يدل على قصور في العلم، والحق عزّ وجلّ منزّه عن ذلك»[1].

٣.فيه رد على اليهود عموماً بمختلف فرقهم، الذين اختلفوا في جواز النسخ شرعاً وعقلاً[2].

قال الشهرستاني[3]: «واليهود تدعي أن الشريعة لا تكون إلا واحدة، وهي ابتدأت بموسى عليه السلام وتمت به؛ فلم تكن قبله شريعة، إلا حدود عقلية، وأحكام مصلحية، ولا

---

(١) البداء، استصواب شيء عُلِم بعد أن لم يعلم، وبدا له في الأمر بداء، أي نشأ له فيه رأي، وذلك محال على الله غير جائز، ينظر: الصحاح للجوهري ٦/ ٢٢٧٨، لسان العرب لابن منظور ٦٦/١٤.

(٢) ينظر: أصول السرخسي ٥٩/٢.

(١) نواسخ القرآن لابن الجوزي ١١٦/١.

(٢) ينظر: الإحكام للآمدي ١٠٩/٣، نواسخ القرآن لابن الجوزي ١٣/١، إرشاد الفحول للشوكاني ٥٢/٢.

(٣) محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، أبو الفتح، ولد سنة ٤٦٧هـ، يميل إلى أهل البدع والزيغ، مات في شعبان سنة ٥٤٨هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٢٠، لسان الميزان ٢٦٣/٥.

يجيزوا النسخ أصلاً، قالوا: فلا يكون بعد شريعة أصلاً؛ لأن النسخ في الأوامر بداء ولا يجوز البداء على الله تعالى»[1].

(١) الملل والنحل للشهرستاني ٢/١٦.

المطلب الثالث: أول من جمع القرآن.

ذكر الله سبحانه وتعالى جمع القرآن في كتابه لرسوله صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[(١)].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: إن علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد حتى نثبته فيه، وقرآنه حتى تقرأه بعد أن جمعناه في صدرك»[(٢)].

فكان أن جُمِعَ أولاً في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أخذه الصحابه من فيِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «والله لقد أخذت من فيِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم»[(١)].

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتّابٌ يكتبون الوحي، منهم زيد بن ثابت رضي الله عنه، وكان يكتب القرآن في أول الأمر على الرقاع[(٢)] والأكتاف[(٣)]، والعسب[(٤)].

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بعدم كتابة شيء سوى القرآن، كما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه**»[(٥)]، فكان ذلك يعتبر جمعاً في السطور للقرآن الكريم، بيد أنه لم يجمع

---

(١) سورة القيامة، آية:١٧.

(٢) جامع البيان للطبري ٢٣/٥٠٠.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القرآء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ٦/١٨٦، برقم ٥٠٠٠.

(٢) الرقاع جمع رقعة وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد، ينظر: فتح الباري لابن حجر ٩/١٤.

(٣) الكتف، عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان من الناس والدواب كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم، ينظر: لسان العرب ٩/٢٩٤.

(٤) العسيب، جريدة من النخل مستقيمة، دقيقة يكشط خوصها، ينظر: لسان العرب ١/٥٩٩.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب التثبت في الحديث٤/٢٢٩٨، برقم ٣٠٠٤.

بين دفتين بعد، فكان القرآن محفوظاً بحفظ الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ وهو القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه»[2].

فكان القرآن الكريم قد جمع وحفظ في الصدور أولاً، ثم في السطور ثانياً، بيد أنه كان مفرقاً في رقاع وأكتاف وعسب حتى وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وصدر من خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كما أخبر زيد بن ثابت رضي الله عنه عن ذلك فقال :«فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف، والعسب وصدور الرجال»[1].

ثم يسّر الله تعالى جمع المصحف بين دفتين، وكان أول من جمعه هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فكانت ضمن أعماله الجليلة التي قدمها لخدمة كتاب الله تعالى.

وكان لجمع القرآن سبب، يحكيه زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وكان ممن يكتب الوحي – قال: «أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمع القرآن، قال أبو بكر: قلت لعمر: كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر، قال زيد بن ثابت: وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفني

---

(١) سورة الحجر، آية:٩.

(٢) جامع البيان للطبري ١٨/١٤.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾، ٧١/٦، برقم ٤٦٧٩.

نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف، والعسب وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾[1]، إلى آخرهما، وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر»[1].

وقد بوّب الإمام البخاري في صحيحه، فقال: «باب جمع القرآن»[2].

قال ابن حجر رحمه الله: «قوله باب جمع القرآن المراد بالجمع هنا جمع مخصوص وهو جمع متفرقه في صحف، ثم جمع تلك الصحف في مصحف»[3].

فأول من جمع القرآن بين لوحين هو الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ويؤكد ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال: «إن أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان أول من جمع القرآن بين اللوحين»[4].

وعن صعصعة[5]، قال: «أول من جمع القرآن وورث الكلالة أبو بكر»[1].

---

(١) سورة التوبة، آية:١٢٨.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ ٧١/٦، برقم ٤٦٧٩.

(٢) صحيح البخاري ١٨٣/٦.

(٣) فتح الباري لابن حجر ١١/٩.

(٤) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ٣٥٤/١، وابن أبي داود في المصاحف ٤٩/١، والآجري في الشريعة ١٧٨٢/٤، وقال ابن كثير في فضائل القرآن ٥٧/١: هذا إسناد صحيح .

(٥) صعصعة ابن صُوحان العبدي، نزيل الكوفة تابعي كبير مخضرم فصيح ثقة، مات في خلافة معاوية، تقريب التهذيب لابن حجر ٢٧٦/١.

فكان أول من جمع المصحف هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأما عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد نسخه من المصحف الذي جمع أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وكان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن حذيفة بن اليمان، قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشأم في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: «أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك»، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم» ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف، أن يحرق»[1].

قال ابن حجر رحمه الله: «قال ابن التين وغيره الفرق بين جمع أبي بكر وبين جمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد فجمعه في صحائف مرتبا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القرآن حين قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعض فخشي من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبا لسوره»[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الأوائل، باب أول ما فعل ومن فعله، ٢٥٩/٧، برقم ٣٥٨٦٦.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ١٨٣/٦، برقم ٤٩٨٧.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٢١/٩

ونقل السيوطي عن الحارث المحاسبي[(١)] قوله: «المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد، على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار، لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أُنزل بها القرآن فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق»[(٢)].

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من جمع القرآن:

١.ذكر أول من جمع القرآن، وأن أول من جمع القرآن بين لوحين هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

٢.أن جمع أبي بكر الصديق للمصحف تعد من فضائله ومنقبة من مناقبة، وذلك لأن له الأولية والسبق في جمع المصحف، فكل من أتى بعده فهو في ميزان حسناته رضي الله عنه ، ومن ذلك المؤسسات الضخمة التي تعنى بطباعة المصحف الشريف في يومنا هذا، قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[(١)].

قال ابن كثير رحمه الله: «نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم، وآثارهم التي أثروها من بعدهم، فنجزيهم على ذلك أيضا، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر»[(٢)].

وكما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء»[(١)].

---

(١) الحارث بن أسد المحاسبي، الزاهد المشهور، أبو عبد الله البغدادي، صاحب التصانيف، مقبول، من الحادية عشرة، مات سنة ٢٤٣هـ، ينظر: تقريب التهذيب ١/١٤٥.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/٢١١.

(١) سورة يس، آية:١٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٥٦٥.

٣.بيان فساد عقيدة الرافضة الحاقدين الذين يعتقدون أن القرآن الكريم محرّف، وهم بهذا يطعنون في من قام بجمع المصحف وهم الصحابة، وفي أبي بكر الصديق خصوصاً رضي الله عنهم، وهاك نزراً يسيراً من أقوالهم التي تنبيك عن حقدهم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين، وإن رغمت أنوف.

فقد ذكر الصفّار[١] بسنده: «ما يستطيع أحد أن يدعى أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء»[٢].

وعنه أيضاً: «ما من أحد من الناس يقول إنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب، وما جمعه وما حفظه كما أنزل الله إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده»[٣].

يقول المفيد[٤]: «ان الأخبار جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان»[٥].

قال ابن حجر رحمه الله: «وقد تسول لبعض الروافض أنه يتوجه الاعتراض على أبي بكر بما فعله من جمع القرآن في المصحف، فقال: كيف جاز أن يفعل شيئا لم يفعله الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.

والجواب: أنه لم يفعل ذلك إلا بطريق الاجتهاد السائغ الناشئ عن النصح منه لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أذن في كتابة القرآن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أوسيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ٢٠٥٩/٤، برقم ١٥.

(١) محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، أبو جعفر، توفي سنة ٢٩٠هـ، من أئمة الشيعة، ينظر: معجم المؤلفين ٣٠٦/١١.

(٢) بصائر الدرجات للصفار ص:٢٢٩.

(٣) المصدر نفسه، الجزء والصفحة.

(٤) محمد بن محمد بن النعمان العكبري، الحارثي، البغدادي، الكرخي، المعروف بالشيخ المفيد، ولد سنة ٣٣٨ هـ، متكلم من شيوخ الامامية، مات سنة٤١٣هـ، ينظر: معجم المؤلفين ٣٠٦/١١.

(٥) أوائل المقالات للمفيد ص:٩١.

ونهى أن يكتب معه غيره فلم يأمر أبو بكر إلا بكتابة ما كان مكتوبا، ولذلك توقف عن كتابة الآية من آخر سورة براءة حتى وجدها مكتوبة مع أنه كان يستحضرها هو ومن ذكر معه»[١].

٤. لامنافاة بين أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم للصحابة بأن لا يكتبوا شيئاً غير القرآن، وبين ما ورد من أن أبي بكر الصديق أول من جمع المصحف، وقد بين ذلك ابن حجر رحمه الله فقال: «فلا ينافي ذلك لأن الكلام في كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة وقد كان القرآن كله كتب في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور»[١].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١٣/٩.

(١) المصدر نفسه ١١/٩.

المطلب الرابع: أول من قال بخلق القرآن.

القرآن الكريم كلام الله تعالى لفظاً ومعنىً، تكلم به سبحانه وتعالى على الحقيقة، كلاماً يليق به سبحانه وتعالى، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه، وعلى هذا كان السلف الصالح، جيلاً بعد جيل، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.

قال أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «وأن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وحياً، وصدقت المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ليس بمخلوق ومن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر»[(٢)].

قال ابن أبي العز: «هذه قاعدة شريفة، وأصل كبير من أصول الدين، ضل فيه طوائف كثيرة من الناس، وهذا الذي حكاه الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما، وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة»[(٣)].

قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته[(٤)]:

وكذلك القرآن عين كلامه الـ ... ـمسموع منه حقيقة ببيان

هو قول ربي كله لا بعضه ... لفظا ومعنى ما هما خلقان

تنزيل رب العالمين وقوله ... اللفظ والمعنى بلا روغان

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «من كلام الله القرآن العظيم تكلم الله به وحياً، وبلغه جبريل إلى الرسول، وبلغه الرسول إلى الأمة، وهو كلام الله، فقد ذكر الله في آيات من كتابه أنه كلامه، وإضافته إلى جبريل ومحمد في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، من

---

(١) أحمد بن محمد بن سلامة طحاوي الحنفي أبو جعفر، ولد سنة ٢٣٧هـ، وكان ثقة ثبتا فقيها عاقلا، توفي سنة ٣٢١هـ، ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ٢١/٣، سير أعلام النبلاء ٢٧/١٥

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز ١٧٢/١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الكافية الشافية لابن القيم، ص:٣٨.

إضافة التبليغ، لأن الرسول بلغه، وكون الرسول بلغه لا يمنع في الأصل أن يكون كلام الله تعالى، لأن الكلام يضاف إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً.

وليس كلام الله المعنى فقط، دون الحروف، ولا الحروف دون المعنى، بل اللفظ والمعنى كله كلام الله جل وعلا، مهما كُتب ومهما قُرِىء فهو كلام الله تعالى، ومهما حُفظ فهو كلام الله، والقارىء إنما يقرأ كلام الله سبحانه وتعالى، فالصوت صوت القارىء، ولكن الكلام كلام البارىء»[١].

ثم نبتت نابتة فقالوا أن القرآن مخلوق، فكانوا مقموعين مطرودين، فقد كان خلفاء بني العباس حينها على هدي السلف الصالح، فعن المسعودي القاضي[٢]،قال: سمعت هارون الرشيد[٣]، أمير المؤمنين يقول: «بلغني أن بشراً المريسي يزعم أن القرآن مخلوق، لله علي إن أظفرني به لأقتلنه قتلة ما قتلتها أحداً قط»[٤].

ثم حدثت فتنة القول بخلق القرآن زمن المأمون[٥]، الذي كان مولعاً بترجمة كتب الفلسفة، وابتنى داراً لذلك سميت دار الحكمة، حتى إنه لم يكتف باعتناق القول بخلق القرآن، بل حمل الناس على القول به، وامتحن العلماء والفقهاء، فمنهم من قال به تقيةً، ومنهم من تصدى للفتنة وكان الإمام في ذلك أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) التعليق المختصر على القصيدة النونية للشيخ صالح الفوزان ١/١٥٨، باختصار.

(٢) القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود المسعودي الكوفي، أبو عبد الله القاضي، ولد بعد المائة، ثقة فاضل، مات سنة ١٧٥هـ، ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/٣٨٤، سير أعلام النبلاء ٨/١٩٠، تقريب التهذيب ١/٤٥٢.

(٣) هارون بن محمد بن عبد الله، أمير المؤمنين الرشيد ابن المهدي ابن المنصور؛ كان شجاعاً كثير الحج والغزو، ولد سنة ١٤٧هـ، توفي سنة ١٩٣هـ، ينظر: الوافي بالوفيات ٢٧/ ١١٨ ، فوات الوفيات لصلاح الدين ٤/٢٢٥.

(٤) السنة لعبدالله بن أحمد ١/١٦٩، برقم ١٩٧.

(٥) عبد الله بن هارون أمير المؤمنين أبو العباس المأمون بن الرشيد بن المهدي؛ ولد سنة سبعين ومائة، وتوفي سنة ثماني عشرة ومائتين، ينظر: فوات الوفيات لصلاح الدين ٢/٢٣٥.

وكان القول بخلق القرآن قد بلغ أوجه في بداية القرن الثالث في عصر المأمون وتحديداً سنة ٢١٨هـ، حين أصبح رؤوس المعتزلة مقربين من الخلفاء، فأثروا فيهم بما أعطوا من فصاحة وبيان، فكانت الفتنة التي عمت أركان الخلافة، حتى أنتهت في زمن المتوكل[١]، فحُمِد على فعله بترك امتحان الناس بهذا القول[٢].

وقد اختُلِفَ في أول من قال بأن القرآن مخلوق، وكان ذلك على قولين:

القول الأول: أن أول من قال بخلق القرآن الجعد بن درهم.

وبه قال عدد كثير من العلماء، وهو أظهر القولين، وممن قال به:

ابن عساكر[٣] في ترجمة الجعد فقال: « وكان أول من أظهر القول بخلق القرآن في أمة محمد»[٤].

عبد الرحمن بن أبي حاتم[٥] قال: سمعت أبي يقول: «أول من أتى بخلق القرآن جعد بن درهم وقاله: في سنة نيف وعشرين ومائة، ثم من بعدهما بشر بن غياث المريسي لعنه الله، وكان صباغا يهوديا»[٦].

وقال البيهقي بعد أن ساق كلام الإمام البخاري عن قول المعطلة بخلق القرآن: «وقد روينا نحو هذا عن جماعة أخرى من فقهاء الأمصار وعلمائهم رضي الله عنهم، ولم يصح

---

(١) جعفر بن محمد، المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد؛ بويع له بالخلافة، ولما استخلف أظهر السنة وتكلم بها في مجلسه وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وإظهار السنة وبسط أهلها ونصرهم، وقتل سنة ٢٤٧هـ، ينظر: فوات الوفيات لصلاح الدين ١/٢٩٠.

(٢) ينظر: تاريخ الرسل والملوك للطبري ٨/٦٣١-٦٤٥، المنتظم لابن الجوزي ١١/١٥-٢٤، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥/٥٧٢-٥٧٦، البداية والنهاية لابن كثير ١٤/٢٠٧-٢٣٤.

(٣) علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي الشافعي، أبو القاسم، ولد سنة ٤٩٩هـ، حافظ ثقة متقن دين خير حسن السمت، توفي سنة ٥٧١هـ، ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/٨٢.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ٧٢/٩٩.

(٥) عبد الرحمن بن محمد بن ادريس الحنظلي التميمي، أبو محمد، الحافظ المعروف بابن أبي حاتم، كان زاهداً ورعاً، توفي سنة ٣٢٧هـ، ينظر: فوات الوفيات لصلاح الدين٢/٢٨٧.

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٣/٤٢٥.

عندنا خلاف هذا القول عن أحد من الناس في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين وأول من خالف الجماعة في ذلك الجعد بن درهم»[(١)].

وقال الذهبي: «كان الجعد أول من تفوه بأن الله لا يتكلم، وقد هرب من الشام»[(٢)].

وقال ابن كثير: «الجعد بن درهم، هو أول من قال بخلق القرآن»[(٣)].

القول الثاني: أن أول من قال بخلق القرآن بيان[(٤)]بن سمعان.

وبه قال أبو بكر الدينوري[(٥)]، وابن قتيبة الدينوري[(٦)]، فقالا: «البيانية[(٧)]، ينسبون إلى رجل يقال له بيان، قال لهم: إلي أشار الله تعالى إذ قال: ﴿ **هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾[(٨)]، وهم أول من قال بخلق القرآن»[(٩)].

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي ٦١٦/١.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٢١٨/٣.

(٣) البداية والنهاية ابن كثير ١٤٧/١٣.

(٤) بيان بن سمعان النهدي من بنى تميم، ظهر بالعراق بعد المائة، وقال بإلهية على، وأن فيه جزءا إلهياً متحدا بناسوته، ثم من بعده في ابنه محمد ابن الحنفية، ثم في أبي هاشم ولد ابن الحنفية، ثم من بعده في بيان هذا، وكتب بيان كتاباً إلى أبي جعفر الباقر، يدعوه إلى نفسه، وأنه نبي، ينظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٣٥٧/١، الوافي بالوفيات للصفدي ٢٠٥/١٠

وجاء في تاريخ دمشق لابن عساكر، والكامل لابن الأثير: أبان.

(٥) أحمد بن مروان الدينوري المالكي، أبو بكر، كان بصيراً بمذهب مالك، ضعفه الدار قطني، مات بعد ٣٣٠هـ، ينظر سير أعلام النبلاء ٤٢٧/١٥، ميزان الاعتدال ١٥٦/١، لسان الميزان ٣٠٩/١.

(٦) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، رمي بأنه يميل إلى قول الكرامية، ونفى عنه ذلك الذهبي، مات سنة ٢٧٠هـ، ينظر سير أعلام النبلاء ٢٩٦/١٣.

(٧) البيانية، فرقة غالية حلولية، وهم أتباع بيان بن سمعان، الذي زعم أن معبوده إنسان من ثور على صورة الإنسان في أعضائه، وأنه يفنى كله إلا وجهه، ويعتقدون بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ينظر: الفرق بين الفرق ٢١٤/١، الملل والنحل ١٥٢/١.

(٨) سورة آل عمران، آية:١٣٨.

(٩) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة الدينوري ١٢٤/١، المجالسة لابو بكر الدينوري ٤٥٤/٣.

وأصل هذه المقالة كانت لدى اليهود، فقالوا بأن التوراة مخلوقة، والذي قال بذلك هو لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال ابن الأثير في سيرة أحمد بن أبي داود[1]: «وكان داعية إلى القول بخلق القرآن وغيره من مذاهب المعتزلة، وأخذ ذلك عن بشر المريسي، وأخذه بشر من الجهم بن صفوان، وأخذه جهم من الجعد بن أدهم، وأخذه الجعد من أبان بن سمعان، وأخذه أبان من طالوت ابن أخت لبيد الأعصم وختنه، وأخذه طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان لبيد يقول بخلق التوراة، وأول من صنف في ذلك طالوت، وكان زنديقا، فأفشى الزندقة»[2].

وقول ابن الأثير هذا يبين سلسلة المبتدعة، نفاة الصفات، الذين قالوا بخلق القرآن الكريم، ولعل سائل يسأل، لم قيل بأن أول من قال بخلق القرآن هو الجعد بن درهم، مع أنه أخذ هذا القول عن بيان بن سمعان، كما في رواية ابن الأثير.

فالجواب: لعله من أجل أن بيان بن سمعان هذا والذي تنسب إليه فرقة البيانية، كان يأتي بطوام أخرى غير القول بخلق القرآن، كالحلول وغيرها، وكان يدعوا إلى نفسه، وأما الجعد بن درهم فقد أظهر القول بخلق القرآن ودعا إليه، فشاع قوله بين المسلمين، لأنه لم يدَّع الألوهية أو النبوة كبيان، والله تعالى أعلى وأعلم.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من قال بخلق القرآن:

١. ذكر أول من قال بخلق القرآن.

٢. ذكر أصل هذه المقالة الفاسدة، والتي دخلت على المسلمين من قبل اليهود، الذين أرادوا بذلك إفساد عقيدة المسلمين.

---

(١) أحمد بن أبي داود القاضي، جهمي بغيض، ولد سنة١٦٠هـ، وهلك سنة ٢٤٠هـ، ينظر: لسان الميزان ١/١٧١.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٦/١٤٩.

٣.فيه بيان لأساليب اليهود الماكرة في إفساد المسلمين؛ وذلك بجعل بعضهم يتبنى أفكاراً هدامة، ويبثها، ثم يقع النزاع بين أفراد المسلمين، وتبقى المشاهدة لليهود.

٤.بيان فساد قول الأشاعرة باثباتهم سبع صفات لله فقط، إحداها: أن كلام الله نفسي، هم أرادوا أن يردوا على المعتزلة، فوقعوا في المحظور، وقالوا بمثل قولهم.

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «الذين يقولون: إن كلام الله النفساني غير مخلوق، والكلام الذي بلغه الرسول مخلوق؛ لأنه حكاية أو عبارة عن كلام الله كما تقوله الأشاعرة وغيرهم، فيكون القرآن مركباً من شيء مخلوق، وشيء غير مخلوق، فالحروف والأصوات مخلوقه، وأما المعنى فهو قائم بالله تعالى عبر عنه جبريل أو عبر عنه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحكاه، وهذا قول باطل، وهذا يشبه قول النصارى في المسيح، أن بعضه رباني وبعضه بشري، فهو مركب من اتحاد اللاهوت بالناسوت، فالقرآن إذن مركب من شيء رباني ومن شيء إنساني وهذا باطل»[١].

---

(١) التعليق المختصر على القصيدة النونية للشيخ صالح الفوزان ١/١٥٨.

الفصل الثالث:

المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الإيمان بالرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في أعمال الأنبياء والرسل.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في أعمال الأنبياء والرسل.

قبل الشروع في الحديث عن الأولية في بعض أعمال الأنبياء والرسل، يحسن بنا معرفة المعنى اللغوي والشرعي للنبي والرسول، والفرق بينهما.

أولاً: النبي، في اللغة: من أنبأ، أي أخبر، لأنه مخبر عن الله، فترك همزه، أو من النبوة و النباوة، وهي الارتفاع من الأرض لارتفاع قدره ولأنه شرف على سائر الخلق، فأصله غير الهمز [(١)].

قال شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الأصل إنما قيل مضافاً إلى الله؛ يقال نبي الله؛ كما قال:﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[(٢)]»[(٣)].

وفي الشرع: هو الذي ينبئه الله تعالى، وهو ينبأ بما أنبأ الله له، ويعمل بشريعة الرسول الذي قبله[(٤)].

ثانياً: الرسول، من الإرسال وهو التوجيه، وقد أرسل إليه، والاسم الرسالة والرسول، والرسول هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذا من قولهم جاءت الإبل رسلا أي متتابعة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[(٥)]؛ معناه إنا رسالة رب العالمين أي ذوا رسالة رب العالمين[(٦)].

فالرسول يكون من الملائكة ويكون من البشر، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾[(٧)]؛ فالله عز وجل قد أرسل جبريل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأرسل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى الثقلين.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ٣٤٨/١٥، الصحاح للجوهري ٧٤/١، مادة (نبا).

(٢) سورة البقرة، آية:٩١.

(٣) النبوات لابن تيمية ٦٨٧/٢.

(٤) المصدر نفسه ٧١٤/٢، بتصرف.

(٥) سورة الشعراء، آية:١٦.

(٦) ينظر: لسان العرب لابن منظور ٢٨٣/١١، مادة (رسل).

(٧) سورة الحج، آية:٧٥.

وفي الشرع: هو الذي ينبئه الله تعالى، ويُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه، وقد يوحى إليه بشريعة غير شريعة الرسول الذي قبله[١].

الفرق بين الرسول والنبي:

هناك عدد من الفروق ذكرها أهل العلم بين الرسول والنبي، ولعلي أقتصر على ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه النبوات[٢]؛ وذلك بإيجاز:

الأنبياء ينبئهم الله؛ فيخبرهم بأمره، ونهيه، وخبره، وهم ينبئون المؤمنين بما نبئوا به.

الرسل ينبئهم الله؛ فيخبرهم بأمره، ونهيه، وخبره، وهم يرسلوا إلى كفار يدعونهم إلى توحيد الله، وعبادته وحده لا شريك له فيكذبهم بعضهم.

الأنبياء تعمل بشريعة الرسل الذين كانوا قبلهم، ولا يوحى إليهم بشرع جديد.

ليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة؛ فإن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كان على ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وداود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة.

الحكمة من إرسال الرسل:

أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل إلى بني آدم ليهدوهم بإذن الله إلى توحيده وإخلاص العبادة له وحده سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[٣]؛ فكلما انحرف الناس عن دين الله، بعث الله في الناس رسولاً منهم لا من غيرهم، قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[٤]،رحمةً من الله بهم، وليكون أدعى لقبولهم وانقيادهم، لأنه تكلم بلسانهم، ﴿ وَمَآ

---

(١) النبوات لابن تيمية ٢/٧١٤، بتصرف.

(٢) المصدر نفسه ٢/٧١٧.

(٣) سورة إبراهيم، آية:٥.

(٤) سورة المؤمنون، آية:٣٢.

أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[١].

والإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان؛ الذي لا يتم إيمان العبد إلا به، ولا يكفي أن يؤمن بالرسول الذي أرسل إليه، بل لا بد من الإيمان بجميع الرسل، والتكذيب بأحدهم هو تكذيب وكفر بهم جميعاً، كما هو حال اليهود والنصارى الذين كذبوا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يؤمنوا به، ويقولون نؤمن بموسى أو بعيسى، فكشف الله زيغهم وضلالهم في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء، فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانا شرعياً، إنما هو عن غرض وهوى وعصبية»[٣].

بل إن الإيمان الحق هو ماكان عليه السلف الصالح من الإيمان بجميع الرسل، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٤].

قال ابن كثير رحمه الله: «يعني بذلك: أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي بعثه الله، كما قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ

---

(١) سورة إبراهيم، آية:٤.

(٢) سورة النساء، آية:١٥٠، ١٥١.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٤٤٥.

(٤) سورة النساء، آية:١٥٢.

وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[1]»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، في الأولى والآخرة» قالوا: كيف؟ يا رسول الله قال: «الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، فليس بيننا نبي»[3].

والمراد أن أصل دينهم واحد وهو الدعوة إلى توحيد الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾[4].

قال السعدي رحمه الله: «يخبر تعالى أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولا وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له»[5].

وأما شرائعهم فشتى، كما قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾[6].

عن قتادة قوله:«﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾؛ يقول: سبيلاً وسنةً، والسنن مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحل الله فيها ما يشاء، ويحرم ما يشاء بلاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره: التوحيد والإخلاص لله، الذي جاءت به الرسل»[7].

وأما المسائل العقدية المتعلقة بالأوائل في الإيمان بالرسل فقد جعلتها في سبعة مطالب وهي:

---

(١) سورة البقرة، آية:٢٨٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٤٤٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، ٤/١٨٣٧،برقم ٢٣٦٥.

(٤) سورة النحل، آية:٣٦.

(٥) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ١/٤٤٠.

(٦) سورة المائدة، آية:٤٨.

(٧) جامع البيان للطبري ٨/٤٩٣.

المطلب الأول: أول من يفيق بعد الصعقة.

المطلب الثاني: أول ما كان من أمر النبوة.

المطلب الثالث: أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة.

المطلب الرابع: أول غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

المطلب الخامس: أول بدء الوحي.

المطلب السادس: أول نبي أحيا سنة الله في الرجم.

المطلب السابع: أول نبي عمل بسنن الفطرة.

المطلب الأول: أول من يفيق بعد الصعقة.

الصعْقُ في اللغة يطلق ويراد به معنيين:

الأول: الغشي، وهو ذهاب العقل بسبب الصوت الشديد من صيحة أو هدة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾[1]، معناه خر مغشياً عليه، بدليل سياق الكلام بعده، حيث قال: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾؛ لأنه يقال للذي غشي عليه والذي يذهب عقله: قد أفاق، وقال الله في الذين ماتوا: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ﴾.

الثاني: الموت، ومنه قوله تعالى﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ ﴾[2]، بدليل سياق الكلام بعد ذلك، حيث قال: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ ﴾[3].

وأما الأولية في الإفاقة من الصعقة يوم القيامة، فورد فيها حديث بروايات متعددة في الصحيحين وغيرها، وسأورد ثلاثة روايات لحديث واحد، وذلك لتضمنها ألفاظاً مختلفة لها دلالات متعددة، وهي كما يلي:

الحديث الأول: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد لطم وجهه، فقال: يا محمد، إن رجلا من أصحابك من الأنصار قد لطم في وجهي، قال: «**ادعوه**»، فدعوه، قال: «**لم لطمت وجهه**» قال: يا رسول الله، إني مررت باليهود فسمعته يقول: والذي اصطفى موسى على البشر، قال: قلت: وعلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فأخذتني غضبة فلطمته، قال: «**لا تخيروني من بين الأنبياء، فإن الناس**

(١) سورة الأعراف، آية:١٤٣.

(٢) سورة البقرة، آية:٥٦.

(٣) ينظر: العين للفراهيدي ١/١٢٩، الزاهر للأنباري ٢/١٢١، تهذيب اللغة للأزهري ١/١٢٢، مادة (صعق).

يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي، أم جوزي بصعقة الطور»[1].

الحديث الثاني: وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بينما يهودي يعرض سلعته، أعطي بها شيئا كرهه، فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار، فقام فلطم وجهه، وقال: تقول: والذي اصطفى موسى على البشر، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرنا؟ فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إن لي ذمة وعهدا، فما بال فلان لطم وجهي، فقال: «**لم لطمت وجهه**» فذكره، فغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى رئي في وجهه، ثم قال: «**لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور، فيصعق من في السموات ومن في الأرض، إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بعث، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أم بعث قبلي، ولا أقول: إن أحدا أفضل من يونس بن متى**»[2].

الحديث الثالث: وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش، فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة**»[3].

جاءت الروايات السابقة -وجميعها عند البخاري- بالتصريح بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أول من يفيق بعد الصعقة، وذلك بألفاظ عدة، اشتركت في الإسم، وتباينت في الرسم، ففي رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «**فأكون أول من يفيق**»؛ وفي الرواية الأولى لأبي هريرة رضي الله عنه: «**فأكون أول من بعث**»؛ وفي الرواية الثانية لأبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**إني أول من يرفع رأسه**».

قال ابن حجر رحمه الله: لم تختلف الروايات في الصحيحين في إطلاق الأولية، وجاء في رواية: «**فأكون في أول من يفيق**»، فعرف أن إطلاق الأولية في غيرها محمول عليها[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب إذا لطم المسلم يهودياً، ١٣/٩، برقم ٦٩١٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، ١٥٩/٤، برقم ٣٤١٤

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، ١٢٦/٦، برقم ٤٨١٣.

ويقصد بغيرها رواية أبي هريرة رضي الله عنه في مسلم، وجاء فيها: «**فأكون أول من بعث، أو في أول من بعث**»(٢).

وقد اختلف في محل الإفاقة أو البعث المذكور في الروايات السابقة، والراجح أنها في عرصات القيامة بعد النفخة الأخيرة؛ وهي نفخة البعث، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة**»

قال ابن حجر رحمه الله: «وأما الصعقة العامة فإنها تقع إذا جمعهم الله تعالى لفصل القضاء؛ فيصعق الخلق حينئذ جميعاً إلا من شاء الله، ووقع التردد في موسى عليه السلام؛ قال: ويدل على ذلك قوله وأكون أول من يفيق، وهذا دال على أنه ممن صعق، وتردد في موسى، هل صعق فأفاق قبله أم لم يصعق، قال: ولو كان المراد الصعقة الأولى للزم أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم جزم بأنه مات، وتردد في موسى هل مات أم لا، والواقع أن موسى قد كان مات لما تقدم من الأدلة، فدل على أنها صعقة فزع لا صعقة موت والله أعلم»(٣)

وقال أيضاً: «ويؤيده أنه عبَّرَ بقوله أفاق لأنه إنما يقال أفاق من الغشي وبعث من الموت وكذا عبر عن صعقة الطور بالإفاقة لأنها لم تكن موتاً بلاشك، وإذا تقرر ذلك كله ظهر صحة الحمل على أنها غشية تحصل للناس في الموقف»(٤).

ومن المعلوم أن النفخ في الصور يكون مرتين، نفخة صعق تموت فيها جميع الخلائق التي تكون على قيد الحياة في ذلك الوقت، ثم تتبعها نفخة بعث لليوم الآخر؛ فيخرج الناس من قبورهم إلى الحشر؛ كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(٥)؛ ومن قال بأنها ثلاث

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٦/٤٤٥، باختصار.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، فضائل موسى عليه السلام ٤/١٨٤٣، برقم ٢٣٧٣.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٦/٤٤٥.

(٤) المصدر نفسه ٦/٤٤٦.

(٥) سورة الزمر، آية:٦٨.

نفخات، نفخة فزع؛ ونفخة صعق؛ ونفخة بعث، فهي تحمل على النفختين، لإن نفخة الفزع ملحقة بنفخة الصعق، والله أعلم.

إذا تقرر ذلك فما سبب الصعقة العامة، أي صعقة الفزع التي ذكرها ابن حجر، والتي تكون في العرصات يوم القيامة، وقت فصل القضاء؟.

ذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ سبب ذلك الغشي الذي يلحق الناس في عرصات يوم القيامة، فقال: «وقوله: «**فإن الناس يصعقون يوم القيامة**»، الظاهر أن هذا الصعق يكون في عرصات القيامة، يحصل أمر يصعقون منه، والله أعلم به، وقد يكون ذلك إذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء، وتجلى للخلائق الملك الديان، كما صعق موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من تجلي الرب عز وجل، ولهذا قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور؟**»[1].

ومما اشتمل عليه حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مايتعلق بمسألة التفاضل:

مسألة في التفاضل بين الأنبياء:

وهذه المسألة وثيقة الصلة بهذا المطلب، وذلك لورود النهي عن التفضيل بين الأنبياء في الأدلة التي سأوردها فيما يأتي.

فكيف يكون الجمع بين قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ**﴾[2]، وبين قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لا تخيروني من بين الأنبياء**»، وقوله أيضاً: «**لا تفضلوا بين أنبياء الله**» .

وما جاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع**»[3]

فالجواب: أن الأنبياء لاتفاضل بينهم في مرتبة النبوة، فهم عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ سواء في هذه المرتبة، ولكن يتفاضلون في أمور أخرى، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ**

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٧٢/٣.

(٢) سورة البقرة، آية:٢٥٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ١٧٨٢/٤، برقم ٢٢٧٨

بَعۡضٖۖ ﴾[١]، كما قال تعالى في حق الرسل منهم عليهم السلام: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ ﴾[٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا لا ينافي ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لا تفضلوا بين الأنبياء**»؛ فإن المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد التشهي والعصبية، لا بمقتضى الدليل، فإنه إذا دل الدليل على شيء وجب اتباعه، ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن أولي العزم منهم أفضلهم، وهم الخمسة المذكورون نصاً في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ ﴾[٣]، وفي الشورى في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾[٤]، ولا خلاف أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضلهم، ثم بعده إبراهيم، ثم موسى على المشهور»[٥].

قال ابن بطال رحمه الله: «فإن قال قائل: قوله عليه السلام: «**لا تخيرونى من بين الأنبياء**»، وقوله: لا ينبغى لأحد أن يقول: «**أنا خير من يونس ابن متى**» يعارض قوله: «**أنا أول من تنشق الأرض عنه**»، وقوله: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**».

فالجواب: إن للعلماء فى ذلك تأويلين ينفيان عنهما التضاد: فأحدهما ذكره ابن قتيبة فقال: لا اختلاف بين شىء من ذلك بحمد الله، وذلك أنه أراد أنه سيد ولد آدم يوم القيامة، لأنه الشافع يومئذ، وله لواء الحمد والحوض، وأراد بقوله: «**لا تخيرونى على موسى**» طريق التواضع كما قال أبو بكر الصديق: وليتكم ولست بخيركم. وكذلك قوله:

---

(١) سورة الإسراء، آية:٥٥.

(٢) سورة البقرة، آية:٢٥٣.

(٣) سورة الأحزاب، آية:٧.

(٤) سورة الشورى، آية:١٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/٨٧.

«**لا ينبغى لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى**» يدل على معنى التواضع، لأن يونس دون غيره من الأنبياء مثل إبراهيم وموسى وعيسى، يريد إذا كنت لا أحب أن أفضل على يونس، فكيف غيره ممن هو فوقه من أولى العزم من الرسل، وقد قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾[1]، أراد يونس لم يكن له صبر غيره من الأنبياء. وفى هذه الآية ما يدل على أن رسول الله أفضل منه، لأن الله يقول له ولا تكن مثله، فدل أن قوله: «**لا تفضلونى عليه**» من طريق التواضع، ويجوز أن يريد لا تفضلونى عليه فى العمل فلعله أفضل عملا منى. ولا فى البلوى والامتحان فإنه أعظم محنة منى. وليس ما أعطى الله نبينا محمدًا من السؤدد والفضل يوم القيامة على جميع الأنبياء والرسل بعمله، بل بتفضيل الله إياه واختصاصه له»[2].

وبعد أن قرر النووي تفضيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الخلق قال: «وأما الحديث الآخر «**لا تفضلوا بين الأنبياء**» فجوابه من خمسة أوجه:

أحدهما: أنه صلى الله عليه وآله وسلم قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فلما علم أخبر به.

والثاني: قاله أدبا وتواضعا.

والثالث: أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول.

والرابع: إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة، كما هو المشهور في سبب الحديث.

والخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل فيها وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى.

ولا بد من اعتقاد التفضيل فقد قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض قوله صلى الله عليه وآله وسلم «**وأول شافع وأول مشفع**» إنما ذكر الثاني لأنه قد يشفع اثنان فيشفع الثاني منهما قبل الأول والله أعلم»[3].

---

(١) سورة القلم، آية:٤٨.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٥٣٥/٦.

(٣) دقائق المنهاج للنووي ٣٨/١٥.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من يفيق بعد الصعقة:

١. بيان فضل موسى عليه السلام، فقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فإن كان أفاق قبلي**» فهي فضيلة ظاهرة، وقوله: «**وإن كان ممن استثنى الله فلم يصعق**» فهي فضيلة[1].

٢. قال ابن حجر رحمه الله: «قال العلماء في نهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن التفضيل بين الأنبياء إنما نهى عن ذلك من يقوله برأيه لا من يقوله بدليل أو من يقوله بحيث يؤدي إلى تنقيص المفضول أو يؤدي إلى الخصومة والتنازع أو المراد لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يترك للمفضول فضيلة فالإمام مثلا إذا قلنا إنه أفضل من المؤذن لا يستلزم نقص فضيلة المؤذن بالنسبة إلى الأذان وقيل النهي عن التفضيل إنما هو في حق النبوة نفسها كقوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله ولم ينه عن تفضيل بعض الذوات على بعض لقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض»[2].

٣. قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أم جوزى بصعقة الطور**» فيه دليل أن المحن فى الدنيا والهموم والآلام يرجى أن يخفف الله بها يوم القيامة كثيرًا من أهوال القيامة[3].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٦/٤٤٥.

(٢) المصدر نفسه ٦/٤٤٦.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٦/٥٣٦.

المطلب الثاني: أول ما كان من أمر النبوة.

النبوة اصطفاء من الله تعالى لمن يشاء من عباده، فهي مكانة عالية، لا تدرك بالاجتهاد، بل هي هبة من الله تعالى، يمن بها على من يشاء من عباده.

ولما كان أمر النبوة عظيم، كان لا بد من توطئة وتهيئة للنبي، وإعانة من الله عز وجل له، واستعداداً لتحمل ثقل الأمانة.

فكان من جملة ذلك، حادثة شق صدره الشريف صلى الله عليه وآله وسلم، وكان ذلك الأمر هو أول ما كان من أمر النبوة، لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

قال ابن كثير رحمه الله: «قيل: المراد بقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[1]، شرح صدره ليلة الإسراء، ... وهذا وإن كان واقعا، ولكن لا منافاة، فإن من جملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الإسراء، وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضا، والله أعلم»[2].

وحادثة شق الصدر، وقعت مرتين أوثلاث، وهذا من عناية الله عز وجل بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وأول ذلك الأمر ما وقع له وهو في بادية بني سعد، ثم وهو ابن عشر سنين، ثم قبل حادثة الإسراء والمعراج.

وفي هذه لطيفة، فكلما عظم الأمر، كان الاستعداد له بما هو أليق، فكما أن أهل المظالم من أهل التوحيد لا يدخلون الجنة حتى يوقفوا على القنطرة، وينزع ما في صدورهم من الغل[3]ونحوه؛ حتى يكونوا أليق بسكنى الجنان، ومنازل الرضوان، وأصلح لجوار الرحمن، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا

---

(١) سورة الشرح، آية:١.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٤٢٩.

(٣) قال ابن فارس: (غل) الغين واللام أصل صحيح يدل على تخلل شيء، وثبات شيء، كالشيء يغرز، من ذلك قول العرب: غللت الشيء في الشيء، إذا أثبته فيه، كأنه غرزته، ومن الباب الغل، وهو الضغن ينغل في الصدر، مقاييس اللغة ٤/٣٧٥، باختصار.

فكأنه قد غرز الغل في القلب، بسبب ما كان بينهم في الدنيا من مشاحنات، ولم يذهب حتى ذلك الوقت، ويدل لتمكنه من القلب، قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا﴾، ولعل من أسباب نزعه، ما يرى من حضور النعيم المقيم، الذي تتشوف النفوس وتتشوق له، وما أعده الله لهم من النزل في الجنان، والله أعلم.

لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا**»[3].

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم، قبل أن يتحمل أعباء الرسالة، وقبل أن يبعث، ومنذ صغره، وقبل أن يكون للشيطان حظ منه أو نصيب، وقعت له حادثة شق الصدر لأول مرة وهو في بادية بني سعد، لتكون من إرهاصات نبوته صلى الله عليه وآله وسلم، وأول ما وقع له من أمر النبوة.

فعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وآله وسلم وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست[4] من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره[5] - فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس رضي الله عنه: «**وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط**[1] **في صدره**»[2].

---

(١) سورة الأعراف، آية:٤٣.

(٢) سورة الحجر، آية:٤٥-٤٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، ١١١/٨، برقم ٦٥٣٥.

(٤) الطست بالفارسية، وأصلها طس، وهو الإناء المعروف، ينظر: تهذيب اللغة ١٩٣/١٢.

(٥) ظئره، الظئر من النساء التي عطفت على ولد غيرها، الذكر والأنثى في ذلك سواء ، ينظر: المخصص ٥٤/١.

(١) المخيط، هو أثر الخياطة، وهو الإقتران بين الشيئين، ينظر: تهذيب اللغة ٢٠٩/٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٤٧/١،برقم ١٦٢.

ثم وقعت له حادثة شق الصدر مرة ثانية وهو ابن عشر سنين، وقد جاءت صريحة بلفظ الأولية، مما يدل على أنه أول ما كان من أمر نبوته صلى الله عليه وآله وسلم، فعن أبي بن كعب، أن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن أشياء لا يسأله عنها غيره، فقال : يا رسول الله، ما أول ما رأيت في أمر النبوة ؟ فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالساً وقال: «**لقد سألت أبا هريرة إني لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهر، وإذا بكلام فوق رأسي، وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو ؟ قال : نعم، فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط، وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا إلي يمشيان، حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي، لا أجد لأخذهما مساً، فقال أحدهما لصاحبه : أضجعه،فأضجعاني بلا قصر ولا هصر، فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره، فهوى أحدهما إلى صدري، ففلقها فيما أرى بلا دم ولا وجع، فقال له : أخرج الغل والحسد، فأخرج شيئا كهيئة العلقة، ثم نبذها فطرحها، فقال له : أدخل الرأفة والرحمة، فإذا مثل الذي أخرج يشبه الفضة، ثم هز إبهام رجلي اليمنى، فقال : اغد واسلم فرجعت بها أغدو به رقة على الصغير ورحمة للكبير**»[(١)].

ثم وقعت له حادثة شق الصدر مرة ثالثة، قبل أن يُعرج به إلى السماء، ليكون في الملكوت الأعلى، فمليء صدره من الحكمة والإيمان، ليتأهب لتلقي كلام الرحمن، حتى ظهر لمستوى، سمع فيه صوت صريف الأقلام، وناجي فيه الملك العلام.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه كان أبو ذر رضي الله عنه يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**فرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب، ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغها في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء، فلما جاء إلى السماء الدنيا...**»[(١)] الحديث.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٥/ ١٨٠، برقم ٢١٢٦١، وضعف إسناده شعيب الارناؤوط، وقال الهيثمي في المجمع ٢٢٢/٨: « ورجاله ثقات وثقهم ابن حبان».

(١) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب أحاديث الأنبياء،باب ذكر إدريس عليه السلام،١٣٥/٤،برقم٣٣٤٢

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول ما كان من أمر النبوة:

١. أن أمور الله تعالى، المعظمة لا بأس بتحليتها واستعمال الذهب والفضة فيها بخلاف سائر أمور الدنيا التى نهى عن استعمال الذهب والفضة فيها من أجل السرف، ألا ترى أنه أبيح تحلية المصحف الذى فيه كلام الله عز وجل كما جاءه جبريل بالحكمة والإيمان من عند الله، عز وجل، من طست من ذهب(١).

٢. وقع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حادثة شق الصدر ثلاث مرات:

المرة الأولى: أخرج منها حظ الشيطان، مبكراً في صباه، وكان في بادية بني سعد.

المرة الثانية: أخرج منها الغل والحسد، كهيئة العلقة؛ وأدخل مثلها كالفضة.

المرة الثالثة: لم يخرج شيئاً، بل ملأه إيماناً وحكمة، في طست من ذهب.

٣. في مرات شق الصدر، يظهر التدرج في كيفية وصفة شق الصدر، ففي الأولى أخرج حظ الشيطان؛ وهو أمر خارج عن الطبع الإنساني، ثم أخرج منها الغل والحسد؛ وهو أمر متعلق بالطبع الإنساني، وفي المرة الثالثة لم يخرج شيئاً، إذ أنه سبق أن قام بالتخلية فلم يبقى إلا التحلية، فكان أن ملأه إيماناً وحكمة.

ويظهر التدرج أيضاً في ما صاحب شق الصدر، ففي المرة الأولى أخرج حظ الشيطان منه ولم يدخل شيئاً وغسله بماء زمزم، وفي الثانية أدخل فيه كهيئة ما أخرج يشبه الفضة، وفي المرة الثالثة لم يخرج شيئاً بل أتى بأمر زائد وهو الإيمان والحكمة، أتى بهما في طست من ذهب.

٤. في مرات شق الصدر، لم تكن تكراراً، بل كانت في كل مرحلة من مراحل حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما يناسبها، ففي المرة الأولى حُفِظَ عما كان يشتغل به فتيان مكة من اللهو، وفي المرة الثانية توطئة لتلقي الوحي، وفي المرة الثالثة توطئة للمعراج للملكوت الأعلى.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولكل منهما حكمة فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس فأخرج علقمة فقال هذا حظ الشيطان منك وكان هذا في زمن

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢/١١.

الطفولية فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ثم وقع شق الصدر عند البعث زيادة في إكرامه ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه صلى الله عليه وآله وسلم»[١].

٥. الرد على من أنكر حادثة شق الصدر.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك»[٢].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٧/٢٠٥.

(٢) المصدر نفسه، الجزء والصفحة.

المطلب الثالث: أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة.

يأتي الإذن في اللغة بعدة معان، منها الإباحة، فيقال: أذن له، أي أباحه له، ورخص له في الأمر بعد النهي[(١)].

والسجود هيئة عظيمة، تدل على الذل والخضوع لرب العالمين، فإنه أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد، كما جاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**»[(٢)].

وبالسجود ترفع الدرجات وتحط السيئات عن العباد، فعن معدان بن أبي طلحة اليعمري[(٣)]، قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة؟ أو قال قلت: بأحب الأعمال إلى الله، فسكت، ثم سألته فسكت، ثم سألته الثالثة فقال: سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «**عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة، إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة**»[(٤)].

والله عز وجل قد حرَّم على النار مواضع السجود، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: «...**حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الله الملائكة: أن يخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار**...»[(١)].

---

(١) ينظر: المحكم لابن سيده ٥/٥٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع ، ١/٣٥٠، برقم ٤٨٢.

(٣) معدان ابن أبي طلحة ويقال ابن طلحة اليعمري، شامي ثقة، روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ينظر: تقريب التهذيب ١/٥٣٩.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب فضل السجود، ١/١٦٠، برقم ٤٨٨.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب فضل السجود، ١/١٦٠، برقم ٨٠٦.

وهو السبيل الموصل إلى رفعة الدرجات، ومرافقة الأنبياء، فعن ربيعة بن كعب الأسلمي(١)، قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: «**سل**» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: «**أو غير ذلك**» قلت: هو ذاك، قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار**»(٣).

والأحاديث في فضل السجود كثيرة جداً، ومنها يتبين فضل السجود لله عز وجل، وفيها دلالة على فضل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ حيث يقوم ذلك المقام، فيكون أول من يسجد لله يوم القيامة، ويؤذن له فيه.

وقد جاءت الأدلة بفضل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على جميع البشر، وأنه سيد ولد آدم، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»(٤)، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وقد اجتمع فيه من الخصال ما تفرق في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وله المقام المحمود يوم القيامة، ويظهر فضله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم القيامة، وعلى رؤوس الأشهاد، حين يجمع الله الأولين والآخرين، فيقفون موقفاً طويلاً، ويبلغ العرق منهم مبلغاً، فيرغبون في الراحة مما هم فيه، فيأتون إلى أفضل خلق الله وهم الأنبياء، بدءاً من آدم عليه السلام، فلا يجيبهم إلى ما طلبوه، حتى يأتون إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فيستأذن على ربه فيؤذن له، فيخر ساجداً لله تعالى، فهو أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة.

---

(١) ربيعة بن كعب بن مالك بن يعمر، أبو فراس الأسلمي، حجازي، من أهل الصّفة، لم يزل مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن قبض فخرج من المدينة فنزل في بلاد أسلم على بريد من المدينة، وبقي إلى أيام الحرّة، ومات بالحرة سنة ٦٣هـ، ينظر: الإستيعاب ٤٩٤/٢، أسد الغابة ٦٤/٢، الإصابة ٣٩٤/٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب فضل السجود، ٣٥٣/١، برقم ٤٨٩.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان اطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، ٨٧/١، برقم ٨١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾، ٨٤/٦، برقم ٤٧١٢

فعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا عند ربنا. فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ويقول: ائتوا نوحاً، أول رسول بعثه الله، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ائتوا موسى الذي كلمه الله، فيأتونه فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته، ائتوا عيسى فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ائتوا محمداً** صلى الله عليه وآله وسلم، **فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال لي: ارفع رأسك: سل تعطه، وقل يسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمني، ثم أشفع فيحد لي حداً، ثم أخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجدا مثله في الثالثة، أو الرابعة، حتى ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن**»[(١)].

وقد جاء صريحاً بلفظ الأولية، في أحاديث أخر، مما يدل على أن نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، هو أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة، وهذا لعلو منزلته صلى الله عليه وآله وسلم، ورفعة درجته عند الله تعالى.

فعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : «**أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة، وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه، فأنظر إلى بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم، ومن خلفي مثل ذلك، وعن يميني مثل ذلك، وعن شمالي مثل ذلك، فقال له رجل: يا رسول الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك، قال: هم غر محجلون من أثر الوضوء، ليس أحد كذلك غيرهم، وأعرفهم إنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم يسعى بين أيديهم ذريتهم**»[(١)]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ٨/١١٦، برقم ٦٥٦٥.

(١) أخرجه أحمد في مسنده، تتمة مسند الأنصار، ٣٦/٦٤، برقم ٢١٧٣٧، والحاكم في مستدركه ٢/٥٢٠، والبيهقي في شعب الإيمان، ٤/٢٦٢ بنحوه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٤٤:

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة:

١. ذكر أن أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة هو نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

٢. بيان فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الخلق، وفي إتيان الناس للأنبياء قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعدم إجابتهم لهم، فيه مزيد فضل وشرف له صلى الله عليه وآله وسلم، إذ أن هذا المقام خاص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والذي يحمده عليه جميع الخلائق.

قال النووي: «والحكمة في أن الله تعالى ألهمهم سؤال آدم ومن بعده صلوات الله وسلامه عليهم في الابتداء ولم يلهموا سؤال نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي والله أعلم إظهار فضيلة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم لو سألوه ابتداء لكان يحتمل أن غيره يقدر على هذا ويحصله وأما إذا سألوا غيره من رسل الله تعالى وأصفيائه فامتنعوا ثم سألوه فأجاب وحصل غرضهم فهو النهاية في ارتفاع المنزلة وكمال القرب وعظيم الإدلال والأنس»[1].

٣. بيان فضل أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الأمم.

٤. بيان أن أولية السجود فيها عز وفخر وشرف، وكذلك العبودية لله تعالى حازت الشرف كله، ولذلك عندما خيِّر نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين أن يكون نبياً ملكاً أو عبداً رسولاً، إختار العبودية لله على الملك.

ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو ضعيف، وقد وثق، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ١/٩٨.

(١) دقائق المنهاج للنووي ٣/٥٦.

المطلب الرابع: أول غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

بعث الله سبحانه وتعالى خاتم رسله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، بالهدى والنور المبين، ليظهر هذا الدين على غيره من الأديان المحرفة والمحدثة رغم أنوف المشركين، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[١]، وليخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[٢].

ولكن الشرك كان قد ضرب بأطنابه، حتى أصبحت المفاهيم مختلة، والموازين منتكسة، فتعجبوا من التوحيد، ورضوا بالشرك، ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾[٣]، وكان الكفر والمكر والعناد والمكابرة أخذت مأخذها من صناديد قريش،وقد سبقت عليهم الضلالة، فصبوا العذاب على المسلمين صباً، ممن لا منعة لهم ولا قوة.

بقي المسلمون في مكة ثلاث عشرة سنة، حتى أذن لهم بالهجرة إلى المدينة، ومنهم من هاجر قبل ذلك إلى الحبشة فراراً بدينهم.

لم يهنأ إبليس وحزبه من المشركين بترك المسلمين ينعمون بتوحيد الله بعيداً عن مكة، فلاحقوهم في الحبشة أولاً، ثم في المدينة.

ثم أذن للمسلمين بالقتال لدفع الظلم الذي لحق بهم؛ وليستطيعوا إقامة شعائر الله، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ

---

(١) سورة التوبة، آية:٣٣.

(٢) سورة المائدة، آية:١٥، ١٦.

(٣) سورة ص، آية:٥.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال غير واحد من السلف هذه أول آية نزلت في الجهاد، واستدل بهذه الآية بعضهم على أن السورة مدنية»[2].

وقال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:«وقد اختلف في الذين عنوا بالإذن لهم بهذه الآية في القتال، فقال بعضهم: عني به: نبي الله وأصحابه»[3].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان المسلمون في أول الإسلام ممنوعين من قتال الكفار، ومأمورين بالصبر عليهم، لحكمة إلهية، فلما هاجروا إلى المدينة، وأوذوا، وحصل لهم منعة وقوة، أذن لهم بالقتال، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ يفهم منه أنهم كانوا قبل ممنوعين، فأذن الله لهم بقتال الذين يقاتلون، وإنما أذن لهم، لأنهم ظلموا، بمنعهم من دينهم، وأذيتهم عليه، وإخراجهم من ديارهم»[4].

ويروي ابن هشام[5]مبدأ غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، بعد هجرته إلى المدينة؛ والإذن له بقتال المشركين، ودفع الأذى عن المسلمين، والظلم الذي حل بهم، فيقول:

قال ابن إسحاق[1]: ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيأ لحربه، قام فيما أمره الله به من جهاد عدوه، وقتال من أمره الله به ممن يليه من المشركين، مشركي العرب، وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة.

---

(١) سورة الحج، آية:٣٩-٤١.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٣٣/٥.

(٣) جامع البيان للطبري ١٦/ ٥٧٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ١/ ٥٣٩.

(٥) عبد الملك بن هشام بن أيوب، أبو محمد الذهلي، هذب السيرة النبوية، وسمعها من زياد البكائي صاحب ابن إسحاق، توفي سنة ٢١٨هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٢٨/١٠.

(١) محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المطلبي، مولاهم المدني، نزيل العراق، إمام المغازي، صدوق يدلس، ورمي بالتشيع والقدر، مات سنة ١٥٠هـ، ويقال بعدها، ينظر: تقريب التهذيب ٤٦٧/١.

فقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة يوم الاثنين، حين اشتد الضحاء، وكادت الشمس تعتدل، لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول، ثم خرج غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة، حتى بلغ ودان، وهي غزوة الأبواء، يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فوادعته فيها بنو ضمرة، وكان الذي وادعه منهم عليهم مخشي بن عمرو الضمري، وكان سيدهم في زمانه ذلك.

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، ولم يلق كيداً، فأقام بها بقية صفر، وصدراً من شهر ربيع الأول.

قال ابن هشام: وهي أول غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم[1].

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

١. ذكر أول آية نزلت في القتال.

٢. ذكر أول غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٣. بيان أن قتال المشركين كان لا بد فيه من الإذن من الله تعالى ابتداءاً.

٤. أن إقامة رايات الجهاد مناطة بإذن ولي الأمر، فلا بد من إذنه بذلك، والقتال تحت رايته، براً كان أم فاجراً.

---

(١) سورة الحج، آية:٣٩-٤١.

المطلب الخامس: أول بدء الوحي.

اصطفى الله سبحانه وتعالى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم برسالته، وختم به المرسلين، وأوحى إليه كما أوحى إلى الرسل والأنبياء من قبله، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾[(١)].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: «يعني جل ثناؤه بقوله:﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ ﴾، إنا أرسلنا إليك، يا محمد، بالنبوة كما أرسلنا إلى نوح، وإلى سائر الأنبياء الذين سميتهم لك من بعده، والذين لم أسمهم لك»[(٢)].

ولما سمع المشركون الآيات المعجزات، وعجزوا عن التحدي بأن يأتوا ولو بسورة من مثله، قالوا ساحر، كذاب، مجنون، هي أساطير الأولين قد اكتتبها، إنما يعلمه بشر، والله يقول: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[(٣)]

ومن سنن الله في عباده أن يتدرج بهم رحمة منه سبحانه وتعالى لعباده، ليكون أدعى للقبول، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم ينزل عليه الوحي من الملك مباشرة في بدء الأمر، وإنما كان صلى الله عليه وسلم يرى الرؤيا فتأتي كفلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، ثم جاءه الحق في غار حراء، وكل ذلك اصطناع من الله لرسوله الكريم، وتهيئة له لتحمل أعباء الرسالة، ومع ذلك فعندما فجأه الحق، ذهب إلى خديجة مذعوراً فزعاً خشي على نفسه، فكانت الرؤيا في المنام، تهيئة للوحي في اليقظة.

وقد بوّب البخاري رحمه الله تعالى، عن فضل الرؤيا الصالحة، فقال :« باب: الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة»[(١)].

---

(١) سورة النساء، آية:١٦٣.

(٢) جامع البيان للطبري ٧/ ٦٨٥.

(٣) سورة النمل، آية:٦.

(١) صحيح البخاري ٩/ ٣٠.

وقد جاء في ذلك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: «**الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة**»(١).

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: «**لم يبق من النبوة إلا المبشرات**» قالوا: وما المبشرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**»(٢).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فمن رأى شيئا يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثا وليتعوذ من الشيطان، فإنها لا تضره وإن الشيطان لا يتراءى بي**»(٣).

ثم إن الإمام البخاري ذكر في بداية صحيحه الأخبار الواردة عن بدء الوحي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «بدء الوحي»، باب «كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟»(٤).

ثم جاء بأحاديث عدة عن بدء الوحي للرسول الكريم، منها ما جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أنها قالت: «**أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء...**» (١).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة، ٣١/٩، برقم ٦٩٨٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب المبشرات، ٣١/٩، برقم ٦٩٩٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب من رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام، ٣٣/٩، برقم ٦٩٩٥

(٤) صحيح البخاري ٦/١.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي ، ٧/١، برقم ٣.

وذكر محمد بن إسحاق بسنده أن النبي ﷺ قال: «**فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط**[١] **من ديباج**[٢] **فيه كتاب، فقال: اقرأ، فقلت: ما أقرأ؟ فغتني**[٣]**، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني...**»[٤].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وبدئ بذلك ليكون تمهيدا وتوطئة لليقظة ثم مهد له في اليقظة أيضا رؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر»[٥].

وعن علقمة بن قيس[٦] صاحب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد في اليقظة»[٧].

وكذلك الأنبياء قبله صلوات الله وسلامه عليهم، كانوا يرون الرؤيا من الله، فتأتي كلفق الصبح كما رأوها، كحال نبي الله يوسف عليه السلام، فقد قص علينا الله قصته في كتابه العزيز، وكيف أن بدء نبوته رؤيا رآها في صغره، وقد علم أبوه ذلك، فأشار إليه بكتمانها خوفاً عليه من كيد إخوته.

---

(١) النمط، ضرب من الثياب ولا تكون إلا ملونة، أما الأبيض فلا يقال له نمط، ينظر: تهذيب اللغة ١٣/ ٢٥٤.

(٢) الديباج، ضرب من الثياب مزينة ومنقوشة، ينظر: المخصص ١/ ٣٨٨

(٣) فغتني، كأنه أراد عصرني عصرا شديدا حتى وجدت منه المشقة، كما يجد من يغمس في الماء قهرا، وغته خنقا، يغته غتا: عصر حلقه نفسا، أو نفسين، أو أكثر من ذلك، ينظر: لسان العرب ٢/ ٦٣.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٣٦، وقواه ابن كثير في السيرة النبوية ١/ ٣٨٧، وقال الألباني في صحيح السيرة النبوية ١/ ٨٨: «سنده مرسل صحيح».

(٥) فتح الباري لابن حجر ١/ ٢٣.

(٦) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، ثقة ثبت فقيه عابد، أنبل أصحاب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، مات ٦٢هـ، وقيل غير ذلك.

ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٩، سير أعلام النبلاء ٥/ ١٦، تقريب التهذيب ١/ ٣٩٧.

(٧) فتح الباري لابن حجر ١/ ٢٣، ولم أجده في الدلائل، وهكذا قال الألباني في صحيح السيرة النبوية ١/ ٨٧: « لم نره في المطبوع من الدلائل».

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[١].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكانت هذه الرؤيا مقدمة لما وصل إليه يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الارتفاع في الدنيا والآخرة، وهكذا إذا أراد الله أمراً من الأمور العظام قدم بين يديه مقدمة، توطئة له، وتسهيلاً لأمره، واستعداداً لما يرد على العبد من المشاق، لطفاً بعبده، وإحساناً إليه»[٢].

ثم جاء تأويل رؤيا النبي الكريم يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كما رآها في صغره، وكان ذلك بعد زمن، بعدما أصبحت خزائن مصر تحت يديه.

قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٣].

وقال يا أبت هذا تعبير الرؤيا التي قصصتها عليك حين كنت صغيراً، وذلك لأن رؤيا الأنبياء حق، وهي جزء من النبوة.

وكذلك رؤيا الأنبياء قبل ذلك، فهاهو إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، يرى في المنام أنه يذبح ابنه، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[١].

---

(١) سورة يوسف، آية: ٤-٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٣٩٣/١.

(٣) سورة يوسف، آية: ٤-٦.

(١) سورة الصافات، آية: ١٠٢-١٠٥.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى﴿ فَلَمَّا بَلَغَ ﴾الغلام ﴿مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾أي: أدرك أن يسعى معه، وبلغ سناً يكون في الغالب، أحب ما يكون لوالديه، قد ذهبت مشقته، وأقبلت منفعته، فقال له إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ ﴾أي: قد رأيت في النوم والرؤيا، أن الله يأمرني بذبحك، ورؤيا الأنبياء وحي ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ فإن أمر الله تعالى، لا بد من تنفيذه، ﴿قَالَ﴾إسماعيل صابراً محتسباً، مرضياً لربه، وباراً بوالده: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾أي: امض لما أمرك الله ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾أخبر أباه أنه موطن نفسه على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى»[1].

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول بدء الوحي:

١. ذكر أن أول الوحي هو الرؤيا الصادقة للأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

٢. قوله «**ثم حبب إليه الخلاء**» هذا ظاهر في أن الرؤيا الصادقة كانت قبل أن يحبب إليه الخلاء[2].

٣. أن بدء الوحي بالرؤيا، وما يكون في المنام، من رحمة الله بأولياءه الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، إذ لم يفجأهم الحق بلا توطئة.

٤. أن الصدق في اليقظة، سبيل للصدق في المنام، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا،...**»[1].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٧٠٥/١.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٧١٧/٨.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، ١٧٧٣/٤، برقم ٢٢٦٣.

المطلب السادس: أول نبي أحيا سنة الله في الرجم.

أخبر الله عز وجل عن يهود أنهم حرفوا التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ﴾(٢).

فهؤلاء اليهود حرفوا التوراة بغياً وعتواً، واشتروا به ثمناً قليلاً فويلٌ لهم مما عملت أيديهم، إذ اجترئوا على كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾(٣).

وذلك من بعد أن أخذ عليهم الميثاق والعهد، بأن يبينوه للناس، ولا يكتموه، فخالفوا أمر الله، ونبذوه وراء ظهورهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾(٤).

وهكذا بعد أن تندرس الشريعة، ويخفت نور التوحيد، وتضمحل العبودية لله، يبعث الله من يدعو لذلك من أنبياءه ورسله، كما قال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾(١).

---

(١) سورة النساء، آية:٤٦.

(٢) سورة المائدة، آية:٤١.

(٣) سورة البقرة، آية:٧٩.

(٤) سورة آل عمران، آية:١٨٧.

(١) سورة الزخرف، آية:٦٣.

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وقوله: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ يقول: ولأبين لكم معشر بني إسرائيل بعض الذي تختلفون فيه من أحكام التوراة»[1].

وأخرج ابن جرير الطبري بسنده عن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قوله: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ قال: «من تبديل التوراة»[2].

والتحريف والتبديل لأحكام الله يجري من يهود مجرى الدم، فهاهم وبحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يحاولون إخفاء حكم الرجم من التوراة، حتى فضحهم الله على يد عبدالله بن سلام رضي الله عنه[3]، وهو العالم بالتوراة، فكان أن أقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حد الرجم عليهم.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: «إن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما تجدون في التوراة في شأن الرجم**» فقالوا: نفضحهم ويجلدون، قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: كذبتم إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، قالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، **فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرجما** فرأيت الرجل يحني على المرأة، يقيها الحجارة»[1].

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٠/ ٦٣٦.

(٢) المصدر نفسه، الجزء والصفحة.

(٣) عبد اللَّه بن سلام بن الحارث، أبو يوسف، من ذرية يوسف النبي عليه السلام، الإسرائيلي ثم الأنصاري،كان حليفا لهم، وكان من بني قينقاع، يقال كان اسمه الحصين، فغيّره النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، مات بالمدينة سنة ٤٣هـ، ينظر: الإستيعاب ٣/٩٢١، أسد الغابة ٣/١٦٠، الإصابة ٤/١٠٢.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب باب أحكام أهل الذمة ٨/١٧٢، برقم ٦٨٤١

قال أبو الوليد الباجي[(١)]: «وأتوا بالتوراة وتناهوا في المكر بل جعل قارئهم يده على آية الرجم، وقرأ ما قبلها وما بعدها ولم يقرأها ليري أن التوراة لا تتضمن الرجم حتى أمر برفع يده عنها فإذا فيها آية الرجم»[(٢)].

ومن بين الأحكام التي حرفها اليهود، حد الرجم للزناة كما مر بنا، وذلك حتى يدرؤوا الحد عن أشرافهم، لما كثر الخبث فيهم، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه[(٣)]، قال: «مر على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بيهودى محمماً[(٤)] مجلوداً، فدعاهم صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «**هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم؟**»، قالوا نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال «**أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم**»، قال لا، ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك نجده الرجم ولكنه كثر فى أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد قلنا: تعالوا فلنجتمع على شىء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم، والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**اللهم إنى أول من أحيا أمرك إذ أماتوه**»، فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾، إلى قوله ﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾[(٥)]، يقول ائتوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[(١)]،﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم

---

(١) سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الذهبي، أبو الوليد الباجي، ولد سنة ٤٠٣هـ، فقيه أصولي متكلم، مات سنة ٤٧٤هـ، ينظر: تذكرة الحفاظ ٢٤٦/٣، سير أعلام النبلاء ٥٥/١٤.

(٢) المنتقى لأبو الوليد الباجي ١٣٣/٧.

(٣) البراء بن عازب بن الحارث بنعدي بن جشم الأنصاري الأوسي، يكنى أبا عمارة، ويقال أبو عمرو افتتح الري سنة ٢٤هـ، مات سنة ٧٢هـ، ينظر: الإستيعاب ٢٠٥/١، أسد الغابة ١٥٥/١، الإصابة ٤١١/١.

(٤) محمم أي مسود الوجه، ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة ٥٢٣/١.

(٥) سورة المائدة، آية:٤١.

(١) سورة المائدة، آية:٤٤.

بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[١]،﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[٢]، في الكفار كلها»[٣].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتي بيهودي ويهودية قد زنيا، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى جاء يهود، فقال: «**ما تجدون في التوراة على من زنى؟**» قالوا: نسود وجوههما، ونحملهما، ونخالف بين وجوههما، ويطاف بهما، قال: «**فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين**»، فجاءوا بها فقرءوها حتى إذا مروا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم، وقرأ ما بين يديها، وما وراءها، فقال له عبد الله بن سلام: وهو مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مره فليرفع يده، فرفعها فإذا تحتها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فرجما، قال عبد الله بن عمر: كنت فيمن رجمهما، فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه»[٤].

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول بدء الوحي:

١. في هذا الحديث أيضا دليل على أن من اليهود قوما يكذبون على توراتهم ويسترون منها عن المسلمين ما يشهد للمسلمين ويوافق دينهم لأنهم ذكروا أن الزناة محصنين كانوا أو غير محصنين ليس عليهم في التوراة رجم وكذبوا لأن فيها على من أحصن الرجم[٥].

٢. فيه أن أهل الكتاب إذا ارتفعوا إلينا متحاكمين راضين بحكمنا فيهم وكانت شريعتنا موافقة في ذلك لحكم شريعتهم جاز لنا أن نظهر عليهم بكتابهم حجة عليهم، وإن لم تكن الشريعة في ذلك الحكم موافقة لحكمهم، حكمنا بينهم بما أنزل الله تعالى في كتابه

---

(١) سورة المائدة، آية:٥١.

(٢) سورة المائدة، آية:٤٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب رجم اليهود ، ١٣٢٧/٣، برقم ١٧٠٠.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب رجم اليهود ، ١٣٢٦/٣، برقم ١٦٩٩.

(٥) الاستذكار لابن عبد البر ٤٥٩/٧.

القرآن إذا تحاكموا إلينا، ورضوا بحكمنا، ويحتمل ذلك أن يكون خصوصاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والإجماع على أن ذلك لم يعمل به أحد بعده ولقول الله عز وجل ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[1]، والله أعلم[2].

٣. وقولهم أنهم يجدون في التوراة «نفضحهم ويجلدون» ظاهره أنهم قصدوا التبديل والتحريف والكذب على التوراة[3]

(١) سورة العنكبوت، آية:٥١.

(٢) الاستذكار لابن عبد البر ٤٥٩/٧.

(٣) المنتقى لأبو الوليد الباجي ١٣٣/٧.

المطلب السابع: أول نبي عمل بسنن الفطرة.

إن الدين الإسلامي الحنيف قد أتى بما يوافق الفطرة، وبما هو مصلحة للإنسان في حياته الدنيا وفي حياته الآخره، بل إن الشارع الحكيم قد أشار إلى أن اتباع الحق هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يقول تعالى: فسدد وجهك واستمر على الذي شرعه الله لك، من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره»[٢].

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا الأمر الذي أمرناك به هو ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾ ووضع في عقولهم حسنها واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة، ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[٣].

والملة الحنيفية هي ملة إبراهيم عليه السلام، والتي أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[١].

---

(١) سورة الروم، آية: ٣٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٣١٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ١/ ٦٤٠

(١) سورة النحل، آية:١٢٣.

وقد أثنى الله عز وجل على من اتبع الملة الحنيفية التي هي ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾(٢)، بل وحذر من ترك اتباع الحنيفية السمحة رغبةً عنها، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(٣).

وقد جاءت الملة الحنيفية بما يوافق الفطرة من الطهارة؛ سواءً كانت طهارة معنوية أو حسية، فالطهارة المعنوية؛ هي تطهير القلب من أدران الشرك، وتجريد التوحيد لله رب العالمين.

وأما الطهارة الحسية، فهي تطهير البدن من النجاسات ونحوها، كالقيام بسنن الفطرة، والتي إذا قام بها المسلم؛ وافق بطهارة ظاهره طهارة باطنه، وحتى يكون في هيئة حسنة متوافقة من الطهارة.

قال السعدي رحمه الله: « الفطرة، هي الخلقة التي خلق الله عباده عليها، وجعلهم مفطورين عليها، على محبة الخير وإيثاره، وكراهة الشر ودفعه، وفطرهم حنفاء مستعدين، لقبول الخير والإخلاص لله، والتقرب إليه، وجعل تعالى شرائع الفطرة نوعين:

أحدهما: يطهر القلب والروح، وهو الإيمان بالله وتوابعه من خوفه ورجائه، ومحبته والإنابة إليه، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(١)، فهذه تزكي

---

(١) سورة آل عمران، آية:٩٥

(٢) سورة النساء، آية:١٢٥

(٣) سورة البقرة، آية:١٣٠

(١) سورة الروم، آية:٣٠،٣١.

النفس، وتطهر القلب وتنميه، وتذهب عنه الآفات الرذيلة، وتحليه بالأخلاق الجميلة، وهي كلها ترجع إلى أصول الإيمان وأعمال القلوب.

والنوع الثاني: ما يعود إلى تطهير الظاهر ونظافته، ودفع الأوساخ والأقذار عنه، وهي هذه العشرة، وهي من محاسن الدين الإسلامي؛ إذ هي كلها تنظيف للأعضاء، وتكميل لها، لتتم صحتها وتكون مستعدة لكل ما يراد منها»[١].

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود: أن الفطرة هي شاملة لجميع الشريعة، باطنها وظاهرها؛ لأنها تنفي الباطن من الأخلاق الرذيلة، وتحليه بالأخلاق الجميلة التي ترجع إلى عقائد الإيمان والتوحيد، والإخلاص لله والإنابة إليه، وتنقي الظاهر من الأنجاس والأوساخ وأسبابها، وتطهره الطهارة الحسية والطهارة المعنوية، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «**الطهور شطر الإيمان**»[٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٣]، فالشريعة كلها طهارة وزكاء وتنمية وتكميل، وحث على معالي الأمور، ونهي عن سفسافها، والله أعلم»[٤].

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ[٥] في معنى الفطرة: « وأولى الوجوه بما ذكرنا: أن تكون الفطرة ما جبل الله الخلق عليه، وجبل طباعهم على فعله، وهي كراهة ما في جسده مما هو ليس من زينته،»[٦].

وقد جاء في السنة النبوية الحث على العمل بسنن الفطرة، أو سنن المرسلين، فهي مرة أضيفت إلى الفطرة، لأنها موافقة للفطرة، ومرة أضيفت إلى المرسلين لأنها من هديهم، وإنما عرفت من طريقهم.

---

(١) بهجة قلوب الأبرار لابن سعدي ٥٩/١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ٢٠٣/١، برقم ٢٢٣.

(٣) سورة البقرة، آية:٢٢٢.

(٤) بهجة قلوب الأبرار لابن سعدي ٦٠/١.

(٥) محمد بن علي بن وهب المنفلوطي، أبو الفتح، ابن دقيق العيد، ولد بقرب ينبع سنة سم٦٢٥هـ، كان حافظاً متقناً ذكياً ورعاً وقوراً، توفي في صفر سنة ٧٠٢هـ، ينظر: تذكرة الحفاظ ١٨٢/٤.

(٦) إحكام الإحكام لابن دقيق العيد ١٢٣/١.

فجاء مرةً بذكر ثلاثٍ من سنن الفطرة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من الفطرة: حلق العانة، وتقليم الأظفار، وقص الشارب»[١].

ومرة بذكر خمس منهن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**الفطرة خمس – أو خمس من الفطرة – الختان، والاستحداد، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقص الشارب**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**الفطرة خمس الاختتان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط**»[٣].

ومرة بذكر عشر، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء**» قال زكريا[٤]: قال مصعب[٥]: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة زاد قتيبة[٦]، قال وكيع[١]: «انتقاص الماء: يعني الاستنجاء»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب تقليم الأظافر، ٧/١٦٠، برقم ٥٨٩٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، ١/٢٢١، برقم ٢٥٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، ١/٢٢٢، برقم ٢٥٧.

(٤) خالد بن ميمون بن فيروز الهمداني الوادعي، مولاهم، أبو يحيى الكوفي، ابن أبي زائدة، ثقة يدلس، مات سنة ١٤٧هـ، ينظر: تهذيب التهذيب ٣/٣٢٩.

(٥) مصعب بن شيبة بن جبير بن شيبة ابن عثمان العبدري المكي الحجبي لين الحديث، ينظر: تقريب التهذيب ١/٥٣٣.

(٦) قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي، أبو رجاء البغلاني، يقال اسمه يحيى وقيل علي، ثقة ثبت، مات سنة ٤٠ عن ٩٠سنة، ينظر: تقريب التهذيب ١/٤٥٤.

(١) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو سفيان الكوفي، ثقة حافظ عابد، مات في آخر سنة ١٩٦هـ، أو أول سنة ١٩٧هـ، وله ٧٠ سنة، ينظر: تقريب التهذيب ١/٥٨١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، ١/٢٢٣، برقم ٢٦١.

ولم يأت الأمر بها فقط، بل ورد أن خليل الله إبراهيم عمل بها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**اختتن إبراهيم بعد ثمانين سنة، واختتن بالقدوم**[١]»[٢].

وأما الأولية في العمل بسنن الفطرة، فقد جاء أن أول من عمل بسنن الفطرة هو نبي الله إبراهيم عليه السلام، فقد أورد ابن جرير الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾[٣]، **قال، ابتلاه الله بالطهارة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد، في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس، وفي الجسد: تقليم الأظفار، وحلق العانة، والختان، ونتف الإبط، وغسل أثر الغائط والبول بالماء**»[٤].

---

(١) قيل: هي قرية بالشام، ويروى بغير ألف ولام، وقيل: القدوم بالتخفيف والتشديد: قدوم النجار، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢٧/٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإستئذان، باب الختان بعد الكبر ، ٦٦/٨، برقم ٦٢٩٨.

(٣) سورة البقرة، آية:١٢٤.

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره، ٩/٢، والحاكم في مستدركه ٢٩٣/٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٣١/١، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر في الفتح ٣٣٧/١٠: «والطبري من طريقه بسند صحيح»، وقال الألباني في صحيح أبي داود ٩٤/١: « موقوف صحيح على شرط الشيخين، وكذا صححه الحاكم والذهبي، وصححه الحافظ».

وقد جاءت الأولية صريحة، فعن أبي هريرة قال: «**اختتن إبراهيم** صلى الله عليه وسلم، **وهو ابن عشرين ومائة، ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة**»، قال سعيد بن المسيب رحمه الله[(١)]: «**إبراهيم أول من اختتن، وأول من أضاف، وأول من قص الشارب، وأول من قص الظفر، أول من شاب، فقال: يا رب! ما هذا؟ قال: وقار، قال: يا رب زدني وقاراً**»[(٢)].

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**كان إبراهيم أول من اختتن وهو ابن عشرين ومائة سنة، واختتن بالقدوم، ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة**»[(٣)].

قال ابن حجر رحمه الله: «ونقل بن دقيق العيد عن بعض العلماء أنه قال دل الخبر على أن الفطرة بمعنى الدين، والأصل فيما أضيف إلى الشيء أنه منه أن يكون من أركانه لا من زوائده حتى يقوم دليل على خلافه، وقد ورد الأمر باتباع إبراهيم عليه السلام، وثبت أن هذه الخصال أمر بها إبراهيم عليه السلام وكل شيء أمر الله باتباعه فهو على الوجوب لمن أمر به»[(٤)].

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من مسألة أول من عمل بسنن الفطرة:

١. ذكر أول من عمل بسنن الفطرة، وأنها من سنن المرسلين.

٢. ذكر أن العمل بسنن الفطرة فيه مخالفة لأهل الشرك والضلال.

٣. ذكر أن شرائع الفطرة على نوعين، تطهير للباطن، وتطهير للظاهر.

---

(١) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل، وقال ابن المديني لا أعلم في التابعين أوسع علما منه، مات بعد ٩٠هـ، وقد ناهز ٨٠سنة، ينظر: تقريب التهذيب ٢٤١/١.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب الختان للكبير، ٧١٠/١، برقم ٢٦١، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد ٤٨٣/١: صحيح الإسناد موقوفا ومقطوعا، وصح عنه مرفوعا.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٢٠/١١.

(٤) فتح الباري لابن حجر ٣٤٠/١٠

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الإيمان باليوم الآخر.

قبل الشروع في الحديث عن الأولية في الإيمان باليوم الآخر، وأهمية الإيمان به، يحسن بنا معرفة المعنى اللغوي والشرعي لليوم الآخر.

أما اليوم فمعروف، وجمعه أيام، وأصله أيوام فأدغم، قال الأخفش(١)، في قوله تعالى: ﴿أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾(٢)، قال: من أول الأيام

وأما الآخر فيقال أخرته فتأخر؛ واستأخر، مثل تأخر، وهو صفة، تقول: جاء آخرا، أي أخيرا، ويقال: هذا آخر، وهذه أخرى؛ في التذكير والتأنيث(٣).

والمعنى: أنه أحد الشيئين؛ ويكون بعد الأول، وتالٍ له، ومخالف للمتقدم الذي قبله(٤).

والمعنى الشرعي لليوم الآخر: هو آخر أيام الدنيا وأول أيام القيامة، وهو اليوم الذي لايوم بعده، ففيه البعث، والحساب، ثم إلى الجنة أو إلى النار. (٥)

والإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان؛ الذي لايتم إيمان العبد إلا به، كما جاء في حديث جبريل عليه السلام المشهور: «**قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(٦).

بل إن الله تعالى مدح المتقين له، الذين يخشونه بالغيب، ويخافون الآخرة، فكان أول صفة مدحهم الله بها، هو أنهم يؤمنون بالغيب، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

---

(١) سعيد بن مسعدة المجاشعي، البصري، أبو الحسن، الأخفش الأوسط، أخذ النحو عن سيبويه وكان أكبر منه، معتزلي قدري، مات سنة نيف عشرة ومائتين، ينظر: إنباه الرواه على أنباه النحاة ٢/٣٦.

(٢) سورة التوبة، آية:١٠٨.

(٣) ينظر: الصحاح للجوهري ٥/٢٠٦٥.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري٧/٢٢٦،الصحاح للجوهري٢/٥٧٦،مقاييس اللغة لابن فارس١/٧٠.

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري ١/٢٧٨.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام، ١/٣٦، برقم ٨.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[(١)]، ومن الإيمان بالغيب الإيمان باليوم الآخر وما يكون فيه من بعث وحساب، ثم إلى جنة أو نار.

ثم بعد ذلك ذكر الله تعالى ما هو من الإيمان بالغيب وهو الإيمان باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[(٢)]

أما الذين لا يؤمنون بالآخرة فلهم العذاب الأليم جزاء تكذيبهم، جزاءً وفاقاً، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[(٣)]

والإيمان باليوم الآخر، هو بأن يعتقد المسلم أن بعد الموت بعثاً، ثم الحساب والجزاء على ماقدم في دنياه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يكون الناس بعد ذلك فريقان، فريق في الجنة، وفريق في السعير.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما يكون بعد الموت...»[(٤)].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أهم أصول الإيمان: الإيمان باليوم الآخر، وهو الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله بعد الموت من فتنة القبر ونعيمه وعذابه، وأحوال يوم القيامة وما يكون فيه، ومن صفات الجنة والنار، وصفات أهلهما»[(٥)].

وتقرير هذه العقيدة مبسوط في كتاب الله تعالى، ويكفي زجراً للقلوب، تلاوة كتاب الله تعالى، والتدبر والتأمل فيه، كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[(٦)]، وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ

---

(١) سورة البقرة، آية:٢، ٣.

(٢) سورة البقرة، آية:٤، ٥.

(٣) سورة الإسراء، آية:١٠.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤٥/٣.

(٥) تيسير اللطيف المنان لابن سعدي ٤٠/١.

(٦) سورة البقرة، آية:٢٨١.

﴿إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1]،وقوله تعالى:﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾[2]، والآيات في هذا كثيرة.

وأما المسائل العقدية المتعلقة بالأوائل في الإيمان باليوم الآخر فقد جعلتها في خمسة مطالب وهي:

المطلب الأول: أوائل المسائل المتعلقة بأشراط الساعة.

المطلب الثاني: أوائل المسائل المتعلقة بالبرزخ.

المطلب الثالث: أوائل المسائل المتعلقة بالعرصات.

المطلب الرابع: أوائل المسائل المتعلقة بالجنة.

المطلب الخامس: أوائل المسائل المتعلقة بالنار.

---

(١) سورة المؤمنون، آية:١١٥.

(٢) سورة الأنعام، آية:٦١، ٦٢.

المطلب الأول: أوائل المسائل المتعلقة بأشراط الساعة.

الشَّرَط في اللغة: العلامة، ومنه الاشتراط الذي يشترط الناس بعضهم على بعض، إنما هي علامات يجعلونها بينهم، قيل: ولهذا سميت الشُرَط، لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها.

وأشراط الساعة علاماتها، وأسبابها التي هي دون معظمها وقيامها، قيل: وأشراط كل شيء ابتداء أوله[1].

ومن رحمة الله بعباده، أن جعل لليوم الآخر علامات وأشراطاً، لكي يتعظوا ويتداركوا بالتوبة قبل الموت.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء رحمهم الله تعالى: والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها تنبيه الناس من رقدتهم وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كي لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها والله أعلم»[2].

والأشراط الكبرى هي علامة انتهاء الحياة الدنيا، وإقبال الآخرة، وقد جاءت في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري[3]، قال: اطلع النبي صلى الله عليه وآله وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات – فذكر – الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وآله وسلم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف**

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٢١١/١١.

(٢) التذكرة للقرطبي ١٢١٧/١.

(٣) حذيفة بن أسيد بن خالد بن الأغوز الغفاري، أبو سريحة، شهد الحديبيّة، وذكر فيمن بايع تحت الشّجرة، ثم نزل الكوفة، وروى أحاديث، مات سنة ٤٢هـ، ينظر: الإستيعاب ١٦٦٧/٤، أسد الغابة ٤٦٦/١، الإصابة ٣٨/٢.

بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم»[١].

وأما أوائل المسائل المتعلقة بأشراط الساعة، فقد جعلتها في أربعة مسائل وهي:

المسألة الأولى: أول أشراط الساعة الكبرى ظهوراً.

المسألة الثانية:أول أمر خروج المسيح الدجال.

المسألة الثالثة: أول من يفزعهم الدجال.

المسألة الرابعة: أول من يسمع نفخة الصور يوم القيامة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الفتن،باب في الآيات التي تكون قبل الساعة،٤/ ٢٢٢٥،برقم٢٩٠١

المسألة الأولى: أول أشراط الساعة الكبرى ظهوراً.

لقيام الساعة عشر أشراط كبرى، جاءت في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: اطلع النبي صلى الله عليه وآله وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات - فذكر - الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم** صلى الله عليه وآله وسلم، **ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**»[(١)].

والآيات العشر تكون متتابعة في وقت قريب، كما جاء عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**الأمارات خرزات منظومات بسلك، فإذا انقطع السلك تبع بعضه بعضا**»[(٢)].

وقد اختلفت الأقوال في أول أشراط الساعة الكبرى ظهوراً، وكان ذلك على ثلاثة أقوال، وهي:

القول الأول: أن أول أشراط الساعة الكبرى ظهوراً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة.

ودليل ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إن أول الآيات خروجاً، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريباً**»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه ص:٢٤٣.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ٥٨٩/٤، برقم ٨٦٣٩، واللفظ له، وأحمد في مسنده ٦١٧/١١، برقم ٧٠٤٠، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٦١/٤.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب في خروج الدجال، ٤/ ٢٢٦٠، برقم ٢٩٤١.

وقد يرد استشكالاً على هذا القول، فيقال: إن كان أول الآيات ظهوراً هو طلوع الشمس من مغربها، فإنه سيغلق باب التوبة، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين:** ﴿**لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ**﴾[1]»[2].

وحينها فإنه لا ينفع الكفار إيمانهم إن لم يؤمنوا من قبل، ولاينفع العصاة توبتهم إن لم يتوبوا من قبل .

وقد ثبت أن نزول عيسى عليه السلام بعد خروج الدجال، لأنه هو الذي يقتله بباب لد، وأنه سيؤمن به أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾.

وقد ذكر ابن جرير الطبري رحمه الله، ذلك في تفسير هذه الآية فقال: «معنى ذلك: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ**﴾، يعني: بعيسى، ﴿**قَبْلَ مَوْتِهِۦ**﴾، يعني: قبل موت عيسى، يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال، فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الإسلام الحنيفية، دين إبراهيم عليه السلام»[3].

فكيف يكون طلوع الشمس من مغربها أول الآيات؟.

والجواب على هذا الاستشكال، كان متفاوتاً بين أهل العلم من عدة أوجه، خاصة أنه لم يأت تعيين طلوع الشمس من مغربها بالأولية واختصاصها بذلك دون الدابة، كما يظهر من آخر الحديث: «**وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبا**».

وكذلك احتجاج من دفع التعارض بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض**»[4].

---

(١) سورة الأنعام، آية:١٥٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾، ٦/ ٥٨، برقم ٤٦٣٥.

(٣) جامع البيان للطبري ٧/ ٦٦٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان،باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان،١/ ١٣٧،برقم١٥٨

والأقوال التي سأوردها، كان تعليقاً من أهل العلم على حديث أبي هريرة رضي الله عنه الأخير، وهي على النحو التالي:

١. قال ابن مفلح رحمه الله [(١)]: « المراد به أن طلوع الشمس آخر الثلاثة خروجا فلا تعارض بينه وبين ما سبق» [(٢)].

٢. قال الشيخ حمود التويجري رحمه الله: «وظاهر هذا الحديث الصحيح يدل على أن التوبة لا تزال مقبولة حتى تخرج الثلاث كلها، وقد تواترت الأحاديث الدالة على أن التوبة لا تزال مقبولة ما لم تطلع الشمس من مغربها، ... فيستفاد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مع الأحاديث الواردة في قبول التوبة ما لم تطلع الشمس من مغربها، أن خروج الدابة والدخان متقدم على طلوع الشمس من مغربها، والله أعلم» [(٣)].

القول الثاني: أن أول أشراط الساعة الكبرى ظهوراً خروج الدجال.

ودليل ذلك ماروي عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير [(٤)]، قال: «**جلس إلى مروان بن الحكم** [(٥)] **بالمدينة ثلاثة نفر من المسلمين، فسمعوه وهو يحدث عن الآيات: أن أولها خروجا الدجال، فقال عبد الله بن عمرو: لم يقل مروان شيئا، قد حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج القاقوني الفقيه الحنبلي، شمس الدين، ولد سنة ٧١٢هـ، اشتغل في الفقه وبرع فيه إلى الغاية، مات في رجب سنة ٧٦٣هـ، ينظر: الدرر الكامنة ١٤/٦.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ١١٥/١.

(٣) اتحاف الجماعة للتويجري ٣٢٢/٢.

(٤) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو عبد الملك الأموي المدني، ولي الخلافة في آخر سنة ٦٤هـ، ومات سنة ٦٥هـ، في رمضان، وله ٦٣سنة، لا تثبت له صحبة، لا يتهم في الحديث، ينظر: الطبقات الكبرى ٣٥/٥، سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٧٦، تقريب التهذيب ٥٢٥/١.

(٥) هرم بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي، أبو زرعة، اختلف في اسمه، من ثقات التابعين، وعلمائهم، وكان نبيلا، شريفا، كثير العلم، وفد مع جده جرير على معاوية، ينظر: الطبقات الكبرى ٢٩٧/٦، سير أعلام النبلاء ٨/٥، تهذيب التهذيب ٩٩/١٢.

يقول: «**إن أول الآيات خروجا، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبا**»[١].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ مرجحاً هذا القول: « وهذا القول أولى القولين وأصح لقوله صلى الله عليه وسلم: «**إن الدجال خارج فيكم لا محالة**» الحديث بطوله، فلو كانت الشمس طلعت قبل ذلك من مغربها لم ينفع اليهود إيمانهم أيام عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولو لم ينفعهم لما صار الدين واحداً بإسلام من أسلم منه»[٢].

القول الثالث: أن أول أشراط الساعة الكبرى ظهوراً النار التي تحشر الناس.

ودليل ذلك مارواه أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال سمع عبد الله بن سلام، بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في أرض يخترف، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشراط الساعة؟، وما أول طعام أهل الجنة؟، وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «**أخبرني بهن جبريل آنفا**» قال: جبريل؟: قال: «**نعم**»، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٣]، «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب...**»[٤].

وقد استشكل على هذا القول، بأنه يعارض في الظاهر الحديث الذي رواه حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات – فذكر – الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم** صلى الله عليه وسلم، **ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب،**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب في خروج الدجال، ٤/٢٢٦٠، برقم ٢٩٤١.

(٢) التذكرة للقرطبي ١/١٣٤٧.

(٣) سورة البقرة، آية:٩٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾، ٦/١٩، برقم ٤٤٨٠

وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم»(١).

ففي حديث أنس ذكرت النار بأنها أول الآيات وهو في صحيح البخاري، وفي حديث حذيفة ذكرت النار بأنها آخر الآيات وهو في صحيح مسلم، فكيف يكون دفع ظاهر هذا التعارض؟

أجاب عن ذلك ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «ويجمع بينهما بأن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات، وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً، بل يقع بانتهائها النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا»(٢).

وقيل أن هذه النار غير الأخرى، ففي حديث أنس أنها من المشرق، وفي حديث حذيفة أنها من اليمن.

الجمع بين الأقوال السابقة:

للعلماء في ترتيب أشراط الساعة الكبرى أقوال، بناء على جمع من الأخبار الصحيحة، التي يوهم ظاهرها التعارض، وبعض العلماء جمع بينها جمعاً يناسب ما يصاحب هذه الآيات من أحداث.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: « أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، فكل ذلك أمور مألوفة لأن أمر مشاهدته ومشاهدة أمثاله مألوف، فأما خروج الدابة على شكل غريب غير مألوف ومخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر، فأمر خارج عن مجاري

---

(١) سبق تخريجه ص:٢٤٣.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٨٢/١٣.

العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية»[(١)].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض؛ وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي؛ وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب، وقد أخرج مسلم[(٢)] أيضا من طريق أبي زرعة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه أول الآيات طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى فأيهما خرجت قبل الأخرى فالأخرى منها قريب، وفي الحديث قصة لمروان بن الحكم وأنه كان يقول أول الآيات خروج الدجال فأنكر عليه عبد الله بن عمرو، قلت: ولكلام مروان محمل يعرف مما ذكرته، قال الحاكم أبو عبد الله الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه، قلت: والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة؛ فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلا للمقصود من إغلاق باب التوبة، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس »[(٣)].

والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ٢١٤/١.

(٢) سبق تخريجه ص:٢٤٧.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٣٥٣/١١.

المسألة الثانية: أول أمر خروج المسيح الدجال.

خروج المسيح الدجال هو أحد علامات الساعة الكبرى، وقد أنذر النبي ﷺ أمته من فتنة المسيح الدجال في أحاديث عدة، منها ماجاء عن أنس رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر**»[1].

وقد ذكر النبي ﷺ أنه خارج في هذه الأمة لا محالة، وذكر مكان خروجه، تحذيراً للأمة منه، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه[2]، قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فكان أكثر خطبته حديثاً، حدثناه عن الدجال، وحذرناه، فكان من قوله أن قال: «**إنه لم تكن فتنة في الأرض، منذ ذرأ الله ذرية آدم، أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، وإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم، فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي، فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة بين الشام، والعراق، فيعيث يمينا ويعيث شمالا، يا عباد الله فاثبتوا** ...»[3].

وقد ورد أن أول أمر خروج الدجال من غضب يغضبها، كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه رأى ابن صائد[4]، في سكة من سكك المدينة، فسبه ابن عمر، ووقع فيه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ٩/٦٠، برقم ٧١٣١.

(٢) صديّ بن عجلان بن الحارث الباهليّ، أبو أمامة، مشهور بكنيته، سكن مصر، ثم الشام، وهو آخر من توفي من الصحابة بالشام، مات سنة٨١هـ، وقيل ٨٦هـ، وهو ابن ٩١سنة، ينظر: الاستيعاب ٢/ ٧٣٦، أسد الغابة ٥/ ١٦، الإصابة ٣/ ٣٤٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال ٢/١٣٥٩، برقم ٤٠٧٧، واللفظ له، وابن أبي عاصم في السنة ١/١٧١، والطبراني في الكبير ٨/١٤٦، والحاكم في مستدركه ٤/٥٨٠، وصححه الحاكم؛ وقال على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/١٣٠٣.

(٤) عبد الله بن صياد، ابن صائد، ابوه يهودي، ولد على عهد رسول الله ﷺ أعور مختوناً، قيل أنه الدجال، أسلم بعد وفاة رسول الله ﷺ، فلا صحبة له، ينظر: أسد الغابة ٣/١٧٩.

فانتفخ حتى سد الطريق، فضربه ابن عمر بعصا كانت معه حتى كسرها عليه، فقالت له حفصة: ما شأنك وشأنه؟ ما يولعك به؟ أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إنما يخرج الدجال من غضبة يغضبها**»[1].

وقد جاء سبب خروج الدجال، بصيغة الأولية، فعن نافع، قال: كان نافع يقول: ابن صياد، قال: قال ابن عمر: لقيته مرتين، قال: فلقيته فقلت لبعضهم: هل تحدثون أنه هو؟ قال: لا، والله قال: قلت: كذبتني، والله لقد أخبرني بعضكم أنه لن يموت حتى يكون أكثركم مالا وولدا، فكذلك هو زعموا اليوم، قال: فتحدثنا ثم فارقته، قال: فلقيته لقية أخرى وقد نفرت عينه، قال: فقلت: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدري، قال: قلت: لا تدري وهي في رأسك؟ قال: إن شاء الله خلقها في عصاك هذه، قال: فنخر كأشد نخير حمار سمعت، قال: فزعم بعض أصحابي أني ضربته بعصا كانت معي حتى تكسرت، وأما أنا فوالله ما شعرت، قال: وجاء حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها، فقالت: ما تريد إليه؟ ألم تعلم أنه قد قال: «**إن أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه**»[2].

فلذا فإن أول أمر خروج المسيح الدجال هو بسبب غضبة يغضبها، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٤/٢٥، برقم ٢٦٤٢٥، وابن حبان في صحيحه، ٢٠٤/١٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٦٩/١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن ، باب ذكر ابن صياد، ٤/ ٢٢٤٦، برقم ٢٩٣٢

المسألة الثالثة: أول من يفزعهم الدجال.

يخرج الدجال من المشرق، ويقصد المدينة النبوية، ثم يهلك في الشام، فيخرج من المشرق كما جاء في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها[١]، وفيه: «**فإنه أعجبني حديث تميم**[٢]**، أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه، وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام، أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق، ما هو**» وأومأ بيده إلى المشرق[٣].

وجاء تحديد الموضع الذي يخرج منه في المشرق، وهو أصبهان[٤]، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان، سبعون ألفا عليهم الطيالسة**»[٥]، وفي رواية عن الإمام أحمد أصرح في خروجه منها، وفيها: «**يخرج الدجال من يهودية أصبهان، معه سبعون ألفا من اليهود عليهم السيجان**[٦]»[٧]

وقصده المدينة النبوية، كما جاء في الحديث: «**يأتي المسيح الدجال من قبل المشرق، وهمته المدينة، حتى ينزل دبر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهنالك يهلك**»[٨].

---

(١) فاطمة بنت قيس بن خالد القرشية الفهرية، كانت من المهاجرات الأول، وكانت ذات جمال وعقل، تزوجها أسامة بن زيد، وهي التي روت قصة الجسّاسة بطولها فانفردت بها مطولة، ينظر: الإستيعاب ١٩٠١/٤، أسد الغابة ٢٣٠/٦، الإصابة ٢٧٦/٨.

(٢) تميم بن أوس بن حارثة، أبو رقيّة الدّاري، كان نصرانيا، وقدم المدينة سنة تسع فأسلم، انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان، ومات بها، ينظر: الإستيعاب ١٩٣/١، أسد الغابة ٢٥٦/١، الإصابة ٤٨٧/١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب قصة الجساسة، ٢٢٦٢/٤، برقم ٢٩٤٢.

(٤) أصبهان، ويقال أصفهان، ناحية مشهورة من بلاد فارس، تقع في الجنوب الشرقي منها، وهي إسم للإقليم، وبها عدة مدن، ينظر: معجم البلدان للحموي ٢٠٦/١.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الفتن،باب في بقية من أحاديث الدجال،٢٢٦٦/٤،برقم ٢٩٤٤

(٦) السيجان، الطيالسة الخضر واحدها: ساج مثل: تاج، ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة ٢٩٢/٢.

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ٥٥/٢١، برقم ١٣٣٤٤، والطبراني في الأوسط ١٥٦/٥، برقم ٤٩٣٠، وحسنه أحمد شاكر.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج ، باب صيانة المدينة، ١٠٠٥/٢، برقم ١٣٨٠.

وبعد خروجه من أصبهان قاصداً المدينة النبوية، يكون طريقه لها بين الشام والعراق، كما في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: «...**إنه خارج خلة**[١] **بين الشام والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالا، يا عباد الله فاثبتوا**»[٢].

وقد ورد أن أول مدينة يطرقها الدجال بعد خروجه هي الكوفة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «**إني لأعلم أهل أبيات يفزعهم**[٣] **الدجال**»، قالوا: من يا أبا عبد الرحمن؟، قال: «**بيوت أهل الكوفة**»[٤].

ففي أثر ابن مسعود رضي الله عنه، يتبين أن أول من يفزعهم الدجال، وأول مدينة يدخلها الدجال بعد خروجه، هي الكوفة، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) خلة، أي خارج قصداً، أي يقصد مقصداً وطريقاً بين الجهتين، والتخلل الدخول في الشيء ومنه تخليل الشعر أي إدخال الأصابع فيه، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين ٤٧٨/١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ٢٢٥٠/٤، برقم ٢٩٣٧.

(٣) وفي رواية ابن سعد وابن ابي شيبة «يقرعهم» بدلاً من «يفزعهم» التي هي عند الطبراني.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ٩٣/٩، واللفظ له، وابن سعد في الطبقات ٧/٦، وابن أبي شيبة في مصنفه ٥٠٠/٧، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٥١/٧: «ورجاله ثقات، إلا أن أبا صادق لم يدرك ابن مسعود».

المسألة الرابعة: أول من يسمع نفخة الصور يوم القيامة.

بعد هلاك المسيح الدجال، ينعم الناس بالخير فلا تبقى بينهم عداوة، ثم تقبض أرواح المؤمنين بالريح الباردة المرسلة من قبل الشام، ثم يبقى شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة، فيتمثل لهم الشيطان، فيأمرهم بعبادة الأوثان، فيستجيبون له، ثم ينفخ في الصور فيفزع الناس، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴾[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « يخبر تعالى عن هول يوم نفخة الفزع في الصور، وهو كما جاء في الحديث: «قرن ينفخ فيه»، وفي حديث الصور، أن إسرافيل هو الذي ينفخ فيه بأمر الله تعالى، فينفخ فيه أولا نفخة الفزع ويطولها، وذلك في آخر عمر الدنيا، حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء، فيفزع من في السموات ومن في الأرض ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾، وهم الشهداء، فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون»[2].

وأول من يسمع نفخة الصور، رجل يصلح حوضاً لإبله، كما صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين – لا أدري: أربعين يوما، أو أربعين شهرا، أو أربعين عاما فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشأم، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه**»، قال: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا، فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم،**

---

(١) سورة النمل، آية:٨٧

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٢١٦.

حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا[١]**ورفع ليتا، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط**[٢]**حوض إبله، قال: فيصعق، ويصعق الناس...»** [٣].

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من أوائل المسائل المتعلقة بأشراط الساعة:

١. ذكر الاقوال في أول أشراط الساعة الكبرى ظهوراً، والجمع بين تلك الأقوال.

٢. تحذير الأنبياء لأممهم، فيه دلالة على حرص الأنبياء عليهم السلام على النصح لأممهم، وخاصة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد بين وقال فيه قولاً لم يقله نبي لأمته، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «**إني لأنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه، إنه أعور، وإن الله ليس بأعور**»[٤].

٣. الرد على من قال: إن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها، كأمثال محمد عبده، وميرزا غلام[٥].

٤. أن معرفة أوائل الأشراط والعلامات فيه حث على الحرص على التوبة والإنابة، والاستيقاظ من الغفلة، والرجوع إلى الله تعالى.

---

(١) الليت، صفحة العنق، أي: أمال عنقه ليستمعه من السماء جيدا، ينظر: مقاييس اللغة ٢٢٣/٥، تفسير القرآن العظيم ٦/ ٢١٦.

(٢) يلوطه ويليطه إذا طينه بالطين وسد خروقه ليملأه بالماء ليسقي إبله ودوابه وأصل اللوط اللصوق، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين ٣٤٢/١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب في خروج الدجال، ٢٢٥٨/٤، برقم ٢٩٤٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ٦٠/٩، برقم ٧١٢٧.

(٥) ينظر: قصة المسيح الدجال للألباني ص:٩.

المطلب الثاني: أوائل المسائل المتعلقة بالبرزخ.

البرزخ، اسم لما بين كل شيئين، كما قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾[١]،ومنه قيل للميت: هو في البرزخ، لأنه بين الدنيا والآخرة[٢].

فالمراد هنا أنه حاجز بين البحرين حتى لايختلطان، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾[٣].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما عنى بذلك أنه من نعمته على خلقه، وعظيم سلطانه، يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح الأجاج، ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته، وإفساده إياه بقضائه وقدرته، لئلا يضر إفساده إياه بركبان الملح منهما، فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم إلى الماء، فقال جل ثناؤه: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ يعني حاجزا يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ يقول: وجعل كل واحد منهما حراماً محرماً على صاحبه أن يغيره ويفسده»[٤].

وكذلك مابعد الخروج من الدنيا، وقبل البعث والنشور، يسمى برزخاً، كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[٥].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول: ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع، يعني: إلى يوم يبعثون من قبورهم، وذلك يوم القيامة، والبرزخ والحاجز والمهلة متقاربات في المعنى»[٦].

---

(١) سورة الرحمن، آية:١٩، ٢٠.
(٢) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ٢٧٠/٧، مادة (خز)، الصحاح للجوهري ٤١٩/١، مادة (برزخ).
(٣) سورة الفرقان، آية:٥٣.
(٤) جامع البيان للطبري ١٧/ ٤٧٣.
(٥) سورة المؤمنون، آية:٩٩، ١٠٠.
(٦) جامع البيان للطبري ١٧/ ١٠٨.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ودار البرزخ وهي أوسع من هذه دار الدنيا وأعظم، بل نسبتها إلى الحياة الدنيا، كنسبة هذه الحياة الدنيا إلى بطن الأم[١].

فالحياة في البرزخ، حياة أخرى تختلف عن الحياة الدنيا، كما قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحياة الميت في قبره غير حياته الدنيوية، بل هي حياة خاصة برزخية، ليست من جنس حياته في الدنيا التي يحتاج فيها إلى الطعام والشراب ونحو ذلك، بل هي حياة خاصة يعقل معها السؤال والجواب، ثم ترجع روحه بعد ذلك إلى عليين، إن كان من أهل الإيمان، وإن كان من أهل النار إلى النار، لكنها تعاد إليه وقت السؤال والجواب، فيسأله الملكان: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟»[٢].

وأما أوائل المسائل المتعلقة بالبرزخ، فقد جعلتها في مسألتين وهي:

المسألة الأولى: أول منازل الآخرة.

المسألة الثانية:أول ما يُسأل عنه العبد في القبر.

---

(١) الروح لابن القيم ١/١١٦، بتصرف.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ٨/٣٣٩.

المسألة الأولى: أول منازل الآخرة:

كتب الله تعالى على ابن آدم الموت لا محالة، بل كل نفس ستذوق الموت، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[(١)].

فالملائكة والإنس والجن، وجميع الخليقة، سينتهي بهم الأمر إلى الموت، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[(٢)]، فهو تعالى وحده هو الحي الذي لا يموت،المنفرد بالديمومة والبقاء، فيكون آخرا كما كان أولا[(٣)].

وفي الحديث: «أعوذ بعزتك، الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون»[(٤)].

وبعد موت العبد، فإن أول منزل سينزله ابن آدم هو القبر، وفيه يفتن كما ثبت ذلك في أحاديث عدة، فإن نجا بعد السؤال؛ فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج من السؤال، فما بعده أشد منه.

ودليل ذلك ما روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار، ولا تبكي، وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه**» قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه**»[(٥)].

وما بين موت العبد ووضعه في قبره أمور لابد من مراعاتها كتجهيزه، وتغسيله، وتكفينه، والصلاة عليه، والمشي خلف جنازته حتى يصل إلى قبره فيدفن، وهي حق من حقوق المسلم على أخيه، ولأنه يقدم على أمر عظيم، ولأنه سيقدم على رب العزة والجلال،

---

(١) سورة العنكبوت، آية:٥٧.

(٢) سورة الرحمن، آية:٢٦، ٢٧.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢/١٧٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾،٩/١١٧،برقم ٧٣٨٣

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب ذكر القبر والبلى، ٥/٣٣٤، برقم ٤٢٦٧، واللفظ له، وأحمد في مسنده ١/٥٠٣، برقم ٤٥٤، والبيهقي في شعب الإيمان، ١/٦١٩، برقم ٣٩٣، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ١/٣٤٧، برقم ١٦٨٤.

فيحسن تجهيزه في حال طيبة، فالصلاة يكون قبلها الطهور والسواك، وهكذا فكل أمر عظيم ينبغي للمرء أن ينظر ماذا يقدم له، سوى أن هذا من إكرام المؤمن لأخيه، ومن إكرام الله لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

كذلك ما جعل الله عليه من الأجر العظيم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**من خرج مع جنازة من بيتها، وصلى عليها، ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر، كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها، ثم رجع، كان له من الأجر مثل أحد**»[1].

وللقبر صفة ينبغي مراعاتها في تعميقه، ولحده أو شقه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**اللحد لنا والشق لغيرنا**»[2]، وقد كان الصحابة أكمل الأمة في اتباعهم لهدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جميع شؤونهم، فها هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: في مرضه الذي هلك فيه يقول: «**الحدوا لي لحدا، وانصبوا علي اللبن نصبا، كما صنع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**»[3].

وكذلك اجتناب الدفن في الأوقات المكروهة، كما قال ابن القيم رحمه الله: «وكان من هديه صلى الله عليه وآله وسلم ألا يدفن الميت عند طلوع الشمس، ولا عند غروبها، ولا حين يقوم قائم الظهيرة. وكان من هديه اللحد وتعميق القبر وتوسيعه من عند رأس الميت ورجليه.

ويذكر من هديه صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا وضع الميت في القبر قال: «**بسم الله وبالله، وعلى ملة رسول الله**»، وفي رواية: «**بسم الله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله**»[4].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة، ٦٥٣/٢، برقم ٩٤٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ٥٠١/٢، برقم ١٥٥٥، وأبي داود في سننه ٢١٣/٣، برقم ٣٢٠٨، والترمذي في سننه ٣٥٤/٢، برقم ١٠٤٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٩٦٤/٢، برقم ٥٤٨٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب في اللحد، ٦٦٥/٢، برقم ٩٦٦.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ٣٥٥/٢، برقم ١٠٤٦، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الترمذي في إرواء الغليل ١٩٧/٣، برقم ٧٤٦.

ويذكر من هديه صلى الله عليه وآله وسلم أيضا أنه كان يحثو التراب على قبر الميت إذا دفن من قبل رأسه ثلاثا.

وكان إذا فرغ من دفن الميت قام على قبره هو وأصحابه، وسأل له التثبيت، وأمرهم أن يسألوا له التثبيت»[١].

ولقد ضل اقوام في قبورهم فمنهم من شيدها ومنهم من بنى عليها فخالفوا هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعبدوا تلك القبور واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، وذكروا الأموات وطلبوا منهم ما لايستطيعونه، فأدى بهم الأمر إلى أن أشركوا مع الله غيره، وخروجهم من الملة.

والعبد عندما يوضع في قبره، له أحوال من النعيم والعذاب بعد السؤال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إن الميت يصير إلى القبر، فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا مشعوف، ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام، فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه. فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى الله، فيفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضا، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يفرج له فرجة قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك، ويقال له: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله، ويجلس الرجل السوء في قبره فزعا مشعوفا**[٢]**، فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري، فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولا فقلته، فيفرج له قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: انظر إلى ما صرف الله عنك، ثم يفرج له فرجة إلى النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضا، فيقال له: هذا مقعدك، على الشك كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله**»[٣].

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ٥٠٣/١.

(٢) المشعوف، الذاهب القلب، ينظر: تهذيب اللغة ٢٧٩/١.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب ذكر القبر والبلى، ٣٣٤/٥، برقم ٤٢٦٨، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ٥٠/١، برقم ١٣٩.

فالحاصل أنه إذا مات ابن آدم فقد قامت قيامته، وبدأ حياةً أخرى، لها أحوال غير أحوال الحياة الدنيا، ولها منازل متعددة، بدءاً من القبر، ومروراً بالنفخ في الصور، ثم الحشر، ثم العرصات، حتى دخول الجنة، أو الأخرى نعوذ بالله منها.

المسألة الثانية: أول ما يُسأل عنه العبد في القبر:

لقد ثبت في الكتاب والسنة، أن أول أمر يحدث للمرء عند وضعه في القبر بعد موته، هو سؤال الملكين له الأسئلة الثلاثة، والملكين هما منكر ونكير، والأسئلة هي: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟، وهي مشهورة بفتنة القبر.

والذي يجيب على الأسئلة الثلاثة هم أهل الإيمان بتثبيت الله لهم، فكما رحمهم في الحياة الدنيا بالهداية إلى الدين الحق، كذلك أتم نعمته عليهم بتثبيتهم عند السؤال، ويوم القيامة يهديهم بإذنه إلى الجنة، قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[1].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصواب من القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، وهو أن معناه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الدنيا، وذلك في قبورهم حين يسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم»[2].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها.

وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن: الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي»[3].

---

(١) سورة إبراهيم، آية:٢٧.

(٢) جامع البيان للطبري ١٣/ ٦٦٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ١/ ٤٢٥.

وقد جاء في السنة النبوية، ما روي عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**العبد إذا وضع في قبره، وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «فيراهما جميعا، وأما الكافر – أو المنافق – فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين**»(١).

وكذلك ما جاء عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولما يلحد، فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجلسنا حوله، كأن على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه، فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين، أو ثلاثا**»، ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان**»، قال: «**فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض**» قال: «**فيصعدون بها، فلا يمرون، يعني بها، على ملإ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى**»

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز،باب الميت يسمع خفق النعال، ٢/٩٠،برقم ١٣٣٨

قال: «**فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله** صلى الله عليه وسلم**، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة**»، قال: «**فيأتيه من روحها، وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره**»، قال: «**ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي، ومالي**» قال: «**وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب**»، قال: «**فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له**»، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[1]، فيقول الله عز وجل: «**اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا**» ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[2]، «**فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له:**

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٤٠.

(٢) سورة الحج، آية: ٣١.

ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم...» ثم ساق جملة من الأحاديث.

وقال ابن أبي عاصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وفي المساءلة أخبار ثابتة، والأخبار التي في المساءلة في القبر منكر ونكير أخبار ثابتة توجب العلم، فنرغب إلى الله أن يثبتنا في قبورنا عند مسألة منكر ونكير ﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾(٢)»(٣).

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من أوائل المسائل المتعلقة بأشراط الساعة:

١. ذكر ان أول منازل الآخرة هو القبر.

٢. أن مخالفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم، في القبور، أدت إلى شركيات وبدع، حتى مع تقدم العلم، وانتشار وسائل العلم، تجد من يسجد لقبر، أو يبني عليه، أو يضيء الشموع حوله، أو يقف صامتاً تعظيماً له.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ٤٩٩/٣٠، برقم ١٨٥٣٤، واللفظ له، وعبدالرزاق في مصنفه ٥٨٠/٣، برقم ٦٧٣٧، وابن أبي شيبه ٥٤/٣، برقم ١٢٠٥٩، والآجري في الشريعة ١٢٩٤/٣، برقم ٨٦٤، وابن منده في الإيمان ٩٦٢/٢، برقم ١٠٦٤، وقال الهيثمي في المجمع ٤٩/٣، برقم ٤٢٦٦: «ورجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٤٤/١، برقم ١٦٧٦.

(٢) سورة إبراهيم، آية:٢٧.

(٣) السنة لابن أبي عاصم ٤١٩/٢.

٣. ذكر أن أول ما يسأل عنه العبد في قبره الأسئلة الثلاثة، وهي أسئلة عن عقيدته إبّان حياته، وفيه بيان لأهمية العقيدة في حياة المسلم.

٤. بيان فساد قول الرافضة، أن أول ما يسأل عنه العبد في القبر هو حب أهل البيت، قال صدوق الرافضة: «أول ما يسأل عنه العبد حبنا أهل البيت»[١].

٥. بيان فساد قول المعتزلة ومن شاكلهم، ممن ينكر عذاب القبر ونعيمه[٢].

٦. أن الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، يدفع المؤمن لأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب.

---

(١) عيون أخبار الرضا للصدوق ٢/٦٧، برقم ٢٥٨.

(٢) الروح لابن القيم ١/٥٢.

المطلب الثالث: أوائل المسائل المتعلقة بالعرصات.

أصل التعريض هو الاضطراب، ومنه قيل: رمح عراص، لاضطرابه إذا هز، وكذلك السيف، والعراص: السحاب ذو الرعد والبرق، وإنما سمي بذلك لأن الريح تجيء به، فسمي لاضطرابه عراصاً، ومنه سميت العرصات يوم القيامة لاضطراب الناس فيه.

والعرصة: هي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء، وعرصة الدار وسطها، ومنه عرصات يوم القيامة، وهي مواطن الحشر وغيرها من البعث وحتى قبل دخول الجنة إن شاء الله تعالى[1].

كما هو الحال عند قيام الساعة، فتصبح الأرض ممتدة أي مستوية، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾[2].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا الأرض بسطت، فزيد في سعتها»[3].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾[4].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ أي: هل تبقى يوم القيامة أو تزول؟ ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ أي: يذهبها عن أماكنها ويمحقها ويسيرها تسييراً، ﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي: الأرض ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ أي: بساطاً واحداً، والقاع: هو المستوي من الأرض، والصفصف تأكيد لمعنى ذلك، وقيل: الذي لا نبات فيه، والأول أولى، وإن كان الآخر مراداً أيضا باللازم؛ ولهذا قال: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ أي: لا ترى في الأرض يومئذ وادياً ولا رابيةً، ولا مكاناً منخفضاً ولا مرتفعاً»[5].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٥/٢، الصحاح للجوهري ١٠٤٤/٣، مقاييس اللغة لابن فارس ٢٦٧/٤، مادة (عرص).

(٢) سورة الإنشقاق، آية:٣.

(٣) جامع البيان للطبري ٢٣٢/٢٤.

(٤) سورة طه، آية:١٠٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣١٦/٥.

وأما أوائل المسائل المتعلقة بالعرصات، فقد جعلتها في ست مسائل وهي:

المسألة الأولى: أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة.

المسألة الثانية: أول من يرد حوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

المسألة الثالثة: أول ما يحاسب عليه، ويقضى فيه يوم القيامة.

المسألة الرابعة: أول من يجيز الصراط يوم القيامة.

المسألة الخامسة: أول من يجثو للخصومة يوم القيامة.

المسألة السادسة: أول شافع وأول مشفع.

المسألة الأولى:أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة.

ينفخ في الصور يوم القيامة النفخة الثانية، وهي نفخة البعث، فتنشق القبور عن بني آدم، مؤمنهم، وكافرهم، ومنافقهم، ويخرجون منها، قاصدين أرض المحشر، وفي ذلك يقول المولى عز وجل: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾[(١)].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يوم يسمع الخلائق صيحة البعث من القبور بالحق، يعني بالأمر بالإجابة لله إلى موقف الحساب، فذلك يوم خروج أهل القبور من قبورهم، تشقق الأرض، وتصدع عنهم، فيخرجون منها سراعاً، إلى موقف الحساب[(٢)].

وأول من تنشق عنه الأرض للبعث، هو سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكما ثبت ذلك في صحيح الأخبار، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس جاء يهودي، فقال: يا أبا القاسم ضرب وجهي رجل من أصحابك، فقال: «**من؟**»، قال: رجل من الأنصار، قال: «**ادعوه**»، فقال: «**أضربته؟**»، قال: سمعته بالسوق يحلف: والذي اصطفى موسى على البشر، قلت: أي خبيث، على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذتني غضبة ضربت وجهه، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق، أم حوسب بصعقة الأولى**»[(٣)].

---

(١) سورة ق، آية:٤١، ٤٤.

(٢) جامع البيان للطبري ٢١/٤٧٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، ٣/١٢١، برقم ٢٤١٢.

إشكال وجوابه[1]:

ثبت أن موسى عليه السلام قد مات فكيف تدركه الصعقة، وإنما تصعق الأحياء، ولم يأت أن موسى رجع إلى الحياة، ولا أنه حي؛ كما جاء في عيسى عليه السلام، وكيف يوفق بين ذلك وبين ما ورد من أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أول من تنشق عنه الأرض.

الجواب يكون من ثلاثة أوجه:

- **الوجه الأول:** أن هذه الصعقة صعقة فزع بعد البعث.
- **الوجه الثاني:** قاله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يعلم أنه أول من تنشق عنه الأرض.
- **الوجه الثالث:** معناه أنه من الزمرة الذين هم أول من تنشق عنهم الأرض، وهم زمرة الأنبياء عليهم السلام.

(١) ينظر: دقائق المنهاج للنووي ١٥/١٣٠.

المسألة الثانية: أول من يرد حوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الحوض في اللغة من حاض الماء وغيره حوضاً، وحوضه: حاطه وجمعه، وحضت أحوض: اتخذت حوضاً، واستحوض الماء: اجتمع، والحوض: مجتمع الماء معروف، والجمع أحواض وحياض.

وفي حديث أم إسماعيل: لما ظهر لها ماء زمزم جعلت تحوضه، أي تجعله حوضاً يجتمع فيه الماء(١).

والمراد هو حوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والذي يكون في عرصات يوم القيامة، ولكل نبي حوض، يشرب منه هو وأمته، ويتباهى الأنبياء بأيهم أكثر وراداً، وأعظمها هو حوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والواردون عليه أكثر من غيره من الأنبياء عليهم السلام، كما جاء عن سمرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة**»(٢).

وفي حديث الإسراء عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «**...ثم مضى به في السماء، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده فإذا هو مسك أذفر، قال: ما هذا يا جبريل؟، قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك...**» (٣)

وحوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصب فيه من الكوثر، وهو نهر في الجنة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض قال: «... **يشخب فيه ميزابان من الجنة...**» (٤).

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٤١/٧، مادة (حوض).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرقاق والورع، باب ما جاء في صفة الحوض، ٦٢٨/٤، برقم ٢٤٤٣، وابن أبي عاصم في السنة، ٣٤١/٢، برقم ٧٣٤، والطبراني في الكبير، ٢١٢/٧، برقم ٦٨٨١، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١١٧/٤، وصحيح الجامع ٤٣١/١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ ١٤٩/٩، برقم ٧٥١٧.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وصفاته، ١٧٩٨/٤، برقم ٢٣٠٠.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكوثر نهر داخل الجنة ... ويأتي وماؤه يصب في الحوض ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه»[(١)].

والأدلة على ثبوت ذلك، من الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾[(٢)]

وذكر ما جاء في نزول سورة الكوثر، ما ورد عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله قال: «**أنزلت علي آنفا سورة**» فقرأ: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾ ثم قال: «**أتدرون ما الكوثر؟**» فقلنا الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب، إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك**»[(٣)].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾، قالت: «نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم، شاطئاه عليه در مجوف، آنيته كعدد النجوم»[(٤)]

وقد جاء وصفه على نحو يبعث الشوق للورود على النبي المختار عند حوضه، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لما عرج بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء، قال: «**أتيت على نهر، حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفا، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر**»[(٥)].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٤٦٦/١١.

(٢) سورة ق، آية: ٤١، ٤٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية ٣٠٠/١، برقم ٤٠٠

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾ ١٧٨/٦، برقم ٤٩٦٥.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾، ١٧٨/٦، برقم ٤٩٦٤.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدا**»(١).

وأول من يرد على الحوض هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما ثبت عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنا فرطكم**(٢) **على الحوض**»(٣)، لأن الفرط هو السابق.

وأول من يرد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، هم فقراء المهاجرين، كما جاء عن أبي سلام(٤)، قال: بعث إلي عمر بن عبد العزيز، فقدمت إليه، فلما دخلت عليه قال: ادنه ادنه، حتى كادت ركبتي تلزق بركبته، قال: حدثني حديث ثوبان في الحوض، قال: سمعت ثوبان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**حوضي ما بين عدن إلى عمان، أحلى من العسل، وأشد بياضا من اللبن، وأكوابه كنجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدا، وأول الناس علي ورودا فقراء المهاجرين، الشعث رؤوسا، الدنس ثيابا، الذين لا تفتح لهم أبواب السدد، ولا ينكحون المتنعمات، الذين يعطون كل الذي عليهم، ولا يعطون الذي لهم**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض. ١١٩/٨، برقم ٦٥٧٩.
(٢) الفرط، المتقدم في طلب الماء، ينظر: تهذيب اللغة ٢٢٥/١٣.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض. ١١٩/٨، برقم ٦٥٧٥.
(٤) ممطور الأسود الحبشي الأعرج الدمشقي ويقال النوبي، أبو سلام، ثقة يرسل، وقيل أن نسبته إلى بطن من حمير لا إلى الحبشه، ينظر: تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٩٦.
(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، باب ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: من أول من يرد عليه حوضه، ٣٤٧/٢، برقم ٧٤٧، وأبي عروبة في الأوائل، ١٢١/١، برقم ٩٩، والطبراني في الأوائل، ٦٧/١، برقم ٣٩، والطبراني في الكبير، ١٠٠/٢، برقم ١٤٤٣، والبيهقي في البعث والنشور، ١١٨/١، برقم ١٣٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٣١/٣.

المسألة الثالثة: أول ما يحاسب عليه، ويقضى فيه، يوم القيامة.

الإيمان باليوم الآخر كما تقرر في التوطئة لهذا المبحث؛ ركن من أركان الإيمان، الأمر الذي يجب على العبد المؤمن فيه أن يعتقد اعتقاداً جازماً لا ريب فيه بأنه سيقف بين يدي الله تعالى، ليُسأل عما قدمه في الدنيا من أعمال.

وقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة تقرر مسألة الحساب في ذلك اليوم، وأن كل نفس ستجازى بما عملت في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[1]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس أحد يحاسب إلا هلك» قالت: قلت: يا رسول الله جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قال: «**ذاك العرض يعرضون ومن نوقش الحساب هلك**»[2].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: « ويحاسب الله الخلق، ويخلو بعبده المؤمن، فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، وأما الكفار؛ فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته، وسيئاته فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم، وتحصى فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويجزون بها»[3].

وقد وردت الأخبار بتسمية أول ما يحاسب عليه العبد، وأول ما يقضى فيه يوم القيامة، فأما أول ما يحاسب عليه العباد يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، كما جاء عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته ، فإن كان أتمها كتبت له تامة،** ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ

---

(١) سورة غافر، آية:١٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، ١٦٧/٦، برقم٤٩٣٩

(٣) العقيدة الواسطية لابن تيمية ٩٨/١.

﴿ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾، وإن لم تكن تامة قال: انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع فأكملوه بما ضيع فريضته، ثم الزكاة، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك»[(١)].

وأما أول ما يقضى فيه يوم القيامة فكان في الدماء، كما ورد عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»[(٢)].

ومما سبق يتبين أن الأولية في الحساب متباينة، مع ثبوت صحة كلا الحديثين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف يمكن الجمع بينهما، ودفع ظاهر التعارض بينهما!

قال العراقي[(٣)]في شرح الترمذي: ولا يعارضه حديث الصحيح «إن أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء» لحمل الأول على حق الله تعالى على العبد، والثاني على حقوق الآدميين فيما بينهم.

فإن قيل: أيهما يقدم؟ فالجواب أن هذا أمر توقيفي، وظواهر الأحاديث دالة على أن الذي يقع أولا المحاسبة على حقوق الله تعالى قبل حقوق العباد.[(٤)]

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الأوائل، باب أول ما فعل ومن فعله، ٢٧١/٧، برقم ٣٦٠٠٨، واللفظ له، وأحمد في مسنده، ١٦٠/٢٧، برقم ١٦٦١٤، والدارمي في سننه، كتاب الصلاة، باب أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة، ٨٥٤/٢، برقم ١٣٩٥، عن تميم الداري به، وابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة، ٤٥٨/١، برقم ١٤٢٥، عن أبي هريرة بنحوه، والترمذي في سننه، أبواب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، ٢٦٩/٢، برقم ٤١٣، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الصلاة، المحاسبة على ترك الصلاة، ٢٠٥/١، برقم ٣٢١، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٢٠/٤، وصحيح الجامع ٥٠٣/١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾، ٢/٩، برقم ٦٨٦٤، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب المجازاة بالدماء في الآخرة، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، ١٣٠٤/٣، برقم ١٦٧٨.

(٣) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم، زين الدين، أبو الفضل العراقي، ولد سنة ٧٢٥هـ، اشتغل بعلم القراءات أولاً، ثم مال إلى علم الحديث فبرع فيه، مات سنة ٨٠٦هـ، ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢٩/٤، الضوء اللامع للسخاوي ١٧١/٤.

(٤) تكملة شرح الترمذي للعراقي، بواسطة رد المحتار لابن عابدين ٣٥١/١.

قال السندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذه الأولية في حقوق الله تعالى فلا يشكل بما جاء أنه يبدأ بالدعاء فإن ذلك في المظالم وحقوق الناس»[2].

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «(أول) بالرفع مبتدأ (ما يقضى) بضم أوله وفتح الضاد المعجمة مبنيا للمفعول في محل الصفة وما نكرة موصوفة والعائد الضمير في يقضى أي أول قضاء يقضى (بين الناس يوم القيامة في الدماء) وفي رواية بالدماء أي أول ما يحكم الله تعالى بين الناس يوم القيامة في متعلقات الدماء أو أول القضايا القضاء في الدماء أو أول ما يقضى فيه الأمر الكائن في الدماء وذلك لعظم مفسدة سفكها ولا يناقضه خبر أول ما يحاسب به العبد الصلاة لأن ذلك في حق الحق وذا في حق الخلق أي أن أول بمعنى من أول أو أول ما يحاسب به من الفرائض البدنية الصلاة ثم أول ما يحكم فيه من المظالم الدماء»[4].

وقد جاءت الأولية في المحاسبة على الصلاة، والقضاء في الدماء، مقترنة في حديث واحد، فعن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أول ما يحاسب به العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس في الدماء**»[5].

مما يدل على عدم التعارض كما تقرر آنفاً، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي، فقيه حنفي، أصله من السند ومولده فيها، وتوطن بالمدينة إلى أن توفي سنة ١١٣٨هـ، ينظر: الأعلام للزركلي ٢٥٣/٦.

(٢) كفاية الحاجة للسندي ٤٣٥/١.

(٣) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين، ولد سنة ٩٥٢هـ، عاش في القاهرة، وتوفي بها سنة ١٠٣١هـ، ينظر: الأعلام للزركلي٢٠٤/٦.

(٤) فيض القدير للمناوي ٨٩/٣.

(٥) أخرجه النسائي في سننه، كتاب تحريم الدم، ٨٣/٧، برقم ٣٩٩١، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٢٨/٤، برقم ١٧٤٨.

المسألة الرابعة: أول من يجيز الصراط يوم القيامة.

في عرصات يوم القيامة، ينادى ويؤمر بأن يلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، حتى لا يبقى إلا من كان يعبد الله مؤمناً كان أم فاسقاً، ثم يمد الصراط على متن جهنم، ليعبر عليه المؤمنون إلى الجنان، ويكردس المنافقون في النيران.

وجاء وصف الصراط بما تنخلع له القلوب، إذ سيأتي ذلك اليوم ويجد العبد نفسه أمام الصراط يتهيأ للسير عليه، فيا ويح من أبطأ به عمله، وتخلف عن السعداء، ويا فوز من عبر مع وفد الرحمن، إلى دار البقاء.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال:«... **ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم**»، قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «**مدحضة مزلة**[١]**، عليه خطاطيف**[٢]**وكلاليب**[٣]**، وحسكة**[٤] **مفلطحة**[٥] **لها شوكة عقيفاء، تكون بنجد، يقال لها: السعدان**...»

قال النووي: « ومعناه يمد الصراط عليها وفي هذا إثبات الصراط ومذهب أهل الحق إثباته وقد أجمع السلف على إثباته وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم أي منازلهم والآخرون يسقطون فيها»[٦].

وأما وصف المارين على الجسر، فقد تعددت أوصافهم، ففي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «...**المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم**

(١) أراد أنه تزلق عليه الأقدام فتزل ولا تثبت، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٣١٠.

(٢) الحديدة المعوجة كالكلوب يختطف بها الشيء، ويجمع على خطاطيف، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٤٩.

(٣) حديدة معوجة الرأس، ينظر: لسان العرب ١/٧٢٥.

(٤) والحسك من أدوات الحرب ربما اتخذ من حديد فصب حول العسكر، تهذيب اللغة ٤/٥٨.

(٥) أي فيها سعة وتدوير، غريب الحديث لابن الجوزي ٢/٢٠٦.

(٦) دقائق المنهاج للنووي ٣/٢٠.

يسحب سحبا، فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق، قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا، في إخوانهم، يقولون: ربنا إخواننا...»[(١)]

وأما أول من يجيز الصراط فهو خير خلق الله تعالى، عبدالله ورسوله، محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك لرفعة درجته بين الخلق، ومكانته عند فاطر السماء والأرض، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال أناس: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟... قال: «**فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس... ويضرب جسر جهنم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فأكون أول من يجيز ...**»[(٢)].

وأمته صلى الله عليه وآله وسلم، تبع له، فهي أفضل الأمم، وهي أول الأمم اجتيازاً للصراط، كما جاء في رواية مسلم: «...**ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز...**»

وأول من يجتاز من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، هم فقراء المهاجرين، كما جاء الخبر عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: «**إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة، بأربعين خريفاً**» قالوا: فإنا نصبر، لا نسأل شيئاً»[(٣)].

وكما ورد عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي**»، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أينفعك شيء إن حدثتك؟**» قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعود معه، فقال: «**سل**» فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، ١١٧/٨، برقم ٦٥٧٣.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، ١٢٩/٩، برقم ٧٤٣٩.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، ٢٢٨٥/٤، برقم ٢٩٧٩.

صلى الله عليه وآله وسلم: «**هم في الظلمة دون الجسر**» قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: «**فقراء المهاجرين**»...»[1].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل ، ١/٢٥٢، برقم ٣١٥.

المسألة الخامسة: أول من يجثو للخصومة يوم القيامة.

ورد ذكر الخصومة يوم القيامة في مواطن متعددة، وفي أحوال مختلفة، وسأذكر أنواع الخصومات التي وردت في القرآن الكريم، وطرفاً منها على سبيل المثال لا الحصر:

النوع الأول: خصومة الكفار مع آلهتهم التي عبدوها من دون الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء الغاوون والأنداد التي كانوا يعبدونها من دون الله وجنود إبليس، وهم في الجحيم يختصمون. ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ يقول: تالله لقد كنا في ذهاب عن الحق، إن كنا لفي ضلال مبين، يبين ذهابنا ذلك عنه عن نفسه، لمن تأمله وتدبره، أنه ضلال وباطل. وقوله: ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يقول الغاوون للذين يعبدونهم من دون الله: تالله إن كنا لفي ذهاب عن الحق حين نعدلكم برب العالمين فنعبدكم من دونه»[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[٣].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: وإذا رأى المشركون بالله يوم القيامة ما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة والأوثان وغير ذلك، قالوا: ربنا هؤلاء شركاؤنا في الكفر بك، والشركاء الذين كنا ندعوهم آلهة من دونك، قال الله تعالى ذكره (فألقوا) يعني: شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، القول، يقول: قالوا لهم: إنكم لكاذبون أيها المشركين، ما كنا ندعوكم إلى عبادتنا»[٤].

---

(١) سورة الشعراء، آية: ٩٤.
(٢) جامع البيان للطبري ١٧/ ٥٩٩.
(٣) سورة النحل، آية: ٨٦.
(٤) جامع البيان للطبري ١٤/ ٣٢٨.

النوع الثاني: خصومة الكفار بين بعضهم بعضاً.

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾[1].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قيله لهؤلاء المفترين عليه، المكذبين آياته يوم القيامة، يقول تعالى ذكره: قال لهم حين وردوا عليه يوم القيامة، ادخلوا، أيها المفترون على ربكم، المكذبون رسله، في جماعات من ضربائكم، ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم﴾، يقول: قد سلفت من قبلكم، ﴿مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ﴾، ومعنى ذلك: ادخلوا في أمم هي في النار، قد خلت من قبلكم من الجن والإنس، وإنما يعني بالأمم، الأحزاب وأهل الملل الكافرة ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا﴾، يقول جل ثناؤه: كلما دخلت النار جماعة من أهل ملة لعنت أختها، يقول: شتمت الجماعة الأخرى من أهل ملتها، تبريا منها، وإنما عنى بالأخت، الأخوة في الدين والملة، وقيل: أختها، ولم يقل: أخاها، لأنه عنى بها أمة وجماعة أخرى، كأنه قيل: كلما دخلت أمة لعنت أمة أخرى من أهل ملتها ودينها»[2].

ثم قال أيضاً في معنى الآية الثانية: «وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن محاورة الأحزاب من أهل الملل الكافرة في النار يوم القيامة، يقول الله تعالى ذكره: فإذا اجتمع أهل الملل الكافرة في النار فاداركوا، قالت أخرى أهل كل ملة دخلت النار الذين كانوا في الدنيا بعد أولى منهم تقدمتها وكانت لها سلفاً وإماماً في الضلالة والكفر لأولاها الذين كانوا قبلهم في الدنيا: ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيلك، ودعونا إلى عبادة غيرك، وزينوا لنا طاعة الشيطان، فآتهم اليوم من عذابك الضعف على عذابنا»[3].

---

(١) سورة الأعراف، آية:٣٨،٣٩.
(٢) جامع البيان للطبري ١٠/ ١٧٧.
(٣) المصدر نفسه ١٤/ ١٧٨.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: « يخبر تعالى عن تحاج أهل النار في النار، وتخاصمهم، وفرعون وقومه من جملتهم ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ﴾ وهم: الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهم: القادة والسادة والكبراء: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾أي: أطعناكم فيما دعوتمونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ أي: قسطا تتحملونه عنا، ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا ﴾ أي: لا نتحمل عنكم شيئا، كفى بنا ما عندنا، وما حملنا من العذاب والنكال»[2].

النوع الثالث: خصومة المؤمنين مع الكفار.

قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ سورة الزمر، آية: ٣٠، ٣١.

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: إنك يا محمد ميت عن قليل، وإن هؤلاء المكذبيك من قومك والمؤمنين منهم ميتون ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ يقول: ثم إن جميعكم المؤمنين والكافرين يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيأخذ للمظلوم منكم من الظالم، ويفصل بين جميعكم بالحق»[3].

وأما الحديث عن أول الخصومات التي ستقع يوم القيامة على الإطلاق، فهي الخصومة الواقعة بين المؤمنين والكافرين، وذلك لأن جميع الخصومات الواردة بين الكفار وبين آلهتهم، أو بين الكفار وبعضهم البعض، فإنما تكون وهم في النار، ويكون أهل الجنة

(١) سورة غافر، آية:٤٧، ٤٨.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ١٤٩.
(٣) جامع البيان للطبري ٢٠/ ٢٠٠.

في الجنة، ولا تلاقي بينهم، وكذلك لحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة»، وقال قيس وفيهم نزلت ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ قال: «هم الذين بارزوا يوم بدر علي، وحمزة، وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة»[1].

قال ابن حجر رحمه الله: « والمراد بهذه الأولية تقييده بالمجاهدين من هذه الأمة لأن المبارزة المذكورة أول مبارزة وقعت في الإسلام»[2].

والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾، ٦/٩٨، برقم ٤٧٤٤

(٢) فتح الباري لابن حجر ٧/ ٢٩٧.

المسألة السادسة: أول شافع وأول مشفع.

الشفع في اللغة: الزيادة، وهو أن يشفعك فيما تطلب حتى تضمه إلى ما عندك فتزيده وتشفعه بها، أي تزيده بها، أي إنه كان وترا واحدا فضم إليه ما زاده وشفعه به[١].

وفي الشافع قال شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والشافع الذي يعين غيره، فيصير معه شفعا بعد أن كان وتراً»[٢].

والشفاعة منها ماهو متعلق بأمور الدنيا، وهذه منها ماهو حسن، ومنها ما هو سيء، كما قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾[٣].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء**»[٤].

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: « فالشفاعة الحسنة إعانة على خير يحبه الله ورسوله، من نفع من يستحق النفع، ودفع الضر عمن يستحق دفع الضرر عنه، والشفاعة السيئة إعانته على ما يكرهه الله ورسوله، كالشفاعة التي فيها ظلم الإنسان، أو منع الإحسان الذي يستحقه»[٥].

ومن الشفاعة ماهو متعلق بأمور الآخرة –وهي المرادة هنا– فمنها شفاعة مثبتة، ومنها شفاعة منفية.

فالشفاعة المثبتة تكون لأهل التوحيد، بشرط الإذن للشافع والرضى عن المشفوع، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[٦] .

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ١/٢٧٨، مادة (شفع).

(٢) الإيمان لابن تيمية ١/٥٦.

(٣) سورة النساء، آية:٨٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب، باب التحريض على الصدقة، ٢/١١٣، برقم ١٤٣٢.

(٥) الإيمان لابن تيمية ١/٥٦.

(٦) سورة طه، آية:١٠٩.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلامه عن الشفاعة المثبتة: « فتلك الشفاعة هي لأهل الإخلاص بإذن الله ليست لمن أشرك بالله ولا تكون إلا بإذن الله، وحقيقته أن الله هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص والتوحيد فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافع الذي أذن له أن يشفع ليكرمه بذلك وينال به المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون صلى الله عليه وآله وسلم كما كان في الدنيا يستسقي لهم ويدعو لهم، وتلك شفاعة منه لهم فكان الله يجيب دعاءه وشفاعته»[1].

والشفاعة المنفيه عن أهل الشرك، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾[2].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلامه عن الشفاعة المنفية: «فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن»[3].

والشفاعة المثبتة يوم القيامة قسمان[4]، وهما:

١/ **الشفاعة الخاصة**، وهي خاصة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الأولى: الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود.

الثانية: الشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

الثالثة: الشفاعة في عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبي طالب، أن يخفف عنه العذاب.

٢/ **الشفاعة العامة**، وهي عامة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولغيره من المؤمنين.

الأولى: الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها.

الثانية: الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها.

الثالثة: الشفاعة في رفع درجات المؤمنين من أهل الجنة.

---

(١) الإيمان لابن تيمية ١/٦٧.
(٢) سورة الأنعام، آية: ٥١.
(٣) الإيمان لابن تيمية ١/٦٦.
(٤) ينظر: القول المفيد لابن عثيمين ١/٣٣١.

وأما الأولية في الشفاعة، فأول تلك الشفاعات، هي الشفاعة العظمى، وهي لفصل القضاء، وتكون في أول موطن من عرصات يوم القيامة، فعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنا سيد ولد آدم، ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشفع، ولا فخر، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة، ولا فخر**»[(١)]

وجاء أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «**أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبيا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد**»[(٢)]

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من أوائل المسائل المتعلقة بالعرصات:

١. ذكر أن أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢. ذكر أن أول من يرد الحوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم فقراء المهاجرين من أمته.

٣. ذكر أن أول من يجتاز الصراط النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم فقراء المهاجرين من أمته.

٤. بيان عظم الصلاة، فهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، في ما يتعلق بحقوق الرب تبارك وتعالى.

٥. بيان عظم التعدي على الدماء المعصومة، فهي أول ما يقضى فيه يوم القيامة، في ما يتعلق بحقوق العباد.

٦. بيان كذب الرافضة في أن الخصومة كانت بين أهل البدر، وأولهم من كان في العريش مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيقصد الرافضة أن الخصومة تكون بين علي وأبي بكر رضي الله عنهما أجمعين.

٧. الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها[(١)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، ٣٦٢/٥، برقم ٤٣٠٨، والترمذي في سننه ١٥/٦، برقم ٣٦١٦، وصححه الألباني في ظلال الجنة ٣٧٠/٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب «أنا أول الناس يشفع»، ١٨٨/١، برقم ١٩٦.

٨. ذكر أنواع الخصومات يوم القيامة، وأول من يجثو للخصومة.

٩. ذكر أنواع الشفاعات يوم القيامة، وأول شافع ومشفع، وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١/٢٨٦.

المطلب الرابع: أوائل المسائل المتعلقة بالجنة.

الجنة هي سلعة الرحمن، وما أعده الله من نزل للمؤمنين المتقين الأبرار يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[٣].

وهي الجزاء العظيم التي وعد الرحمن عباده إن هم أطاعوه، قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴾[٤]، وكما قال تعالى: ﴿ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴾[٥].

وفي وصفها، وما أعده الله لأهلها وهم عباد الله الصالحون، فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين»[٦]

وأما أوائل المسائل المتعلقة بالجنة، فقد جعلتها في ثلاث مسائل وهي:

المسألة الأولى: أول من يقرع باب الجنة.

المسألة الثانية: أول من يدخل الجنة.

المسألة الخامسة: أول طعام أهل الجنة.

---

(١) سورة آل عمران، آية:١٩٨.

(٢) سورة الكهف، آية:١٠٧.

(٣) سورة السجدة، آية:١٩.

(٤) سورة مريم، آية:٦١.

(٥) سورة فصلت، آية: ٣٠-٣٢.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ١١٨/٤، برقم ٣٢٤٤.

المسألة الأولى: أول من يقرع باب الجنة.

ثبت أن للجنة أبواب، ويدخل المؤمنون الجنة يوم القيامة منها، كما قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾[1]، وكما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة**»[2].

وأبوابها ثمانية، كما جاء عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء**»[3].

ولأبوابها أسماء، كما جاء عن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون**»[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة**»[5].

وفي وصف أبواب الجنة، وسعة عرضها، جاء في الحديث : «**فيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى**»[1].

---

(١) سورة الزمر، آية:٧٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب هل يقال رمضان، ٢٥/٣، برقم ١٨٩٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان، ٥٧/١، برقم ٢٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب الجنة، ١١٩/٤، برقم ٣٢٥٧.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، ٢٥/٣، برقم ١٨٩٧.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ١٨٤/١، برقم ١٩٤.

وأما الأولية في من يقرع باب الجنة، فهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « **أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة** »[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها**»[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك**»[٣].

قال المناوي رحمه الله: « (فأستفتح) السين للطلب وآثر التعبير بها إيماء إلى القطع بوقوع مدخولها وتحققه؛ أي أطلب انفراجه وإزالة غلقه يعني بالقرع لا بالصوت ... والفاء سببية أي يتسبب عن الإتيان الاستفتاح، ويحتمل جعلها للتعقيب بل هو القريب، فإن قلت ما وجهه؟ قلت: الإشارة إلى أنه قد أذن له من ربه بغير واسطة أحد لا خازن ولا غيره، وذلك أن من ورد باب كبير، فالعادة أن يقف حتى ينتهي خبره إليه ويستأمر فإن أذن في إدخاله فتح له، فالتعقيب إشارة إلى أنه قد صانه ربه عن ذل الوقوف وأذن له في الدخول قبل الوصول بحيث صار الخازن مأموره منتظراً لقدومه»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب:«أنا أول الناس يشفع»، ١/١٨٨، برقم ١٩٦.
(٢) أخرجه الدارمي في سننه، باب ما أعطي النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الفضل، ١/١٩٧، برقم ٥١، والآجري في الشريعة ٤/١٥٩٤، برقم ١٠٧٩، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/٩٧.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب:«أنا أول الناس يشفع»، ١/١٨٨، برقم ١٩٧.
(٤) فيض القدير للمناوي ١/٣٥.

المسألة الثانية: أول من يدخل الجنة.

وعد الله عز وجل عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم، بأن يدخلهم الجنة رحمةً منه وفضلاً، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1]، وتكون درجاتهم بحسب ما قدموا من أعمال صالحة، كما قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2].

فعندما يجاوز المؤمنون الصراط يوم القيامة، يحبسوا على القنطرة للقصاص، وينزع الغل من صدورهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾[3].

فإذا هذبوا صلحوا لدخول الجنة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا**»[4].

وقد وردت الأولية متعددة في أول من يدخل الجنة، فمن ذلك الأولية في ذكر وصف أول زمرة تدخل الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة الأنجوج، عود الطيب**

---

(١) سورة هود، آية:٢٣.

(٢) سورة الزخرف، آية:٧٢.

(٣) سورة الحجر، آية:٤٥-٤٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، ٨/١١١، برقم ٦٥٣٥.

وأزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعا في السماء»[١].

وكذلك الأولية في ذكر أول الأمم دخولاً الجنة، وهي أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه، هدانا الله له – قال: يوم الجمعة – فاليوم لنا، وغدا لليهود، وبعد غد للنصارى**»[٢].

وكذلك الأولية في ذكر أول من يدخل الجنة من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاصي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «**أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون، الذين تسد بهم الثغور، ويتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره، لا يستطيع لها قضاء فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك، وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم؟ قال: إنهم كانوا عبادا يعبدوني، لا يشركون بي شيئا، وتسد بهم الثغور، ويتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم، وحاجته في صدره، لا يستطيع لها قضاء قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب** ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾[٣]»[١].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم، ١٣٢/٤، برقم ٣٣٢٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، ٥٨٥/٢، برقم ٨٥٥.

(٣) سورة الرعد، آية:٢٤.

(١) أخرجه احمد في مسنده، ١٣١/١١، برقم ٦٥٧٠، والبزار في مسنده، ٤٢٦/٦، برقم ٢٤٥٧، والآجري في الشريعة، ١٦٤٢/٤، برقم ١١١٩، والبيهقي في البعث والنشور، ٢٤٣/١، برقم ٤١٤، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٣١/٣.

ولكن أول من يدخل الجنة على الإطلاق هو خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم، فهو أول من يقرع باب الجنة كما صح ذلك عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « **أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة** »[(١)]، وإذا كان هو أول من يقرع باب الجنة، فمفهومه أنه أول من يدخل الجنة.

قال ابن بطال رحمه الله: « ولا أحد يتقدم النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى دخول الجنة ولايسبقه إليها، وقد قال: **أنا أول من يقرع باب الجنة**»[(٢)].

ولحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إني لأول الناس تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة، ولا فخر، وأعطى لواء الحمد، ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة، ولا فخر**»[(٣)].

قال ابن كثير رحمه الله: « ذكر أول من يدخل الجنة، وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الأنبياء كلهم ثم أمته قبل الأمم»[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه ص: ٢٩٠.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ٤٠٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٤٥١/١٩، برقم ١٢٤٦٩، والدارمي في سننه ١٩٨/١، برقم ٥٣، وابن خزيمة في التوحيد ٢/ ٧١٠، والبيهقي في شعب الإيمان ٧٤/٣، برقم ١٤٠٩، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/ ١٠٠، برقم ١٥٧١: « وسنده جيد، رجاله رجال الشيخين»

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٢٠/ ٤١٠.

المسألة الثالثة: أول طعام وشراب أهل الجنة.

الجنة هي دار النعيم المقيم، فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، قال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[(١)]، وكل ذلك بلا كد ولا نصب ولا تعب ولا حزن، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[(٢)]، تجري من تحتهم الأنهار على مختلف أنواعها، قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[(٣)]، ولهم ما يشتهون فيها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[(٤)].

وأول طعام أهل الجنة زيادة كبد الحوت، كما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزلا لأهل الجنة» فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: «بلى» قال: تكون الأرض خبزة واحدة، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: إدامهم بالام ونون، قالوا: وما هذا؟ قال: ثور ونون، يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا**»[(١)].

---

(١) سورة الزخرف، آية: ٧١.

(٢) سورة فاطر، آية: ٣٥،٣٤.

(٣) سورة محمد، آية: ١٥.

(٤) سورة المرسلات، آية: ٤١-٤٣.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض ، ١٠٨/٨، برقم ٦٥٢٠.

وقد رواه البخاري في صحيحه بالمعنى فقال: وعن أبي سعيد، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**أول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد حوت**»[١]، كما ذكر ذلك ابن حجر[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: «قوله نزلا لأهل الجنة النزل بضم النون وبالزاي وقد تسكن ما يقدم للضيف وللعسكر يطلق على الرزق وعلى الفضل ويقال أصلح للقوم نزلهم أي ما يصلح أن ينزلوا عليه من الغذاء وعلى ما يعجل للضيف قبل الطعام وهو اللائق هنا»[٣].

وجاء ذكر أول تحفتهم، وأول غذاؤهم، وأول شرابهم، في حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود، وفيه: «... قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: «**فقراء المهاجرين**» قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «**زيادة كبد النون**»، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «**ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها**» قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «**من عين فيها تسمى سلسبيلا**» قال: صدقت...»[٤].

قال ابن حجر رحمه الله: «وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت الزيادة هي القطعة المنفردة المعلقة في الكبد وهي في المطعم في غاية اللذة ويقال إنها أهنأ طعام وأمرأه، ووقع في حديث ثوبان أن تحفتهم حين يدخلون الجنة زيادة كبد النون والنون هو الحوت ويقال هو الحوت الذي عليه الأرض، والإشارة بذلك إلى نفاذ الدنيا في حديث ثوبان زيادة، وهي أنه ينحر لهم عقب ذلك نون الجنة الذي كان يأكل من أطرافها وشرابهم عليه من عين تسمى سلسبيلا»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ١١٣/٨.
(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر ٤١٩/١١.
(٣) المصدر نفسه ٣٧٣/١١.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل، ٢٥٢/١، برقم ٣١٥.
(٥) فتح الباري لابن حجر ٢٧٣/٧.

المطلب الخامس: أوائل المسائل المتعلقة بالنار.

النار هي عذاب الله الذي أعده للمكذبين برسله، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾[(١)]، وقد وعد الله أنه سيدخل الكفار النار، قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[(٢)].

وجاء في كيفية دخولهم النار، قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[(٥)].

وفي وصفها، جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»[(٦)]

وأما أوائل المسائل المتعلقة بالنار، فقد جعلتها في مسألتين وهي:

المسألة الأولى: أول من يكسى حلة من النار.

المسألة الثانية: أول من تسعر بهم النار.

---

(١) سورة آل عمران، آية:١٣١.

(٢) سورة الحج، آية:٧٢.

(٣) سورة القمر، آية:٤٨.

(٤) سورة الفرقان، آية:٣٤.

(٥) سورة النمل، آية:٩٠.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب صفة القيامة،باب في شدة حر نار جهنم،٤/ ٢١٨٤،برقم٢٨٤٢

المسألة الأولى: أول من يكسى حلة من النار.

إبليس اللعين، طغى وتجبر، وعلى الله تكبر، فظن ظناً فاسداً، أنه خير من آدم عليه السلام، فلم يستجب لأمر الله إذ قال له اسجد، فكان مصيره الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾[١].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: فلما خلق الله ذلك البشر، ونفخ فيه الروح بعد أن سواه، سجد الملائكة كلهم جميعا، إلا إبليس، فإنه أبى أن يكون مع الساجدين في سجودهم لآدم حين سجدوا، فلم يسجد له معهم تكبرا وحسداً وبغياً»[٢].

وقد ورد أن إبليس هو أول من يكسى حلة من النار، جزاءً وفاقاً، لكبره وبغيه وتجبره وعصيانه لرب العالمين، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أول من يكسى حلة من النار إبليس، يضعها على حاجبيه، وهو يسحبها من خلفه، وذريته من خلفه، وهو يقول: يا ثبوراه، وهم ينادون: يا ثبورهم، حتى يقف على النار، فيقول: يا ثبوره، فينادون: يا ثبورهم، فيقال: ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا﴾[٣]»[٤].

والله تعالى أعلى وأعلم

---

(١) سورة الحجر، آية:٣٢-٣٦.

(٢) جامع البيان للطبري ١٤/ ٦٦.

(٣) سورة الفرقان، آية:١٤.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٢٩/٢٠، برقم ١٢٥٦٠، والبيهقي في البعث والنشور ٣٢٣/١، برقم ٥٩٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٩٢/١٠: «ورجالهما رجال الصحيح غير علي بن زيد، وقد وثق»، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ٢٨٠/٣، لضعف علي بن زيد.

المسألة الثانية: أول من تسعر بهم النار.

خلق الله الخلق لعبادته وحده، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]، أي لتوحيده سبحانه وتعالى توحيداً خالصاً من أي شوائب كالرياء ونحوه، التي تفسد على المؤمن عمله، التي ينبغي أن تكون خالصة لوجه الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[2].

والرياء خطره عظيم، فكان النبي صلى الله عليه وسلم أخوف ما يخاف على أمته الشرك الأصغر، وهو الرياء، فعن محمود بن لبيد رضي الله عنه[3]، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة: إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**»[4].

فمن أراد الدنيا بعمل الآخرة، استوفى أجره في الدنيا ولم يبق له شيء في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة الذاريات، آية:٥٦.

(٢) سورة الأنعام، آية:١٦٢، ١٦٣.

(٣)محمود بن لبيد بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، الأنصاريّ، الأوسي، الأشهليّ، أبو نعيم المدني، صحابي صغير، وجل روايته عن الصحابة، مات سنة ٩٦ وقيل سنة ٩٧ وله ٩٩ سنة، ينظر: الإستيعاب ٣/ ١٣٧٨، أسد الغابة ٤/ ٣٤١، الإصابة ٣٥/٦.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩/٣٩، برقم ٢٣٦٣٠، والطبراني في الكبير ٢٥٣/٤، برقم ٤٣٠١، والبيهقي في شعب الإيمان ١٥٤/٩، برقم ٦٤١٢، والبغوي في شرح السنة ٣٢٤/١٤، برقم ٤١٣٦، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ٦٣٤/٢: «وهذا إسناد جيد، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير محمود بن لبيد، فإنه من رجال مسلم وحده، قال الحافظ: «وهو صحابي صغير، وجل روايته عن الصحابة» .

(١) سورة هود، آية:١٥، ١٦.

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: من كان يريد بعمله الحياة الدنيا، وإياها وزينتها يطلب به، نوف إليهم أجور أعمالهم فيها وثوابها ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ يقول: وهم في الدنيا، ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾، يقول: لا ينقصون أجرها، ولكنهم يوفونه فيها»[(١)].

ولعظم أمر الإخلاص لله تعالى، فإن أول من تسعر بهم النار المفرطون به، ممن كان أمرهم عند الناس ظاهر، وهم ثلاثة، كما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: إن فلانا قارئ فقد قيل ذاك، ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال: فلان جواد فقد قيل ذاك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله، فيقول الله له: في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله تعالى له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جريء ، فقد قيل ذاك**»، ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ركبتي فقال: «**يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة**»[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « وسمعتُ شيخ الإسلام يقول: كما أنّ خير الناس الأنبياء، فشرّ الناس من تشبّه بهم من الكذّابين، وادّعى أنه منهم، وليس منهم، فخير الناس بعدهم

(١) جامع البيان للطبري ١٢/ ٣٤٦.

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٤/٥٩١، برقم ٢٣٨٢، والحاكم في مستدركه ١/٥٧٩، برقم ١٥٢٧، وابن حبان في صحيحه ٢/١٣٥، برقم ٤٠٨، والنسائي في السنن الكبرى ١٠/٣٩٥، برقم ١١٨٢٤، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ٥/٣٨٢.

العلماء والشهداء والمتصدقون المخلصون، فشرّ الناس من تشبّه بهم، يوهم أنه منهم، وليس منهم»[1].

(١) الداء والدواء لابن القيم ١/٧٣.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الإيمان بالقضاء والقدر.

قبل الشروع في الحديث عن الأولية في الإيمان بالقضاء والقدر، وأهمية الإيمان به، يحسن بنا معرفة المعنى اللغوي والشرعي للإيمان بالقضاء والقدر.

أولاً: تعريف القدر في اللغة والإصطلاح:

قال ابن فارس: «القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقدر: مبلغ كل شيء، يقال: قدره كذا، أي مبلغه، وكذلك القدر، وقدرت الشيء أقدره وأقدره من التقدير، وقدرته أقدره، والقدر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو القدر أيضا» [(١)]، قال في القدر:

خل الطريق لمن يبني المنار به   وابرز ببرزة حيث اضطرك القدر[(٢)]

وأما المعنى الإصطلاحي للقدر، فقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « والمراد أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين إلى أن حدثت بدعة القدر في أواخر زمن الصحابة» [(٣)].

ثانياً: تعريف القضاء في اللغة والإصطلاح:

قال ابن فارس: «القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته، قال الله تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾[(١)]، أي أحكم خلقهن.

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٦٢/٥، مادة (قدر).

(٢) ديوان جرير ٢١١/١.

(٣) فتح الباري لابن حجر ١١٨/١.

(١) سورة فصلت، آية:١٢.

ثم قال أبو ذؤيب[١]:

وعليهما مسرودتان قضاهما   داود أو صنع السوابغ تبع[٢]

والقضاء: الحكم، قال الله سبحانه في ذكر من قال: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾[٣]، أي اصنع واحكم»[٤].

والإيمان بالقدر خيره وشره، هو الركن السادس من أركان الإيمان، الذي لا يصح إيمان العبد إلا به، كما جاء في حديث جبريل عليه السلام المشهور: «**قال: فأخبرني عن الإيمان، قال:أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[٥].

قال ابن منظور: « فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه»[٦].

وللقدر أربع مراتب، يجب الإيمان بها جميعها[١]، وهي:

المرتبة الأولى: العلم، والدليل قوله تعالى: ﴿**أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ**﴾[٢].

---

(١) خويلد بن خالد بن محرّث بن مخزوم، أبو ذؤيب الهذلي، الشاعر المشهور، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم، توفي في عهد عثمان رضي الله عنه، وأختلف في موضع وفاته، ينظر: الاستيعاب ٤/ ١٦٤٨، أسد الغابة ٥/ ١٠٢، الإصابة ٧/ ١١٠.

(٢) ديوان الهذليين ١/ ١٩.

(٣) سورة طه، آية:٧٢.

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس ٩٩/٥، مادة (قضى).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام، ٣٦/١، برقم ٨.

(٦) لسان العرب لابن منظور ١٨٦/١٥.

(١) القول المفيد لابن عثيمين ٤٠٣/٢، باختصار.

(٢) سورة الحج، آية:٧٠.

المرتبة الثانية: الكتابة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1].

المرتبة الثالثة: المشيئة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾[2].

المرتبة الرابعة: الخلق، والدليل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[3].

والتفقه في الدين قد ندب إليه الشارع الحكيم، وأولى ذلك ماكان في أصول الدين، ومنها الإيمان بالقضاء والقدر، الذي هو أحد أركان الإيمان.

والتفقه فيه يكون بمعرفة مراتبه، وأقسامه، ونحو ذلك، أما ما يتجاوز حدود العقل البشري، فذلك الذي نهي عنه[4]، فعن ثوبان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا**»[5].

وفي ذلك يقول الطحاوي رحمه الله: « وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[1]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب، كان من الكافرين»[2].

---

(١) سورة الأنعام، آية:١١٢

(٢) سورة الأنعام، آية:٥٩

(٣) سورة الزمر، آية:٦٢

(٤) ينظر: الإيمان بالقضاء والقدر لمحمد الحمد ١/١٤.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ٩٦/٢، برقم ١٤٢٧، والبيهقي في القضاء والقدر ٢٩١/١، برقم ٤٤٤، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٧٥/١.

(١) سورة الأنبياء، آية:٢٣

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٣٢٠/١.

وأما المسائل العقدية المتعلقة بالأوائل في الإيمان بالقضاء والقدر فقد جعلتها في مطلبين وهي:

المطلب الأول: أول من يعلم بموت العبد.

المطلب الثاني: أول من تكلم بالقدر.

المطلب الأول: أول من يعلم بموت العبد.

استأثر الله تعالى بعلم الغيب، فلم يظهر عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾[1].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني بعالم الغيب، عالم ما غاب عن أبصار خلقه، فلم يروه فلا يظهر على غيبه أحدا، فيعلمه أو يريه إياه إلا من ارتضى من رسول، فإنه يظهره على ما شاء من ذلك»[2].

ومفاتح الغيب خمس، كما جاء عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «مفاتيح الغيب خمس، لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»[3].

كما قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[4].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويعني بقوله: وعنده مفاتح الغيب، خزائن الغيب»[1].

---

(١) سورة الجن، آية:٢٦-٢٨.

(٢) جامع البيان للطبري ٢٣/ ٣٥١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾، ٩/١١٦، برقم ٧٣٧٩.

(٤) سورة الأنعام، آية:٥٩.

(١) جامع البيان للطبري ٩/ ٢٨٢.

وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها؛ فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب، ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾[2]، وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه الله تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى، أو شقيا أو سعيدا علم الملائكة الموكلون بذلك، ومن شاء الله من خلقه، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدا في دنياها وأخراها، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ ﴾[3]، في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك. وهذه شبيهة بقوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾[4]، وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس: مفاتيح الغيب»[5].

ومما أستأثر الله به من مفاتح الغيب الخمس، قدر الله في أجل العبد، فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل، حتى يقضي الله أجلاً كان مفعولا، فإذا حان القضاء، وختم على عمله، علمت الحفظة بأجل العبد، وهم أول من يعلم بموت العبد، كما جاء عن عقبة بن عامر الجهني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[1]، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما من عمل يوم إلا وهو يختم**

---

(١) سورة لقمان، آية:٣٤.

(٢) سورة الأعراف، آية:١٨٧.

(٣) سورة لقمان، آية:٣٤.

(٤) سورة الأنعام، آية:٥٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٥٢/٦.

(١) عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي الجهني، صحابي مشهور، كان قارئا عالما بالفرائض والفقه، شاعرا كاتبا، وهو أحد من جمع القرآن، توفي في خلافة معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ينظر: الاستيعاب ١٠٧٣/٣، أسد الغابة ٣/ ٥٥٠، الإصابة ٤/ ٤٢٩.

عليه ولا ليلة إلا وهو يختم عليها حتى إذا حيل بين العبد وبين العمل قال الحفظة: يا ربنا هذا عمل عبدك قبل أن يحال بينه وبين العمل وأنت أعلم به»[١].

وقد جاء بلفظ الأولية، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه : «**إن أول من يعلم بموت العبد الحافظ لأنه يعرج بعمله وينزل برزقه فإذا لم يخرج رزق علم أنه ميت»**[٢].

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ٤/٢٨٩، برقم ٧٦٦٩، قال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ٤/٢٨٩، برقم ٧٦٦٩، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

المطلب الثاني: أول من تكلم بالقدر.

لقد كان السلف الصالح على بينة من الأمر، يسيرون على هدي الكتاب والسنة، فلم يخوضوا في مسائل نهوا عنها، طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[1]، وعن ثوبان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا**»[2].

والعرب في الجاهلية والإسلام، لم يكونوا ينكروا القدر، فالفطرة سليمة، فها هو الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى، يقول:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم[3]

ولكنهم في بعض الأحيان، يخبطون خبط عشواء للجاهلية التي كانوا فيها، كقوله:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطي يعمر فيهرم[4]

قوله:خبط عشواء، وهي الناقة التي في بصرها ضعف تخبط إذا مشت لا تتوقى شيئا، فيقول: رأيت المنايا تخبط الخلق خبط العشواء من الإبل، وهي التي لا تبصر، فهي تخبط الكل لا تبقي على أحد، فممن خبطته المنايا من تميته، ومنهم من تعله فيبرأ والهرم غايته ثم الموت، وهذا باطل[1].

ثم جاء الإسلام، فهذب فطرهم بالهدى والنور المبين، فاتبعوا الرسول الأمين، حتى دخل في الإسلام العجم، فوافقت العجمى غلاً في الصدور، فاتخذوا دين الله دغلا، فصاح الصائح من البصرة، أن أن لا قدر، وأن الأمر أنف، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ

---

(١) سورة الإسراء، آية:٣٦.

(٢) سبق تخريجه ص:٣٠٣.

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى ص:٢٥

(٤) المصدر نفسه ص:٩٩

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور ٢٨١/٧، مادة (خبط).

﴿وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾[١]، اللهم إنا نبرأ من ذلك، كما تبرأ منهم ابن عمر رضي الله عنهما.

فعن يحيى بن يعمر[٢]، قال: **كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني،** فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري[٣] حاجين – أو معتمرين – فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، قال: «**فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني**»، والذي يحلف به عبد الله بن عمر «**لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا، فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر**» ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**»، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه**

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٠.

(٢) يحيى بن يعمر البصري، أبو سليمان العدواني، نزيل مرو وقاضيها، ثقة فصيح، وكان يرسل، مات قبل المائة وقيل بعدها، ينظر: تقريب التهذيب ١/ ٥٩٨، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤١.

(٣) حميد بن عبد الرحمن الحميري البصري، تابعي فقيه ثقة، ينظر: تقريب التهذيب ١٨٢/١، سير أعلام النبلاء ٢٩٣/٤.

فإنه يراك»، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**» قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**»، قال: ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال لي: «**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»(١).

فهذه بدعة القدرية التي حدثت في أواخر زمن الصحابة، فأنكرها الصحابة لما بلغتهم المقالة، وشددوا في ذلك، فعن أبو الزبير المكي(٢)، قال: كنت أنا، وطاووس(٣) نطوف بالبيت مع طاووس، فذكر أن معبدا الجهني تكلم في القدر، وكان أول من تكلم في القدر، فعدلت إليه، فقال له طاووس: أنت المفتري على الله؟ فقال: إنه يكذب علي، قال: فانصرفنا إلى عبد الله بن عباس، فذكرنا ذلك له، فقال ابن عباس: «**أروني منهم إنسانا، فوالله لا ترونيه إلا جعلت يدي في رأسه، فلا أفارقه حتى أدق عنقه**»(٤).

أما سلسلة هذه البدعة، فقد أوردها الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: «أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن(١)كان نصرانيا، فأسلم ثم تنصر وأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، ١/٣٦، برقم ٨.

(٢) محمد بن مسلم بن تدرس، أبو الزبير القرشي، الأسدي، المكي، مولى حكيم بن حزام، صدوق إلا أنه يدلس، مات سنة ١٢٦هـ، ينظر: تقريب التهذيب ١/ ٥٠٦، سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨٠.

(٣) طاووس بن كيسان الفارسي،أبو عبد الرحمن الفارسي، الحميري مولاهم، ثم اليمني، يقال اسمه ذكوان وطاوس لقب، ثقة فقيه فاضل، كان من أبناء الفرس الذين جهزهم كسرى لأخذ اليمن له، مات سنة ١٠٦هـ، وقيل بعدها ، ينظر: تقريب التهذيب ١/ ٢٨١، سير أعلام النبلاء ٥/٣٨.

(٤) أخرجه الفريابي في القدر ١/٢٠٥، برقم ٢٦٤.

(١) سوسن أو سيسويه أو سنسويه، أسماء لرجل واحد.

(٢) أخرجه الفريابي في القدر ١/٢٤٠، برقم ٣٤٨، والآجري في الشريعة ٢/٩٥٩، برقم ٥٥٥، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/٨٢٧، برقم ١٣٩٨، وابن بطه في الإبانة ٤/٢٩٨، برقم ١٩٥٤.

وعن ابن عون، قال: «أدركت الناس، وما يتكلمون إلا في علي، وعثمان حتى نشأ هاهنا حقير يقال له: سنسويه البقال»، قال: «فكان أول من تكلم في القدر»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذا القدر هو الذي أنكره القدرية، الذين كانوا في أواخر زمن الصحابة، وقد روي أن أول من ابتدعه بالعراق رجل من أهل البصرة يقال له: سيسويه من أبناء المجوس وتلقاه عنه معبد الجهني»[(٢)].

ويتضح مما سبق أن أول من نطق بالقول في القدر هو المسمى سوسن الأسواري، وأول من نشرها وأظهرها وعرفت عنه هو معبد الجهني، فنسبت إليه.

---

(١) أخرجه الفريابي في القدر ٢٦٢/١، برقم ٤٠٨، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٨٢٦/٤، برقم ١٣٩٦، وابن بطه في الإبانة ٢٩٨/٤، برقم ١٩٥٣.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٨٤/٧.

الفصل الرابع:

المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الصحابة والإمامة والفرق

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الصحابة

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الإمامة

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في أصول الفرق

المبحث الأول : المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الصحابة.

قبل الشروع في الحديث عن الأولية في المسائل العقدية المتعلقة بالصحابة، يحسن بنا معرفة المعنى اللغوي والاصطلاحي للصحابة، وبيان طرف من فضلهم رضي الله عنهم .

التعريف اللغوي:

الصاحب، يجمع صحب و صحباناً وصحبةً وصحاباً وصحابةً، وكل شيء لائم شيئا فقد استصحبه، وأصحبت الرجل أي انقدت له، والصحبة تدور حول معنى المقارنة والمقاربة مع الانقياد(١).

التعريف الشرعي:

جاءت التعاريف الشرعية متباينة في تقييد التعريف الشرعي، فمنهم من قيده بالمجالسة، والبعض أخرج من أرتد ثم عاد إلى الإسلام ولم يرى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أخرج الصغير الذي لم يبلغ، وهكذا (٢).

ولعل تعريف ابن حجر رحمه الله من أشمل التعاريف لأنه كما قال مبني على الأصح عند الإمامين أحمد بن حنبل والبخاري رضي الله عنهما ، فقال في تعريفه : «الصحابيّ، من لقي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مؤمناً به، ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى»(١).

وأما الحديث عن الصحابة رضي الله عنهم فهو حديث عن من ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبية محمد صلى الله عليه وآله وسلم خير البشر، وأفضل الأنبياء والمرسلين، فهم أفضل البشر بعد الأنبياء، وقد جاءت الأدلة من الكتاب والسنة ببيان فضلهم.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٥٢/٤،الصحاح للجوهري ١٦١/١، مقاييس اللغة لابن فارس ٣٣٥/٣، مادة (صحب).

(٢) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ١٥٩/١.

(١) المصدر نفسه ١٥٨/١.

فمن الكتاب، قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(٣).

كذلك جاءت السنة ببيان فضلهم، ومنزلتهم، وأنهم خير الناس كما أن زمانهم أفضل الأزمنة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أي الناس خير؟ قال: «**قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**،...»(١).

وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمانٌ لهذه الأمة، فعن أبي بردة(٢)، عن أبيه، قال: صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال فجلسنا، فخرج علينا، فقال: «**ما زلتم هاهنا؟**» قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب، ثم قلنا:

---

(١) سورة الحشر، آية:٨، ٩.

(٢) سورة التوبة، آية:١٠٠.

(٣) سورة الفتح، آية:٢٩.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٩٦/٢، برقم ١٤٢٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٧٥/١.

(٢) أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، قيل اسمه عامر، وقيل الحارث، ثقة، مات سنة ١٠٤هـ، وقيل غير ذلك، جاز الثمانين، ينظر: تقريب التهذيب ١/ ٦٢١.

نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال «**أحسنتم أو أصبتم**» قال فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرا مما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: «**النجوم أمنة**[(١)] **للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**[(٢)]»[(٣)].

ولهم منازل متفاوتة في الفضل، ومراتب مختلفة في القدر، مع استوائهم في شرف الصحبة، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[(٤)].

كذلك ما جاء في فضل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان، ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[(١)]، والأحاديث في فضلهم كثيرة جداً، لا يتسع المقام لذكرها[(٢)].

---

(١) الأمنة في الحديث جمع أمين وهو الحافظ، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٧١.

(٢) أراد بوعد الأمة ما وقع وسيقع فيها من الفتن، والإشارة في الجملة إلى مجيء الشر عند ذهاب أهل الخير، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٧٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة٤/١٩٦٣،برقم ٢٥٣٣.

(٤) سورة الحديد، آية:١٠.

(١) سورة الفتح، آية:١٨.

(٢) ينظر: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، وفضائل الصحابة للدار قطني، وفضائل الصحابة للنسائي، أو المصنفات التي اشتملت على كتب وأبواب تعنى بجمع فضائل الصحابة، ككتاب فضائل الصحابة ضمن صحيح مسلم.

وقد جاء التشديد في عدم التعرض لهم، فهم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكفى بذلك شرفاً، كما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد، ذهبا ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه**»[(١)].

والإمساك عما شجر بينهم، وذكر وتتبع عثراتهم إن كان هناك عثرات لهم تذكر، فعن ثوبان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا**»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كذلك نؤمن بالإمساك عما شجر بينهم ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب، وهم كانوا مجتهدين؛ إما مصيبين لهم أجران؛ أو مثابين على عملهم الصالح مغفور لهم خطؤهم؛ وما كان لهم من السيئات وقد سبق لهم من الله الحسنى، فإن الله يغفرها لهم؛ إما بتوبة، أو بحسنات ماحية، أو مصائب مكفرة؛ أو غير ذلك، فإنهم خير قرون هذه الأمة»[(٣)].

وها هو ابن مسعود رضي الله عنه يقول عنهم: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو كنت متخذا خليلا»، ٨/٥، برقم ٣٦٧٣.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٩٦/٢، برقم ١٤٢٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٧٥/١.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٠٦/٣.

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٨٤/٦، برقم ٣٦٠٠، والبزار في مسنده ٢١٢/٥، برقم ١٨١٦، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ١٧/٢: إسناده حسن.

ومن انتقص من قدر الصحابة، فهو دليل على مرض في قلبه، ووجود دغل فيه ليس على الصحابة فحسب، بل على الدين كله، لأنهم هم الذين نقلوا لنا الدين، كما تفعل الرافضة أخزاهم الله، فكتبهم كقلوبهم مليئة بالنتن.

ولعل الله جل وعز أراد أن يجري لصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسنات، إذ انتهت آجالهم، وذلك لما قدموه لدين الله تعالى، فبذلوا أموالهم وأنفسهم رخيصة في سبيل الله تعالى.

وأما المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الصحابة، فقد جعلتها في أربعة مطالب وهي:

المطلب الأول: أوائل المسائل المتعلقة بإسلام الصحابة.

المطلب الثاني: أوائل المسائل المتعلقة ببعض فضائل أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

المطلب الثالث: أوائل المسائل المتعلقة بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

المطلب الرابع: أول خلاف وقع بين الصحابة.

المطلب الأول: أوائل المسائل المتعلقة بإسلام الصحابة.

الإسلام، هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله[(١)].

وتكذيب الأنبياء والرسل هو ديدن الأقوام الذين بعثوا فيهم وإليهم، كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ ۚ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾[(٣)].

بل وصل بهم الأمر إلى السخرية والإستهزاء، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[(٤)].

أما تصديقم والمسارعة إلى ذلك، فذلك عزيز، خاصةً في أشراف القوم، ومن هنا يعرف خصيصة أول من أسلم وصدق الرسل عليهم السلام.

والصحابة رضوان الله عليهم هم أكمل الأمة إيماناً، وأولهم إسلاماً، فنفوسهم منقادة مستسلمة لأمر الله عز وجل، فإيمان الصحابة هو الإيمان الحق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[(١)].

وقد جاء القرآن الكريم بتفضيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ

---

(١) ثلاثة الأصول لمحمد بن عبدالوهاب ١/١٨٩.

(٢) سورة ص، آية:١٢-١٤.

(٣) سورة ق، آية:١٢-١٤.

(٤) سورة الأنعام، آية:١٠.

(١) سورة الأنفال، آية:٧٤.

عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[(١)].

واختلف السلف رحمهم الله في أيهم أسلم أولاً، على أقوال عدة، وقد حكى الإختلاف ابن الصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)] فقال: اختلف السلف في أولهم إسلاما، فقيل: أبو بكر الصديق، روي ذلك عن ابن عباس، وحسان بن ثابت[(٣)]، وإبراهيم النخعي[(٤)]، وغيرهم.

وقيل: علي أول من أسلم، روي ذلك عن زيد بن أرقم[(٥)]، وأبي ذر[(١)]، والمقداد[(٢)]، وغيرهم.

وقيل: أول من أسلم زيد بن حارثة[(١)]، وذكر معمر[(٢)] نحو ذلك عن الزهري.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

(٢) عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشّهرزوري، أبو عمرو، تقي الدين ابن الصلاح، ولد سنة ٥٧٧هـ، توفي سنة ٦٤٣هـ، ينظر: طبقات الشافعية ٨/ ٣٢٦، شذرات الذهب ٣٨٣/٧.

(٣) حسّان بن ثابت بن المنذر بن النّجار الأنصاريّ الخزرجيّ، شاعر رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، عاش في الجاهلية ستين، وفي الإسلام ستين، ومات وهو ابن عشرين ومائة، مات سنة ٤٠هـ، وقيل قبلها، وقيل بعدها، ينظر: الاستيعاب ٣٤١/١، أسد الغابة ٤٨٢/١، الإصابة ٥٥/٢.

(٤) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران الكوفي، الفقيه ثقة إلا أنه يرسل كثيراً، مات دون المائة، سنة ٩٦هـ، وهو ابن خمسين أونحوها، ينظر: تقريب التهذيب ٩٥/١.

(٥) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن الخزرج، مختلف في كنيته، قيل أبو عمر، وقيل أبو عامر، واستصغر يوم أحد، وأول مشاهده الخندق، وقيل المريسيع، ماتت سنة ٦٦هـ، وقيل ٦٨هـ، ينظر: الاستيعاب ٥٣٥/٢، أسد الغابة ١٢٤/٢، الإصابة ٤٨٧/٢.

(١) أبو ذرّ الغفاريّ، الزاهد المشهور الصادق اللهجة، مختلف في اسمه واسم أبيه، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن، من السابقين إلى الإسلام، وكانت وفاته بالربذة سنة ٣١هـ، وقيل سنة ٣٢هـ، ينظر: الاستيعاب ١٦٥٢/٤، أسد الغابة ٩٩/٥، الإصابة ١٠٥/٧.

(٢) المقداد بن الأسود الكندي، هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهراني، وقيل الحضرميّ، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد بعدها، مات سنة ٣٣هـ في خلافة عثمان، وهو ابن ٧٠ سنة، ينظر: الاستيعاب ١٤٨٠/٤، أسد الغابة ٤٧٥/٤، الإصابة ١٥٩/٦.

وقيل: أول من أسلم خديجة أم المؤمنين، روي ذلك من وجوه عن الزهري، وهو قول قتادة[٣]، ومحمد بن إسحاق بن يسار، وجماعة، وروي أيضا عن ابن عباس.

والأورع أن يقال: أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان أو الأحداث علي، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال، والله أعلم[٤].

وعلى ذلك بنيت مسائل هذا المطلب، وهي أوائل المسائل المتعلقة بإسلام الصحابة رضي الله عنهم، وقد جعلتها في سبعة مسائل وهي:

المسألة الأولى: أول من أسلم من الرجال.

المسألة الثانية: أول من أسلم من النساء.

المسألة الثالثة: أول من أسلم من الصبيان.

المسألة الرابعة: أول من أسلم من الموالي.

المسألة الخامسة: أول من أسلم من العبيد.

المسألة السادسة: أول من أسلم من الأنصار.

المسألة السابعة: أول من أظهر إسلامه من هذه الامة.

---

(١) زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، شهد بدرا وما بعدها، وقتل في غزوة مؤتة، وهو أمير، ينظر: الاستيعاب ٢/ ٥٤٢، أسد الغابة ٢/ ١٢٩، الإصابة ٢/ ٤٩٤.

(٢) معمر بن راشد الأزدي، مولاهم أبو عروة البصري، نزيل اليمن، ثقة ثبت فاضل، مات سنة ٥٤هـ، وهو ابن ٥٨ سنة، ينظر: تقريب التهذيب ٥٤١/١.

(٣) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت، يقال ولد أكمه، وهو رأس الطبقة الرابعة، مات سنة بضع عشرة، ينظر: تقريب التهذيب ٤٥٣/١.

(٤) مقدمة ابن الصلاح ٢٩٩/١، باختصار.

المسألة الأولى: أول من أسلم من الرجال.

إن المسارعة إلى تصديق الرسل من الرجال الأحرار وأشراف القوم، عزيزٌ جداً، وذلك لظنهم أن في ذلك سلب لشرفهم، ومكانتهم، فالغالب يكون منهم العداء، أو التردد في قبول الدين.

ومن أوائل من صدق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ورقة بن نوفل[١]، وكان ذلك قبل تكليف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة وبعد نزول الوحي عليه، وهذا جلي في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حيث قالت: «... **فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم: **«أو مخرجي هم»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي...**»[١].

قال ابن كثير رحمه الله: « وقوله: ثم لم ينشب ورقة أن توفي، أي: توفي بعد هذه القصة بقليل، رحمه الله ورضي عنه، فإن مثل هذا الذي صدر عنه تصديق بما وجد، وإيمان بما حصل من الوحي، ونية صالحة للمستقبل»[٢].

---

(١) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشيّ الأسديّ، ابن عم خديجة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عده البعض من الصحابة، وفي ذلك نظر، ينظر: أسد الغابة ٤/٦٧١، الإصابة ٦/٤٧٤.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ١/٧، برقم ٣.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٤/٢١.

وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ورقة بن نوفل فقال: «**رأيته في المنام عليه ثياب بياض، وقد أظن أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض**»[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين**»[(٢)].

وتصديق ورقة كان قبل الرسالة، أما أول من أسلم وصدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ودليل ذلك ما رواه الشعبي[(٣)] قال : سئل ابن عباس رضي الله عنهما : من أول من أسلم ؟ فقال : أبو بكر رضي الله عنه ، أما سمعت قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأفضلها ... إلا النبي وأولاها بما حملا

والثاني التالي المحمود شيمته ... وأول الناس منهم صدق الرسلا[(١)]

ويؤيده حديث أبي أمامة رضي الله عنه، قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: «كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارا، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستخفيا جرءاء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «**أنا نبي**»، فقلت: وما نبي؟ قال: «**أرسلني الله**»، فقلت: وبأي شيء أرسلك، قال: «**أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء**»، قلت

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٥/٣٢١، برقم ٩٧١٩، وأحمد في مسنده ٤٠/٤٣٠، برقم ٢٤٣٦٧، وحسنه الألباني في صحيح السيرة النبوية ١/٩٣.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ٢/٦٦٦، برقم ٤٢١١، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/٧٦١، برقم ٤٠٥.

(٣) عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو ثقة مشهور، فقيه فاضل، قال مكحول ما رأيت أفقه منه مات بعد المائة وله نحو من ثمانين، ينظر: تقريب التهذيب ١/٢٨٧.

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة، ١/١٣٣، برقم ١٠٣، والآجري في الشريعة ٤/ ١٧٩٢، برقم ١٢٤٥، والطبراني في الكبير ١٢/٨٩، برقم ١٢٥٦٢، والحاكم في مستدركه ٣/٦٧، برقم ٤٤١٤، وابن بطة في الإبانة ٩/ ٤٤٧، برقم ٩٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٤٣: « وفيه الهيثم بن عدي، وهو متروك».

له: فمن معك على هذا؟ قال: «**حر، وعبد**»، قال: ومعه يومئذ أبو بكر، وبلال ممن آمن به...»[١].

وعندما تحاور أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وما كان بينهما من مغاضبة في ذلك الحين، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**هل أنتم تاركون لي صاحبي، هل أنتم تاركون لي صاحبي، إني قلت: يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعا، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت**»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذا ظاهر في أنه صدقه قبل أن يصدقه أحد من الناس الذين بلغهم الرسالة وهذا حق فإنه أول ما بلغ الرسالة فآمن»[٣].

وعن همام بن الحارث[١]، قال: قال عمار بن ياسر: «**رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان، وأبو بكر**»[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: «وفيه دلالة على قدم إسلام أبي بكر إذ لم يذكر عمار أنه رأى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الرجال غيره وقد اتفق الجمهور على أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال»[٣].

وجاء ذكر إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بذكر الأولية، في حديث زيد بن أرقم، قال: أول من أسلم علي، قال: عمرو بن مرة[١]، فذكرت ذلك، لإبراهيم النخعي، فأنكره وقال: أول من أسلم أبو بكر الصديق[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة ٥٦٩/١، برقم ٨٣٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، ٥٩/٦، برقم ٤٦٤٠.

(٣) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤٢٣/٨.

(١) همام بن الحارث بن قيس بن عمرو النخعي الكوفي، ثقة عابد، مات سنة ٦٥هـ، ينظر: تقريب التهذيب ٥٧٤/١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي بكر، ٤٦/٥، برقم ٣٨٥٧.

(٣) فتح الباري لابن حجر ١٧٠/٧.

قال شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما خديجة وعلي وزيد؛ فهؤلاء كانوا من عيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي بيته وخديجة عرض عليها أمره لما فجأه الوحي، وصدقته ابتداء قبل أن يؤمر بالتبليغ وذلك قبل أن يجب الإيمان به فإنه إنما يجب إذا بلغ الرسالة فأول من صدق به بعد وجوب الإيمان به أبو بكر من الرجال، فإنه لم يجب عليه أن يدعو عليا إلى الإيمان؛ لأن عليا كان صبياً، والقلم عنه مرفوع.

ولم ينقل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمره بالإيمان وبلغه الرسالة قبل أن يأمر أبا بكر ويبلغه ولكنه كان في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيمكن أنه آمن به لما سمعه يخبر خديجة وإن كان لم يبلغه؛ فإن ظاهر قوله: «**يا أيها الناس إني أتيت إليكم فقلت: إني رسول الله إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت**»(٣)، كما في الصحيحين يدل على أن كل من بلغه الرسالة كذبه أولا إلا أبا بكر، ومعلوم أن خديجة وعليا وزيدا كانوا في داره، وخديجة لم تكذبه فلم تكن داخلة فيمن بلغ»(١).

---

(١) عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق الجملي المرادي، أبو عبد الله الكوفي الأعمى، ثقة عابد، كان لا يدلس، ورمي بالإرجاء، مات سنة ١١٨هـ، وقيل قبلها، ينظر: تقريب التهذيب ٤٢٦/١.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه٦٤٢/٥،برقم ٣٧٣٥،وصحح إسناده الألباني في صحيح السيرة١٢١/١.

(٣) سبق تخريجه ص:٣٢٣.

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤٢٣/٨.

المسألة الثانية: أول من أسلم من النساء.

وردت الأخبار بفضائل أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن-، أختارهن الله أزواجاً لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، في الدنيا والآخرة، يقتبسن شعباً من أخلاقه، وهديه ودله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأول أزواجه هي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ولم يتزوج غيرها حتى توفيت، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: «**لم يتزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم على خديجة حتى ماتت**»[(١)]، وجميع أولاده منها، وفضلها ظاهر، كما جاء في عدة أحاديث، منها ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة**» [(٢)].

وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: «**ما غرت على امرأة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ما غرت على خديجة، هلكت قبل أن يتزوجني، لما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن**»[(١)].

وكان يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنها: «**إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد**»[(٢)]، ويقول أيضاً: «**إني قد رزقت حبها**»[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «**أتى جبريل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله: هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام، أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة،باب فضائل خديجة،٤/١٨٨٩، برقم ٢٤٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها، ٥/٣٨، برقم ٣٨١٥.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها، ٥/٣٨، برقم ٣٨١٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها، ٥/٣٨، برقم ٣٨١٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، ٤/١٨٨٨، برقم ٢٤٣٥.

السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه، ولا نصب»[(١)].

وقد واسته بنفسها ومالها، فهي التي تلقته عندما فجأه الحق في غار حراء، وصدقته، وأثنت عليه، وذهبت به إلى ورقة بن نوفل، كما جاء في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي، قالت: «...فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾[(٢)]، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: «**زملوني زملوني**» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «**لقد خشيت على نفسي**» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك...»[(١)].

فهي أول من أسلم من النساء، وآمن به، وصدق به، وآزره، فكان لها السبق في الإسلام من النساء، وهذه خصيصة لم يشاركها أحد فيها، كما جاء عن أبي رافع[(٢)] قال: «**أول من أسلم من الرجال علي، وأول من أسلم من النساء خديجة**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها، ٥/٣٨، برقم ٣٨٢٠.

(٢) سورة العلق، آية: ١-٣.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ١/٧، برقم ٣.

(٢) محمد بن عبيد الله، ابن أبي رافع، الهاشمي مولاهم، الكوفي، ضعيف من السادسة، ينظر: تقريب التهذيب ١/٤٩٤.

(٣) أخرجه البزار في مسنده ٩/ ٣٢٢، برقم ٣٨٧٢، والطبراني في الكبير ١٩/ ٢٩١، برقم ٦٤٨، عن مالك بن الحويرث بنحوه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٢٠: « ورجاله رجال الصحيح».

وعن بريدة رضي الله عنه[1] قال: «**خديجة أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي بن أبي طالب**»[2].

قال ابن حجر رحمه الله: « ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها فيكون لها مثل أجرهن لما ثبت أن من سن سنة حسنة وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل»[3].

---

(١) بريدة بن الحصيب بن عبد اللَّه بن الحارث بن الأعرج بن سعد الأسلمي، غزا مع رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم ستّ عشرة غزوة، سكن البصرة لما فتحت، مات سنة ٦٣هـ، في خلافة يزيد بن معاوية، ينظر: الاستيعاب ١/١٨٥، أسد الغابة ١/٢٠٩، الإصابة ١/٤١٨.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، ٢٢/٤٥٢، برقم ١١٠٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٢٠: «ورجاله وثقوا، وفيهم ضعف»

(٣) فتح الباري لابن حجر ٧/١٣٧.

المسألة الثالثة: أول من أسلم من الصبيان.

إذا عُلِمَ أن الصبيان غير مأمورون بتكاليف الشرع، ثم نراهم قد سبقوا إليها، فهذه تعد خصيصة لهم، وفضيلة من فضائلهم، ودليل على نجابتهم.

وقد ورد أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أول من أسلم من الصبيان، بل عده بعض أهل العلم أول الناس إسلاماً على الإطلاق.

ومما ورد في أولية إسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ما جاء عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «**إن أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب** رضي الله عنه»[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: «**أول من أسلم علي** رضي الله عنه»[(١)].

وعن أبي رافع قال: «**أول من أسلم من الرجال علي، وأول من أسلم من النساء خديجة**»[(٢)].

وعن محمد بن كعب، قال: «أول من أسلم أبو بكر وعلي رضي الله عنهما، فأبو بكر رضي الله عنه أولهما أظهر إسلامه، وكان علي رضي الله عنه يكتم إيمانه فرقاً من أبيه، فاطلع عليه أبوطالب وهو مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أسلمت؟ قال: نعم، قال: آزر ابن عمك يا بني وانصره، قال: وكان علي رضي الله عنه أولهما إسلاماً»[(٣)].

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، ١٤٧/٣، برقم ٤٦٦٣، وقال:« هذا حديث صحيح الإسناد، وإنما الخلاف في هذا الحرف أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان أول الرجال البالغين إسلاما وعلي بن أبي طالب تقدم إسلامه قبل البلوغ»، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٧/ ٤٠٨، برقم ٨٣٣٥، والبغوي في معجم الصحابة ٤/ ٣٥٧، برقم ١٨١٠، والطبراني في الكبير ١١/ ٤٠٦، برقم ١٢١٥١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٢/٩: « وفيه عثمان الجزري ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح»

(٢) سبق تخريجه ص:٣٢٦.

(٣) أخبار مكة للفاكهي ١٩١/٣.

وعن قيس بن أبي حازم[1]، قال: كنت بالمدينة فبينا أنا أطوف في السوق إذ بلغت أحجار الزيت، فرأيت قوما مجتمعين على فارس قد ركب دابة، وهو يشتم علي بن أبي طالب، والناس وقوف حواليه إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فوقف عليهم، فقال: «ما هذا؟» فقالوا: رجل يشتم علي بن أبي طالب، فتقدم سعد فأفرجوا له حتى وقف عليه فقال: «يا هذا، علام تشتم علي بن أبي طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟» وذكر حتى قال: «ألم يكن ختن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ابنته؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزواته؟» ثم استقبل القبلة ورفع يديه، وقال: «اللهم إن هذا يشتم وليا من أوليائك، فلا تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك»، قال قيس: فوالله ما تفرقنا حتى ساخت به دابته فرمته على هامته في تلك الأحجار، فانفلق دماغه ومات[1].

قال ابن حجر رحمه الله: «أبو الحسن أول الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم... كان ممن سبق إلى الإسلام ولم يتلعثم، وجاهد في الله حق جهاده»[2].

(١) قيس بن أبي حازم البجلي، أبو عبد الله الكوفي، ثقة من الثانية، مخضرم، ويقال له رؤية، وهو الذي يقال إنه اجتمع له أن يروي عن العشرة، مات بعد سنة ٩٠هـ، أو قبلها وقد جاز المائة وتغير، ينظر: تقريب التهذيب ٤٥٦/١.

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ٥٧١/٣، برقم ٦١٢١، وقال : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٢) الإصابة لابن حجر ٤٦٤/٤.

المسألة الرابعة: أول من أسلم من الموالي.

كان زيد بن حارثة رضي الله عنه، من أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «**أن زيد بن حارثة، مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن**»، ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾[1].

وعن عائشة رضي الله عنها، كانت تقول: «**ما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمره عليهم، ولو بقي بعده لاستخلفه**»[2].

وكان من السابقين إلى الإسلام، فعن ابن شهاب، قال: «**أول من أسلم زيد بن حارثة**»[1].

وعن الزهري قال: «**ما علمنا أحدا أسلم قبل زيد بن حارثة**»[2].

ويحمل ذلك على أن زيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) سورة الأحزاب، آية:٥.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٧٤/٤٣، برقم ٢٥٨٩٨، والنسائي في السنن الكبرى ٣٢٢/٧، برقم ٨١٢٦، والحاكم في مستدركه ٢٤١/٣، برقم ٤٩٦٢، وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط في المسند، وعلقه على صحة سماع عبدالله البهي من عائشة رضي الله عنها.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٨٤/٥، برقم ٤٦٥٣، والحاكم في مستدركه ٢٣٧/٣، برقم ٤٩٥٠، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٤/٩: «رواه الطبراني مرسلا، وإسناده حسن».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه٣٢١/٥،برقم٩١٩، وأحمد في فضائل الصحابة ٨٣٦/٢،برقم١٥٣٣

المسألة الخامسة: أول من أسلم من العبيد.

العبيد وهم الأرقاء الضعفاء، فهم أكثر تبعاً للأنبياء، بعكس الأحرار، كما جاء في حديث أبي سفيان رضي الله عنه مع هرقل: «**وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم، فزعمت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل**»(١).

وكان من ضمن المستضعفين في مكة، الصحابي الجليل بلال بن رباح، وهو أول من أسلم من العبيد رضي الله عنه وأرضاه، كما ثبت ذلك في حديث أبي أمامة رضي الله عنه، قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: «كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستخفيا جرءاء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «**أنا نبي**»، فقلت: وما نبي؟ قال: «**أرسلني الله**»، فقلت: وبأي شيء أرسلك، قال: «**أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء**»، قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «**حر، وعبد**»، قال: ومعه يومئذ أبو بكر، وبلال ممن آمن به...» (١).

وهذا ظاهر في أن بلال بن رباح رضي الله عنه أول من أسلم من العبيد، إذ لم يكن مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا أبو بكر وبلال رضي الله عنهما.

«**أحدٌ أحدَ**» إذا ذُكِرت، ذُكِر الصحابي الجليل، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بلال بن رباح الحبشي، «**أحدٌ أحدَ**» كان يرددها بلال والولدان يطوفون به في شعاب مكة، وقد هانت عليه نفسه في الله، «**أحدٌ أحدَ**» دلالة على التوحيد، وصدق اليقين، وعنوان الإخلاص، وشدة المحبة لله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة، ٤/٤٥، برقم ٢٩٤١.

(١) سبق تخريجه ص:٣٢٣.

ومما جاء في فضله رضي الله عنه، ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**رأيتني دخلت الجنة، ... وسمعت خشفة، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال**...»[1]، رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ٥/١٠، برقم ٣٦٧٩.

المسألة السادسة: أول من أسلم من الأنصار.

الأنصار، هم الذين نصروا الله ورسوله، وآووا الرسول إلى مدينتهم، ومنعوه مما يمنعون منه أبناءهم وأموالهم، وإذا أطلق لفظ الأنصار فإن المراد به الأوس والخزرج، وقد ورد في فضلهم العديد من الأحاديث، منها:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: جمع رسول صلى الله عليه وآله وسلم الأنصار، فقال: «**أفيكم أحد من غيركم؟**» فقالوا: لا، إلا ابن أخت لنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن ابن أخت القوم منهم**» فقال: «**إن قريشا حديث عهد بجاهلية ومصيبة، وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا، وترجعون برسول الله إلى بيوتكم؟ لو سلك الناس واديا، وسلك الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار**»[1].

وقد اختلف في ذكر أول من أسلم من الأنصار، على أقوال كثيرة، ولعلها ترجع إلى قولين:

القول الأول: أن أول من أسلم من الأنصار ستة نفر من الخزرج.

قال ابن إسحاق: فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا، فلما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، وكان بين اليهود والأنصار وقائع، فيقولون لهم، إن نبيا مبعوث الآن، قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم ، ٧٣٥/٢، برقم ١٠٥٩.

فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، وتعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا.

وهؤلاء الستة هم: أسعد بن زرارة(١)، وعوف بن الحارث(٢)، ورافع بن مالك(١)، وقطبة بن عامر(٢)، وعقبة بن عامر(٣)، وجابر بن عبدالله بن رئاب(٤)(٥).

---

(١) أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، أبو أمامة الأنصاري الخزرجي النجاري، قديم الإسلام، شهد العقبتين، وكان نقيبا على قبيلته، ولم يكن في النقباء أصغر سنّا منه. ويقال: إنه أول من بايع ليلة العقبة، توفي في السنة الأولى بعد الهجرة، ينظر: الإستيعاب ١/٨٦، أسد الغابة ١/٨٦، الإصابة ١/٢٠٨

(٢) عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد، من بني النجار، شهد بدراً، وقتل بها شهيداً، ينظر: الإستيعاب ٣/ ١٢٢٥، أسد الغابة ٤/٦، الإصابة ٤/ ٦١٤.

(١) رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاريّ الزرقيّ شهد العقبة، وكان أحد النقباء، قيل أنه أول من أسلم من الخزرج، توفي في أول إمارة معاوية، ينظر: الإستيعاب ٢/ ٤٩٧، أسد الغابة ٢/ ٤٥، الإصابة ٢/ ٣٦٩.

(٢) قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجيّ، يكنى أبا زيد، شهد بدرا والعقبة، والمشاهد، وكانت معه راية بني سلمة يوم الفتح، توفي في خلافة عمر، وقيل في خلافة عثمان، ينظر: الإستيعاب ٣/ ١٢٨٢، أسد الغابة ٤/ ١٠٦، الإصابة ٥/ ٣٣٨.

(٣) عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، شهد العقبة الأولى وبدرا وأحدا والخندق وسائر المشاهد، واستشهد باليمامة، ينظر: الإستيعاب ٣/ ١٠٧٤، أسد الغابة ٣/٥٥١، الإصابة ٤/٤٣٠.

(٤) جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، شهد بدرا، وأحدا، والخندق، وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو من أول من أسلم من الأنصار قبل العقبة الأولى، ينظر: الإستيعاب ١/ ٢١٩، أسد الغابة ١/ ٣٠٦، الإصابة ١/ ٥٤٥.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ١/٤٢٨، بتصرف يسير.

قال محمد بن سعد[(١)]: «وأمر الستة أثبت الأقاويل عندنا إنهم أول من لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأنصار فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا»[(٢)].

القول الثاني: أن أول من أسلم من الأنصار رفاعة بن رافع ومعاذ بن عفراء رضي الله عنهما.

وعن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي[(٣)]، عن أبيه رفاعة بن رافع[(١)]، وكان قد شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنه خرج وابن خالته معاذ بن عفراء[(٢)] حتى قدما مكة فلما هبطا من الثنية رأيا رجلا تحت شجرة – قال: وهذا قبل خروج الستة الأنصاريين – قال: فلما رأيناه كلمناه فقلنا: نأتي هذا الرجل نستودعه حتى نطوف بالبيت فسلمنا عليه تسليم الجاهلية فرد علينا بسلام أهل الإسلام، وقد سمعنا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنكرنا فقلنا: من أنت؟ قال: «**انزلوا**» فنزلنا فقلنا: أين الرجل الذي يدعي ويقول ما يقول؟ فقال: «**أنا**» فقلت: فاعرض علي فعرض علينا الإسلام وقال: «**من خلق السماوات والأرض والجبال؟**» قلنا: خلقهن الله، قال: «**فمن خلقكم؟**» قلنا: الله، قال: «**فمن عمل هذه الأصنام التي تعبدونها؟**» قلنا: نحن، قال: «**فالخالق أحق بالعبادة أم المخلوق فأنتم أحق أن تعبدكم**

---

(١) محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، مولاهم البصري، نزيل بغداد، كاتب الواقدي، صدوق فاضل، من العاشرة مات سنة ٢٣٠هـ، وهو ابن ٦٢سنة، ينظر: تقريب التهذيب ١/ ٤٨٠.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٤٤٨.

(٣) معاذ بن رفاعة بن رافع بن مالك بن عجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاري الزرقي المدني، ذكره ابن حبان في الثقات، ينظر: تهذيب التهذيب ١٠/ ١٩٠.

(١) رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاريّ الخزرجيّ الزرقيّ، أبو معاذ، مات في أول إمارة معاوية سنة ٤١هـ، وقيل ٤٢هـ، ينظر: الاستيعاب ٢/٤٩٧، أسد الغابة ٢/٤٥، الإصابة ٢/٣٦٩.

(٢) معاذ بن الحارث بن رفاعة بن الحارث الأنصاريّ الخزرجيّ، المعروف بابن عفراء، شهد العقبة الأولى مع الستة الذين هم أول من لقي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من الأوس والخزرج، وشهد بدرا، وشرك في قتل أبي جهل، وتوفي في خلافة علي، ينظر: الاستيعاب ٣/١٤٠٨، أسد الغابة ٤/٤٢١، الإصابة ٦/١١٠.

وأنتم عملتموها والله أحق أن تعبدوه من شيء عملتموه وأنا أدعو إلى عبادة الله وشهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وصلة الرحم وترك العدوان بغصب الناس»، قلنا: لا والله لو كان الذي تدعو إليه باطلا لكان من معالي الأمور ومحاسن الأخلاق فأمسك راحلتنا حتى نأتي بالبيت فجلس عنده معاذ بن عفراء، قال: فجئت البيت فطفت وأخرجت سبعة أقداح فجعلت له منها قدحا فاستقبلت البيت فقلت: اللهم إن كان ما يدعو إليه محمد حقا فأخرج قدحه سبع مرات فضربت بها فخرج سبع مرات فصحت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فاجتمع الناس علي وقالوا: مجنون رجل صبأ، قلت: بل رجل مؤمن، ثم جئت إلى أعلى مكة فلما رآني معاذ قال: لقد جاء رفاعة بوجه ما ذهب بمثله فجئت وآمنت وعلمنا رسول الله ﷺ سورة يوسف، واقرأ بسم ربك الذي خلق ثم خرجنا راجعين إلى المدينة فلما كنا بالعقيق قال معاذ: إني لم أطرق أهلي ليلا قط فبت بنا حتى نصبح فقلت: أبيت ومعي ما معي من الخبر ما كنت لأفعل، وكان رفاعة إذا خرج سفرا ثم قدم عرض قومه»[(١)].

قال محمد بن سعد: «ويروى أن معاذ بن الحارث ورافع بن مالك الزرقي أول من أسلم من الأنصار بمكة، ويجعل في الثمانية النفر الذين أسلموا أول من أسلم من الأنصار بمكة، ويجعل في الستة النفر الذين يروى أنهم أول من لقي رسول الله ﷺ من الأنصار بمكة فأسلموا لم يتقدمهم أحد»[(٢)].

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه٤/١٦٥، برقم ٧٢٤١، وقال : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي في التلخيص بقوله: «يحيى الشجري صاحب مناكير».

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٤٩١.

وهناك أقول أخرى، لم يثبت إسلام أصحابها، كما ما روي من أن أول من أسلم هو سويد بن الصامت[١]، فإنه لم يتحقق إسلامه، فما كان جوابه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن قال له :« إن هذا القول حسن»، ورجع للمدينة وهلك قبل يوم بعاث[٢].

وأما إياس بن معاذ[٣]، فإنه لما سمع كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال لقومه: «يا قوم، هذا والله خير مما جئتم له»، وكان فتىً يافعاً، فأُسْكِت، فرجع إلى المدينة، فكانت وقعة بعاث، فهلك، ولم يتحقق إسلامه[٤].

وأما ما قيل من أن أول من أسلم أسعد بن زرارة، أو أبو الهيثم بن التيهان[١]، وهذه ترجع إلى القول الأول لكونهم ذكروا ضمن الستة نفر في إحدى الروايات، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) سويد بن الصامت بن خالد بن عقبة بن خوط بن حبيب بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي، لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة، ولم يثبت أنه أسلم، وكان قتله يوم بعاث، ينظر: الاستيعاب ٦٧٧/٢، أسد الغابة ٣٣٧/٢، الإصابة ٢٤٧/٣.

(٢) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣٦٦/٤.

(٣) إياس بن معاذ الأنصاري الأوسي الأشهلي، لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة، سمعه قومه يهلل الله، مات قبل هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ينظر: الاستيعاب ١٢٥/١، أسد الغابة ١٨٦/١، الإصابة ٣١٣/١.

(٤) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣٦٧/٤.

(١) أبو الهيثم بن التّيّهان بن مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعوراء الأنصاري الأوسي، ويقال التيهان لقب، واسمه مالك، وهو مشهور بكنيته، شهد المشاهد كلها، مات سنة ٢٠هـ، وقيل ٢١هـ، ينظر: الاستيعاب ١٧٧٣/٤، أسد الغابة ٣٢٣/٥، الإصابة ٣٦٥/٧.

المسألة السابعة: أول من أظهر إسلامه من هذه الامة.

بدأ الإسلام غريباً، أهله مطاردين، يستخفون بدينهم، خوفاً من أذى مشركي قريش، الذين صبوا ألواناً من العذاب على المسلمين، خاصة الضعفاء منهم الذين لامنعة لهم ولا قوة، ولا حبل لهم من الناس.

بيد أن هناك ثلة مباركة من أصحاب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، أولو عزم شديد، تغلغل الإيمان في قلوبهم، فطغى ذلك على الخوف من أذى المشركين، ولم يأبهوا بأذى صناديد قريش، فأظهروا إسلامهم، في زمن كان أهل الإسلام يستخفون بدينهم.

وأول من أظهر إسلامه من هذه الأمة سبعة كما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالا، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذوه، فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد»[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٥٢/٧، برقم ٣٥٧٩٥، وأحمد في مسنده ٣٨٢/٦، برقم ٣٨٣٢، وابن ماجه في سننه ١٠٥/١، برقم ١٥٠، وابن حبان في صحيحه ٥٥٨/١٥، برقم ٧٠٨٣، والآجري في الشريعة ١٧٩٧/٤، برقم ١٢٥٦، والحاكم في مستدركه ٣٢٠/٣، برقم ٥٢٣٨، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في التلخيص، وحسنه الألباني في صحيح السيرة النبوية ص:١٢١.

المطلب الثاني: أوائل المسائل المتعلقة ببعض فضائل أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

إن معرفة فضائل الصحابة من الدين، ونشر مناقبهم فيه أجر عظيم، فهم الذين نقلوا لنا الدين، والصحابة جميعهم عدول كما أجمعت الأمة على ذلك، والصحابة يتفاضلون فيما بينهم، كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1].

وما وقع بين الصحابة، وشجر بينهم، فأهل السنة لا يجدون في أنفسهم عليهم شيئاً، قلوبهم وألسنتهم في ذلك سواء، بل يحملون لهم في قلوبهم المحبة، وعلى ألسنتهم الثناء والذكر الحسن، ويسألون الله أن يحشرون في زمرتهم، ويعملون بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وقد خالف أقوام في ذلك، ففاضت ألسنتهم بالقبيح تجاه أصحاب الرسول الكريم، وسودوا صفحات الكتب بنتنهم، وظنوا أنهم على شيء، فخالفوا المنقول والمعقول، فهم كالأنعام بل هم أضل.

ولا ضير .. فقد استهزئ بالرسل من قبل، والصحابة ساروا على طريق الرسل، فنالهم نصيب من الأذى، ولعل الله أراد أن لا تنقطع أعمالهم بموتهم.

ولأهمية معرفة فضائل الصحابة، فقد أوردت عدداً من فضائل بعض الصحابة المتعلقة بالأولية، لإبراز شيئاً من مناقبهم، وأنهم كانوا جميعاً، مسارعين لفعل الخيرات، سابقين إلى الإسلام.

---

(١) سورة الحديد، آية:١٠.

(١) سورة الحشر، آية:١٠.

وأما المسائل العقدية أوائل المسائل المتعلقة ببعض فضائل أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقد جعلتها في أربعة مسائل وهي:

المسألة الأولى: أول من سلّ سيفه في سبيل الله.

المسألة الثانية: أول من رمى بسهم في سبيل الله.

المسألة الثالثة: أول جيش يغزون البحر.

المسألة الرابعة: أول من جهر بالقرآن في مكة.

المسألة الأولى: أول من سلَّ سيفه في سبيل الله.

إنه الزّبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ بن كلاب القرشي الأسدي، أبو عبد اللَّه، حواريّ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم وابن عمته.

له فضائل عديدة، منها أنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستّة أصحاب الشّورى[(١)].

ومن فضائله أنه شجاع فارس مقدام، لانظير له، فهو أول من سلَّ سيفه في سبيل الله، فعن عروة قال: «**أول من سل سيفا في سبيل الله: الزبير بن العوام**»[(٢)].

وعن سعيد بن المسيب قال: «أول من سل سيفه في ذات الله الزبير بن العوام وبينما الزبير بن العوام قائل في شعب المطابخ إذ سمع نغمة: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتل، فخرج من البيت متجرداً، بيده السيف صلتا، فلقيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، «**كفة كفة، فقال: ما شأنك يا زبير؟**»، قال: سمعت أنك قتلت، قال: «**فما كنت صانعا؟**» قال: أردت والله أن أستعرض أهل مكة قال: «**فدعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخير**»[(١)].

ولشجاعته وصفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه حواري النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: ندب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، ثلاثا، فقال: «**لكل نبي حواري وحواري الزبير**»[(٢)].

---

(١) ينظر: الإصابة لابن حجر ٢/٤٥٧.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٥/٢٨٩، برقم ٩٦٤٦، والطبراني في الكبير ١/١١٩، برقم ٢٢٦، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/١٥٠: «ورجاله ثقات»

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ٢/٧٣٣، برقم ١٢٦٠، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ١/٥٨، برقم ١٦١، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٨/١٤٨٩، برقم ٢٧٠٥، بنحوه، وأبي نعيم في دلائل النبوة ١/٦٢٢، برقم ٥٦٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أخبار الآحاد، باب بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم الزبير طليعة وحده، ٩/٨٩، برقم ٧٢٦١.

وفداه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأبويه، فعن عبد الله بن الزبير، قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة[1] في النساء، فنظرت فإذا أنا بالزبير، على فرسه، يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثا، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف؟ قال: أوهل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم**». فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبويه فقال: «**فداك أبي وأمي**»[2].

(١) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد، وهو ربيب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، أمه أمّ سلمة أم المؤمنين، ولد بالحبشة في السنة الثانية، ولي البحرين زمن علي، مات بالمدينة سنة ٨٣هـ، في خلافة عبد الملك بن مروان، ينظر: الاستيعاب ١١٥٩/٣، أسد الغابة ٦٨٠/٣، الإصابة ٤٨٧/٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، باب مناقب الزبير ٢١/٥، برقم ٣٧٢٠

المسألة الثانية: أول من رمى بسهم في سبيل الله.

إنه سعد بن مالك بن أهيب ويقال له ابن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشيّ الزهريّ، أبو إسحاق، بن أبي وقاص.

له فضائل عديدة، منها أنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستّة أصحاب الشّورى(١).

عن جابر بن عبد الله، قال: أقبل سعد، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**هذا خالي فليرني امرؤ خاله**»(٢)، لأنه من بني زهرة، وفيه إكرام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسعد، ورفع لشأنه رضي الله عنه.

ومن فضائله رضي الله عنه أنه فارس مقدام، فهو أول من رمى بسهم في سبيل اللّه، فعن أبي عثمان(١)، قال: «سمعت سعداً، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله...»(٢).

وعن علي رضي الله عنه، قال: ما سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك، فإني سمعته يقول يوم أحد: «**يا سعد ارم فداك أبي وأمي**»(٣).

وعن قيس بن أبي حازم، قال: سمعت سعداً رضي الله عنه، يقول: «**إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله ...**»(٤).

---

(١) ينظر: الإصابة لابن حجر ٦٢/٣.

(٢) اخرجه الترمذي في سننه ٦٤٩/٥، ٣٧٥٢، والطبراني في الكبير ١٤٤/١، برقم ٣٢٣، والحاكم في مستدركه ٥٦٩/٣، برقم ٦١١٣، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ١٧٢٨/٣، برقم ٦١٢٧.

(١) عبد الرحمن بن ملّ، أبو عثمان النهدي، مشهور بكنيته مخضرم، من كبار الثانية، ثقة ثبت عابد، مات سنة ٩٥هـ، وقيل بعدها وعاش ١٣٠سنة، وقيل أكثر، ينظر: تقريب التهذيب ٣٥١/١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ١٥٦/٥، برقم ٤٣٢٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، ٩٧/٥، برقم ٤٠٥٩.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري، ٢٢/٥، برقم ٣٧٢٨.

المسألة الثالثة: أول جيش يغزون البحر.

حمل الصحابة ألوية الجهاد في كل مكان يستطيعون الوصول إليه، رغبة فيما عند الله والدار الآخرة، لم تكن الدنيا أكبر همهم، بل حملوا أرواحهم على أكفهم لينشروا دين الله، وليبلغوا أمره إلى أقصى مكان يصلون إليه، ولو كان في ذلك ركوب المخاطر، وما لم يألفوا، كركوب البحر، ومن وراءه غزو الروم.

وقد ورد في حديث أم حرام رضي الله عنها[(١)]، فضيلة لأول جيش إسلامي يركب البحر، بأنهم مغفور لهم، لما غرروا بأنفسهم في سبيل الله تعالى.

فالعرب لا قبل لهم بركوب البحر، ثم إنهم يلاقون عدواً متمرساً؛ وهم الروم، لذا جاء الحديث بذكر مناقبهم، وكان من ضمن أول جيش يغزو الروم عبر البحر، أم حرام، وزوجها عبادة بن الصامت، وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم.

فعن عمير بن الأسود العنسي – أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل في ساحة حمص وهو في بناء له، ومعه أم حرام – قال: عمير، فحدثتنا أم حرام: أنها سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: «**أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا**»، قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: «**أنت فيهم**»، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم**»، فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «**لا**»[(١)].

قال الفريابي[(٢)]: «وكان أول من غزاه معاوية في زمن عثمان بن عفان رحمة الله عليهما»[(٣)].

---

(١) أم حرام بنت ملحان بنت خالد بن زيد بن حرام بن جندب الأنصاريّة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويزورها فِي بيتها، ودعا لَهَا بالشهادة، فخرجت مَعَ زوجها عبادة غازية فِي البحر، فماتت ودفنت فِي موضعها، وذلك فِي خلافة عُثْمَان، ينظر: الاستيعاب ٤/ ١٩٣١، أسد الغابة ٦/ ٣١٧، الإصابة ٨/ ٣٧٥.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب الجهاد والسير،باب ما قيل في قتال الروم،٤٢/٤،برقم ٢٩٢٤

(٢) جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض التركي، أبو بكر الفريابي، ثقة مأمون، ولد سنة ٢٠٧هـ، ومات في المحرم سنة ٣٠١هـ، ينظر: تذكرة الحفاظ ١٩٠/٢، سير أعلام النبلاء ٦١/١١.

(٣) الشريعة للآجري ٢٤٤٠/٥.

وعن أنس بن مالك، عن خالته أم حرام بنت ملحان، قالت: «نام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوما قريبا مني، ثم استيقظ يتبسم، فقلت: ما أضحكك؟ قال: «**أناس من أمتي عرضوا علي يركبون هذا البحر الأخضر كالملوك على الأسرة**» قالت: فادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها، ثم نام الثانية، ففعل مثلها، فقالت مثل قولها، فأجابها مثلها فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**أنت من الأولين**»، فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازياً أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية، فلما انصرفوا من غزوهم قافلين، فنزلوا الشأم، فقربت إليها دابة لتركبها، فصرعتها، فماتت»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من يصرع في سبيل الله فمات فهو منهم، ٤/١٨، برقم ٢٧٩٩.

المسألة الرابعة: أول من جهر بالقرآن في مكة.

إنه عبد اللّه بن مسعود بن غافل ابن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل الهذلي، أبو عبد الرحمن[1].

كان المشركون في مكة يؤذون المسلمين، فلذا تجد المسلمين يستخفون بدينهم، فلا يظهر أحد منهم إسلامه خوفاً من لحوق الأذى به، فكيف يتعمد بقراءة شيء من القرآن أمام قريش، وما ذاك إلا لغلبة عزة الإسلام في النفس، على الخوف من الأذى، وهذا ما كان من الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، فعن الزبير رضي الله عنه، قال: «كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة عبد الله بن مسعود قال: اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ قال عبد الله بن مسعود: «أنا»، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: «دعوني فإن الله عز وجل سيمنعني» قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها فقام عند المقام، ثم قال: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[1]، قال: ثم استقبلها يقرأ فيها، قال: وتأملوا فجعلوا يقولون: ما يقول ابن أم عبد؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك قال: «ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها»، قالوا: حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون[2].

---

(١) ينظر: الإصابة لابن حجر ٤/١٩٨.

(١) سورة الرحمن، آية:١-٢.

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ٢/ ٨٣٧، برقم ١٥٣٥.

ومن خلال ما مضى يمكن استنباط جملة من المسائل المستفادة من المسائل المتعلقة ببعض فضائل الصحابة رضي الله عنهم:

١. ذكر فضيلة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، إذ كان أول من رمى بسهم في سبيل الله.

٢. ذكر فضيلة الزبير بن العوام رضي الله عنه، إذ كان أول من سل سيفه في سبيل الله.

٣. ذكر فضيلة أول جيش يغزو البحر، وكان منهم: أم حرام بنت ملحان، وزوجها عبادة بن الصامت، والأمير على الجيش معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم.

٤. ذكر فضيلة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، إذ كان أول من جهر بالقرآن في مكة.

المطلب الثالث: أوائل المسائل المتعلقة بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

تطلق لفظة الآل والأهل على معنى واحد، فآل الرجل هم أهل بيته، فهي تطلق على أخص الناس بالرجل(١).

وأما المراد بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد اختلف في ذلك على أقوال، أرجحها، هو أنهم الذين حرمت عليهم الصدقة، كما رجحه ابن تيمية رحمه الله(٢)،وهم بنو هاشم وبنو المطلب على الأرجح، ويدخل في ذلك دخولاً أولياً أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما سيأتي قريباً.

ودليلهم في ذلك، ماجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى بالتمر عند صرام(٣) النخل، فيجيء هذا بتمره، وهذا من تمره حتى يصير عنده كوماً من تمر، فجعل الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بذلك التمر، فأخذ أحدهما تمرة، فجعلها في فيه، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأخرجها من فيه، فقال: «**أما علمت أن آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يأكلون الصدقة**»(١).

وأما فضائل أهل البيت ومناقبهم فهي عديدة، فقد اختصهم الله بمزيد فضل، فجاء ذكرهم في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾(٢).

قال ابن جرير رحمه الله: «إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد، ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيرا»

وقال ابن كثير رحمه الله: «وهذا نص في دخول أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أهل البيت هاهنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحدا، إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح»(٣).

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٥/٣١٥، مادة (آل)، مقاييس اللغة لابن فارس ١/١٦٠، مادة (أول).
(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/٤٠٧.
(٣) صرام النخل، هو قطع ثمرتها، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٢٤٤.
(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب أخذ صدقة التمر..، ٢/١٢٦، برقم ١٤٨٥.
(٢) سورة الأحزاب، آية:٣٣.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٤١٠.

وفي السنة، ما جاء عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه[1]، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[2].

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأهل بيته، ففي حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما فينا خطيبا، بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «**أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**»، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**» فقال له حصين: ومن أهل بيته؟ يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم[1].

وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما**»[2].

---

(١) واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر، من بني ليث بن عبد مناة، يكنى أبا قرصافة، اختلف في نسبه وفي كنيته، كان من أهل الصّفة، مات سنة ٨٥هـ، وهو ابن ٧٨ سنة، وهو آخر من مات بدمشق من الصّحابة، ينظر: الاستيعاب ٤/ ١٥٦٣، أسد الغابة ٤/ ٦٥٢، الإصابة ٦/٤٦٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل،باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ٤/١٧٨٢،برقم٢٢٧٦

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ٤/١٨٧٣، برقم ٢٤٠٨.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٥/٦٦٣، برقم ٣٧٨٨، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١/٤٨٢.

فكما أن أهل السنة هم أولى الناس بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكذلك قاموا بوصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحسن قيام، فلم يغلو فيهم، ولم يجفوا عنهم، وعرفوا لهم فضلهم فأنزلوهم منزلتهم التي أنزلها إياهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن أصول أهل السنة والجماعة ... ويحبون أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة»[1].

وأما المسائل العقدية المتعلقة بأوائل المسائل الخاصة بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد جعلتها في مسألتين وهي:

المسألة الأولى: أول أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

المسألة الثانية: أول أهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحوقاً به بعد وفاته.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٥٤/٣.

المسألة الأولى: أول أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ القرشية الأسدية، زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأول من صدقت ببعثته مطلقاً، كانت تدعى قبل البعثة الطاهرة، وكان تزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خديجة قبل البعثة بخمس عشرة سنة، وقيل أكثر من ذلك، وكانت موسرة، وكان سبب رغبتها فيه ما حكاه لها غلامها ميسرة مما شاهده من علامات النبوة قبل البعثة، ومما سمعته من بحيرا الراهب في حقه لما سافر معه ميسرة في تجارة خديجة، وولدت من رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أولاده كلهم إلا إبراهيم[1].

وقد جاء في مناقبها وفضائلها أحاديث عدة، وقد مر بنا ذلك في مسألة أول من أسلم من النساء، مما أغنى عن إعادته هنا.

وهي أول أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ورد النص بلفظ الأولية، كما جاء عن يحيى بن أبي كثير[2]قال: «أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خديجة، ثم تزوج سودة بنت زمعة، ثم نكح عائشة بمكة وبنى بها بالمدينة ونكح بالمدينة زينب بنت خزيمة الهلالية، ثم نكح أم سلمة، ثم نكح جويرية بنت الحارث، فكانت مما أفاء الله عليه، ثم نكح ميمونة بنت الحارث، وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم نكح صفية بنت حيي، وهي مما أفاء الله عليه يوم خيبر، ثم نكح زينب بنت جحش، وكانت امرأة زيد بن حارثة، وتوفيت زينب بنت خزيمة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة أيضا توفيت بمكة، ونكح امرأة من بني كلاب من بني ربيعة يقال لها العالية بنت ظبيان فطلقها حين أدخلت عليه»[1].

---

(١) ينظر: الإصابة لابن حجر ٩٩/٨، باختصار.

(٢) يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم، أبو نصر اليمامي، ثقة ثبت لكنه يدلس ويرسل، من الخامسة مات سنة ١٣٢هـ، وقيل قبل ذلك، ينظر: تقريب التهذيب ٥٩٦/١.

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٤٨٩/٧، برقم ١٣٩٩٧، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٧٤/٧، برقم ٣٦٠٣٥، والطبراني في الكبير ٤٤٦/٢٢، برقم ١٠٨٨

وعن الزهري قال: «إن أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، تزوجها في الجاهلية، وأنكحها أبوها خويلد بن أسد»[١].

(١) أخرجه إبن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٥/٣٨٠، برقم ٢٩٨٤، والآجري في الشريعة ٥/٢١٩١، برقم ١٦٨٠، والحاكم في مستدركه ٣/٢٠٠، برقم ٤٨٣٥، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/١١١، برقم ١٣٤٢٣.

المسألة الثانية: أول أهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحوقاً به بعد وفاته.

فاطمة الزّهراء، بنت إمام المتقين رسول اللَّه، محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب بن هاشم، الهاشميّة، صلّى اللَّه على أبيها وآله وسلّم ورضي عنها، فقد كانت أصغر بناته، وأحبهن إليه [١].

ومناقبها عديدة، فهي سيدة نساء أهل الجنة، وقد أصيبت بفقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون غيرها من بناته، فإنهن متن في حياته فكن في صحيفته ومات هو في حياتها فكان في صحيفتها[٢].

وهي أول أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحوقاً به بعد وفاته، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**مرحبا بابنتي**» ثم أجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثا فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثا فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن، فسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فسألتها، فقالت: أسر إلي: «**إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي**»، فبكيت، فقال: «**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين**» فضحكت لذلك[١].

(١) ينظر: الإصابة لابن حجر ٢٦٢/٨.
(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر ٤٤/١١.
(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة ، ٢٠٣/٤، برقم ٣٦٢٣.

المطلب الرابع: أول خلاف وقع بين الصحابة.

الإختلاف بين البشر سنة من سنن الله تعالى في عباده، فلا تزال العقول والأفهام متفاوتة، لذا لايزال الإختلاف موجوداً، سواءً كان في اختلاف الأديان أو ما هو دونه، ولكن الخلاف المذموم هو الاختلاف في أصول الدين، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[(١)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: « يخبر تعالى أنه قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة، من إيمان أو كفران كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[(٢)]، وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم»[(٣)].

وأول خلاف وقع في أصول الدين ما كان في زمن نوح عليه السلام، فبني آدم كلهم كانوا على التوحيد، حتى حدث الشرك في قوم نوح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: « أن الخلاف ما زال بين بني آدم من زمن نوح، واختلاف الناس قبل المسلمين أعظم بكثير من اختلاف المسلمين، وقد قال تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[(١)]،قال ابن عباس: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، ثم اختلفوا بعد ذلك»، وقال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾[(٢)]»[(٣)]

---

(١) سورة هود، آية:١١٨، ١١٩.

(٢) سورة يونس، آية:٩٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٣٦١.

(١) سورة البقرة، آية:٢١٣.

(٢) سورة يونس، آية:١٩.

(٣) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٦/٣٠٨.

ومجرد الإختلاف لا يعد قدحاً بذاته إلا إن كان عن هوى، فالخلاف وقع بين الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عدة أمور، وينتهي بسؤالهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عما اختلفوا فيه، والقضاء بينهم في ذلك.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقع الخلاف بين الصحابة، ولكنه من جنس الخلاف الذي كان في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ليس للنفس فيه حظ أو نصيب، فينتهي عند إصابة الدليل.

وأول خلاف وقع بين الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما كان في أمر وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، فعن عن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مات وأبو بكر بالسنح، – قال: إسماعيل[1] يعني بالعالية – فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر، فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقبله، قال: بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[2]، قال: فنشج الناس يبكون»[3].

---

(١) إسماعيل بن عبد الله بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو عبد الله، ابن أبي أويس المدني، صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه، من العاشرة، مات سنة ٢٢٦هـ، ينظر: تقريب التهذيب ١٠٨/١.

(١) سورة الزمر، آية: ٣٠.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٤٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو كنت متخذا خليلا»، ٦/٥، برقم ٣٦٦٧.

وقل في الخلاف الذي وقع بينهم في مكان دفنه صلى الله عليه وآله وسلم مثل ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا ما نسيته، قال: «**ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه**»، ادفنوه في موضع فراشه[1]، فعادوا إلى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وكذلك في الخلاف الذي وقع بين المهاجرين والأنصار في الأحق منهم بالخلافة مثل ذلك، فعادوا إلى بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قال عبد القاهر البغدادي: «وأول خلاف وقع منهم اختلافهم في موت النبي عليه السلام فزعم قوم منهم أنه لم يمت وإنما أراد الله تعالى رفعه اليه كما رفع عيسى بن مريم اليه وزال هذا الخلاف وأقر الجميع بموته حين تلا عليهم أبو بكر الصديق قول الله لرسوله عليه السلام إنك ميت وإنهم ميتون وقال لهم من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت ثم اختلفوا بعد ذلك في موضع دفن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأراد أهل مكة رده الى مكة لانها مولده ومبعثه وقبلته وموضع نسله وبها قبر جده إسماعيل عليه السلام وأراد أهل المدينة دفنه بها لأنها دار هجرته ودار أنصاره وقال آخرون بنقله الى أرض القدس ودفنه ببيت المقدس عند قبر جده إبراهيم الخليل عليه السلام وزال هذا الخلاف بأن روى لهم أبو بكر الصديق عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الأنبياء يدفنون حيث يقبضون فدفنوه في حجرته بالمدينة ثم اختلفوا بعد ذلك في الامامة وأذعنت الانصار الى البيعة لسعد بن عبادة الخزرجي وقالت قريش ان الإمامة لا تكون الا في قريش ثم أذعنت الانصار لقريش لما روى لهم قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأئمة من قريش»[1]

فالمراد أن الصحابة ما إن يختلفوا في أمر حتى يحكموا الكتاب والسنة، فهم أكمل الأمة اتباعاً للكتاب والسنة، لذا لم يكن هناك خلاف حقيقي، صادر عن هوى، أو خلاف في أصول الدين.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٣/٣٢٩، برقم ١٠١٨، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ٣/١٨.

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ١/١٢.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الإمامة.

قبل الشروع في الحديث عن الأولية في المسائل العقدية المتعلقة بالإمامة، يحسن بنا معرفة المعنى اللغوي والاصطلاحي للإمامة، وبيان أهمية الإمامة في الإسلام.

تأتي الإمامة في اللغة بمعنى التقدم، فيقال: فلان يؤم القوم، أي: يتقدمهم، ومنه أخذ لفظ: الأمام، وكذلك قولهم: فلان إمام القوم، معناه: هو المتقدم لهم[(١)].

وأما تعريفها في الاصطلاح، فهناك عدة تعاريف للإمامة، وجميعها تدور حول القيام بمصالح العباد الدينية والدنيوية، ومن أهمها تعريف الماوردي[(٢)] لها، حيث قال: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا»[(٣)].

وفي الحديث عن أهمية الإمامة يقول الماوردي: « فإن الله جلت قدرته ندب للأمة زعيماً خلف به النبوة، وحاط به الملة، وفوض إليه السياسة؛ ليصدر التدبير عن دين مشروع، وتجتمع الكلمة على رأي متبوع، فكانت الإمامة أصلا عليه استقرت قواعد الملة، وانتظمت به مصالح الأمة حتى استثبتت بها الأمور العامة، وصدرت عنها الولايات الخاصة، فلزم تقديم حكمها على كل حكم سلطاني، ووجب ذكر ما اختص بنظرها على كل نظر ديني؛ لترتيب أحكام الولايات على نسق متناسب الأقسام، متشاكل الأحكام»[(١)].

لذا يتضح أن من أعظم الواجبات التي قررها الشارع الحكيم، هي نصب ولي الأمر أو الأمام أو الأمير، وهي إذا أطلقت فالمراد بها الإمامة العظمى، والذي من شأنه أن يقوم بإقامة شرع الله تعالى، وإقامة المصالح الدنيوية، فمن يفصل في المنازعات، ومن يؤدي الحقوق إلى أهلها سوى ولي الأمر أو من ينوبه من الأمراء، ومن يدفع صولة العدو.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٥/٤٥٨، مادة (أم).

(٢) علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، أبو الحسن، مات في ربيع الأول سنة ٤٥٠هـ، وقد بلغ ٨٦سنة، ينظر: سير أعلام النبلاء ١٨/٦٤.

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي ١/١٥.

(١) المصدر نفسه ١/١٣.

والإمارة إذا قيدت فتكون الإمارة على الوظائف العامة، كالإمارة على الجيوش والسرايا والتي تكون بإذن ولي الأمر، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الإمام الأعظم، يعقد الألوية للجيوش والسرايا[١]، وهذا الأصل في فعلها، ولو لم تكن واجبة لما فعلها النبي صلى الله عليه وسلم، كما جاء عن سليمان بن بريدة[٢]، عن أبيه، قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً...**»[٣].

وهذه وتلك إذا فقدت عمّت الفوضى بين الناس، فلا رادع يردعهم، إلا ما كان من خوف الله تعالى، ولذا كان واجباً تنصيب الأمير، سواءً أكان ذلك في الإمامة العظمى أو مادونها في مختلف الأمور، ليرجع إليه الناس، فيصدروا عن أمره ونهيه، لذا قال الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

ومن ينظر إلى واقعنا المعاصر اليوم يجد أن هذا الأمر بالذات، غير محترم، وأغلب العامة من الناس طاعتهم للأمير في الظاهر، ربما تكون خوفاً من العقاب فقط، ولا ينظر لها أنها من الدين، ولذا ضعف تعظيمها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « فالواجب اتخاذ الأمارة دينا وقربة يتقرب بها إلى الله؛ فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات»[١].

ويكفي في بيان أهمية الإمامة أنها واجبة بإجماع الأمة، كما ذكر ذلك الماوردي فقال: «وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع»[٢].

والسمع والطاعة لمن ولاه الله على المسلمين، كان أمراً حتمياً عند سلف هذه الأمة، كما في قصة الأمير الذي أمر أصحابه بدخول النار، فهموا بدخولها طاعة له، من شدة

---

(١) ينظر: إعانة المستفيد للشيخ صالح الفوزان ٢٨٧/٢.

(٢) سليمان بن بريدة بن الحصيب الأسلمي المروزي، قاضيها، ثقة، من الثالثة، مات سنة ١٠٥هـ، وله ٩٠سنة، ينظر: تقريب التهذيب ٢٥٠/١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الامراء، ١٣٥٧/٣، برقم ١٧٣١

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٩١/٢٨.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي ١٥/١.

تعظيمهم للسمع والطاعة، فعن علي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث جيشا وأمر عليهم رجلا، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأجج نارا وأمرهم أن يقتحموا فيها، فأبى قوم أن يدخلوها وقالوا: إنما فررنا من النار، وأراد قوم أن يدخلوها، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «**لو دخلوها أو دخلوا فيها لم يزالوا فيها**». وقال: «**لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف**»[1].

وأما اليوم فلا تجد من يتخذ السمع والطاعة ديناً يتقرب به إلى الله تعالى، إلا من سلك سبيل السلف الصالح، ودليل ضعف هذا الأمر في نفوس المسلمين اليوم، خروج كثير من أبناء المسلمين إلى القتال تحت رايات عمية، في عدد من البلدان، مع أنه من الأصول المقررة في عقيدة أهل السنة والجماعة، هو أنه لا جهاد إلا مع ولي الأمر براً كان أم فاجراً.

لذا ينبغي تعليم أبناء المسلمين منذ الصغر، أدب السمع والطاعة، للوالدين، ولولي الأمر، ولكل من له فضل عليهم، وتعليميهم حقوق ولاة الأمر على عامة المسلمين، بل إن إفراد مصنفات تعنى بذلك تتعين في هذا الزمان، بل وإدخالها ضمن المناهج الدراسية.

وأما المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في الإمامة، فقد جعلتها في خمسة مطالب وهي:

المطلب الأول: أول خليفة من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

المطلب الثاني: أول ملوك الإسلام.

المطلب الثالث: أول من تنازل عن الخلافة لحقن دماء المسلمين.

المطلب الرابع: أول أمير أمر في الإسلام.

المطلب الخامس: أول من بايع تحت الشجرة.

---

(١) أخرجه أبي داود في سننه ٤٠/٣، برقم ٢٦٢٥، وقال الألباني في صحيح أبي داود ٣٧٥/٧: «إسناده صحيح على شرط البخاري. وقد أخرجه هو ومسلم وأبوعوانة في صحاحهم»

المطلب الأول: أول خليفة من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

أول من باشر الخلافة والإمامة من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، هو الصحابي الجليل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهذا معلوم باتفاق أهل السير في ذلك، فلم يقل أحد بغير ذلك، حتى من أعداء أهل السنة والجماعة.

نسبه: هو عبد اللَّه بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤيّ القرشي التميمي، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة، خليفة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلّم(١).

وروت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، كيف تمت البيعة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقالت: «...واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاما قد أعجبني، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير، ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارا، وأعربهم أحسابا، فبايعوا عمر، أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس...»(١).

قال الطحاوي رحمه الله: «ونثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة»(٢).

قال ابن حجر رحمه الله: «وأن الإجماع انعقد بآخره بين أهل السنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة رضي الله عنهم أجمعين»(٣).

---

(١) الإصابة لابن حجر ٤/١٤٥.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو كنت متخذا خليلا»، ٥/٦، برقم ٣٦٦٧.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢/٦٩٨.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٧/٣٤.

المطلب الثاني: أول ملوك الإسلام.

أول ملوك الإسلام، هو الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وهذا ما دل عليه حديث سفينة رضي الله عنه[١]، قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم يكون ملك» ثم قال سفينة: أمسك، خلافة أبي بكر وخلافة عمر ثنتا عشرة سنة وستة أشهر وخلافة عثمان ثنتا عشرة سنة وستة أشهر ثم خلافة علي تكملة الثلاثين، قلت: فمعاوية؟ قال: كان أول الملوك[٢].

نسبه: معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأمويّ، أمير المؤمنين[٣].

وكان معاوية رضي الله عنه أليق بالملك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، يقول: «ما رأيت رجلا كان أخلق للملك من معاوية، إن كان الناس ليردون منه على وادي الرحب ولم يكن كالضيق الحصيص[١]، الضجر المتغضب»[٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «فأيام معاوية أول الملك، فهو أول ملوك الإسلام وخيارهم»[٣].

عن ابن عمر رضي الله عنه، قال : «ما رأيت أحدا بعد رسول الله أسود من معاوية»، قيل : ولا أبو بكر ؟ قال : «ولا أبو بكر، قد كان أبو بكر خيرا منه، وكان أسود منه» قيل :

---

(١) سفينة مولى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، اختلف في اسمه على واحد وعشرون قولا، وكان أصله من فارس فاشترته أمّ سلمة، ثم أعتقته واشترطت عليه أن يخدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ينظر: الاستيعاب ٦٨٤/٢، أسد الغابة ٢٥٩/٢، الإصابة ١١١/٣.

(٢) أخرجه الطيالسي في مسنده ٤٣٠/٢، برقم ١٢٠٣، وأحمد في مسنده ٢٥٦/٣٦، برقم ٢١٩٢٨، والترمذي في مسنده ٥٠٣/٤، برقم ٢٢٢٦، والنسائي في السنن الكبرى ٣١٣/٧، برقم ٨٠٩٩، والبيهقي في الاعتقاد ٣٣٣/١، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٨٢٠/١.

(٣) الإصابة لابن حجر ١٢٠/٦.

(١) أي أنه يضبط الأمور، فلم يكن ضيق الخلق ولا ضيق المال، فلذلك كان أليق بالملك، ينظر: السنة لأبي بكر الخلال ٤٤٠/٢، برقم ٦٧٧.

(٢) أخرجه معمر في جامعه ٤٥٣/١١، برقم ٢٠٩٨٥، وأبو بكر الصنعاني في الأمالي ٧٤/١، برقم ٩٧، والخلال في السنة ٤٤٠/٢، برقم ٦٧٧.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٤٣/١١.

ولا عمر ؟ قال : «والله لقد كان عمر خيرا منه ولكنه كان أسود منه»، قيل : ولا عثمان ؟ قال : «والله إن كان عثمان لسيدا ولكنه كان أسود منه»[١].

(١) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ١/٣٧٩، برقم ٥١٦.

المطلب الثالث: أول من تنازل عن الخلافة لحقن دماء المسلمين.

أول من تنازل عن الخلافة من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لحقن دماء المسلمين، هو الحسن بن علي رضي الله عنه، سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

نسبه: هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي، سبط رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته، أمير المؤمنين أبو محمد[1].

وكانت الخلافة قد آلت إليه بعد مقتل أبيه، الخليفة الراشد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد بايعه المسلمون في الحجاز والعراق، فسار قاصداً معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في الشام، فالتقى المؤمنون، فتنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه حقناً لدماء المسلمين، وقدكان ينهى أبيه رضي الله عنهما عن الدخول في القتال.

فعن قيس بن عباد[2] قال: قال علي يوم الجمل: يا حسن، يا حسن، ليت أباك مات منذ عشرين سنة، فقال له: يا أبه قد كنت أنهاك عن هذا، قال: يا بني إني لم أر أن الأمر يبلغ هذا، وقال مبارك بن فضالة[1]، عن الحسن، عن أبي بكرة[2]: لما اشتد القتال يوم الجمل، ورأى علي الرءوس تندر، أخذ علي ابنه الحسن، فضمه إلى صدره، ثم قال: إنا لله يا حسن! أي خير يرجى بعد هذا! [3].

وقد علم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، كره الحسن بن علي رضي الله عنهما لإراقة دماء المسلمين، فلذلك أرسل إليه من يكلمه في الصلح، فعن أبي موسى، قال: سمعت الحسن، يقول: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص:

---

(١) الإصابة لابن حجر ٤/١٤٥.

(٢) قيس بن عباد القيسي الضبعي، أبو عبد الله البصري، تابعي ووهم من عده في الصحابة، ثقة قليل الحديث، قدم المدينة في خلافة عمر، وهو ممن خرج في فتنة ابن الأشعث فقتله الحجاج، مات بعد سنة ٨٠هـ، ينظر: أسد الغابة ٤/ ١٣٥، الإصابة ٥/٤٠٢، تقريب التهذيب ١/ ٤٥٧.

(١) مبارك بن فضالة، أبو فضالة البصري، صدوق يدلس ويسوي، من السادسة مات سنة ٦٦هـ، على الصحيح، ينظر: تقريب التهذيب ١/ ٥١٩.

(٢) نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن عبدة بن عوف بن قسي الثقفي، أبو بكرة صحابي مشهور بكنيته، أسلم يوم الطائف، ثم نزل البصرة ومات بها سنة ٥١هـ، وقيل ٥٢هـ، ينظر: الإستيعاب ٤/ ١٦١٤، أسد الغابة ٤/٥٧٨.

(٣) أورده ابن كثير في البداية والنهاية ١٠/٤٥٦.

إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية وكان والله خير الرجلين: أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس من لي بنسائهم من لي بضيعتهم، فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس: عبد الرحمن بن سمرة[(١)]، وعبد الله بن عامر بن كريز[(٢)]، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه، وقولا له: واطلبا إليه، فأتياه، فدخلا عليه فتكلما، وقالا له: فطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب، قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك قال: فمن لي بهذا، قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئا إلا قالا: نحن لك به، فصالحه، فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى ويقول: «**إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ثم إن عبد الرحمن بن ملجم[(٢)] من هؤلاء المارقين، قتل أمير المؤمنين عليا فصار إلى كرامة الله ورضوانه شهيدا، وبايع الصحابة للحسن ابنه، فظهرت فضيلته التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح حيث قال: «**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**» فنزل عن الولاية وأصلح الله به بين الطائفتين، وكان هذا مما مدحه به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأثنى عليه، ودل ذلك

---

(١) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس العبشمي، يكنى أبا سعيد، أسلم يوم الفتح، شهد غزوة تبوك، ونزل البصرة، وبها توفي سنة ٥٠هـ، وقيل ٥١هـ، ينظر: الاستيعاب ٢/٨٣٥، أسد الغابة ٣/٣٥٠، الإصابة ٤/٢٦٣.

(٢) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن عبد شمس العبشمي، ولد على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأتي به إليه وهو صغير، جوادا شجاعا ميموناً، مات سنة ٥٧هـ، وقيل ٥٨هـ، ينظر: الاستيعاب ٣/ ٩٣٢، أسد الغابة ٣/ ١٨٤، الإصابة ٥/١٤.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين»، ٣/١٨٦، برقم ٢٧٠٤.

(٢) عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قرأ القرآن على معاذ بن جبل، وكان من العباد، فصار من الأشقياء، ينظر: الوافي بالوفيات ١٨/١٧١.

على أن الإصلاح بينهما مما يحبه الله ورسوله ويحمده الله ورسوله، ثم إنه مات وصار إلى كرامة الله ورضوانه»[١].

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ١/١٩٩.

المطلب الرابع: أول أمير أمر في الإسلام.

تقدم في التمهيد لهذا المبحث، بيان أن الإمارة قد تكون إمارةً عامة، وهي المراده بالامامة العظمى وهي الأصل، وقد تأتي مقيدة كالإمارة على الجيوش والسرايا، وهذه داخلة في تلك، فمن إطاعة السلطان إطاعة أمراءه، وهذه المرادة هنا.

فالأمام الأعظم لا يستطيع أن يباشر كل الأمور بنفسه، فكان لا بد له من تفويض بعض المسؤوليات لمن يرى أنهم أصلح للقيام بها، فمنهم من يصلح للقضاء دون قيادة الجيوش، ومن يصلح لولاية الأقاليم دون غيرها.

فلا بد من نصب الأمراء، لأن الفوضى وعدم وجود الولاة فيه مفاسد عظيمة، وفيه شر كبير، فتأمير الأمراء سواء على الأقاليم أو على الجيوش أو على السرايا يرجع فيه إلى ولي الأمر، هو الذي يؤمر وهو الذي يعزل، لأن ذلك من صلاحياته في حدود ما شرعه الله سبحانه وتعالى[(١)].

وأن يراعي القوة والأمانة لمن سيوليه في كل مجال بحسبه، فالقوة مختلفة بحسب الأمر، والأمانة مشتركة في الجميع، وهذه القاعدة مستفادة من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾[(١)].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيجب على كل من ولي شيئا من أمر المسلمين من هؤلاء وغيرهم أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه ولا يقدم الرجل لكونه طلب الولاية أو سبق في الطلب بل يكون ذلك سببا للمنع»[(٢)].

وقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر، وبيان أهمية ذلك، فمن ذلك، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي

---

(١) ينظر: إعانة المستفيد للشيخ صالح الفوزان ٢٨٧/٢ وما بعدها.

(١) سورة القصص، آية:٢٦.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٤٨/٢٨.

ﵟٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﵞ[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﵟيَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖﵞ، قال: «نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي رضي الله عنه إذ بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سرية»[(٢)].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله بعد أن أورد عدد من الأقوال في تفسير قوله تعالى: ﵟوَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖﵞ : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هم الأمراء والولاة لصحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله طاعة، وللمسلمين مصلحة»

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني**» [(١)].

وأما أول أمير أمر في الإسلام، فكان عبد الله بن جحش الأسدي رضي الله عنه[(٢)]، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة جاءته جهينة، فقالوا: إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا حتى نأتيك وتؤمنا، فأوثق لهم فأسلموا، قال: فبعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رجب، ولا نكون مائة، وأمرنا أن نغير على حي من بني كنانة إلى جنب جهينة، فأغرنا عليهم وكانوا كثيرا، فلجأنا إلى جهينة فمنعونا، وقالوا: لم

---

(١) سورة النساء، آية:٥٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﵟأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖﵞ، ٤٦/٦، برقم ٤٥٨٤.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب قوله: ﵟأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖﵞ، ٦١/٩، برقم ٧١٣٧.

(٢) عبد اللَّه بن جحش بن رياب بن يعمر الأسدي، حليف بني عبد شمس، أحد السابقين، هاجر إلى الحبشة، وشهد بدراً، ودفن هو وحمزة في قبر واحد، وكان له يوم قتل نيف وأربعون سنة، ينظر: الاستيعاب ٨٧٧/٣، أسد الغابة ٩٠/٣، الإصابة ٣١/٤.

تقاتلون في الشهر الحرام، فقلنا: إنما نقاتل من أخرجنا من البلد الحرام في الشهر الحرام، فقال بعضنا لبعض: ما ترون؟ فقال بعضنا: نأتي نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم فنخبره، وقال قوم: لا بل نقيم هاهنا، وقلت أنا في أناس معي: لا، بل نأتي عير قريش فنقتطعها، فانطلقنا إلى العير وكان الفيء إذ ذاك، من أخذ شيئا فهو له، فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبروه الخبر، فقام غضبان محمر الوجه فقال: «**أذهبتم من عندي جميعا وجئتم متفرقين إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة، لأبعثن عليكم رجلا ليس بخيركم، أصبركم على الجوع والعطش**»، فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدي فكان أول أمير أمر في الإسلام»[1]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «أول راية عقدت في الإسلام لعبد الله بن جحش»[1].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١١٩/٣، برقم ١٥٤٠، والبيهقي في السنن الكبرى ٥١٥/٦، برقم ١٢٨١٩، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٦٨/٧، برقم ٣٥٩٦٧، وضعف إسناده الألباني في السلسلة الضعيفة ٢٥٣/٦.

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ٢٢٠/٣، برقم ٤٩٠٣، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

المطلب الخامس: أول من بايع تحت الشجرة.

وهي بيعة الرضوان، التي ذكرها الله تعالى في كتابه، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[(١)].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: لقد رضي الله يا محمد عن المؤمنين ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ يعني بيعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسول الله بالحديبية حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب، وعلى أن لا يفروا، ولا يولوهم الدبر تحت الشجرة، وكانت بيعتهم إياه هنالك فيما ذكر تحت شجرة.

وكان سبب هذه البيعة ما قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه برسالته إلى الملإ من قريش، فأبطأ عثمان عليه بعض الإبطاء، فظن أنه قد قتل، فدعا أصحابه إلى تجديد البيعة على حربهم على ما وصفت، فبايعوه على ذلك، وهذه البيعة التي تسمى بيعة الرضوان، وكان الذين بايعوه هذه البيعة فيما ذكر في قول بعضهم: ألفا وأربع مئة، وفي قول بعضهم: ألفا وخمس مئة، وفي قول بعضهم: ألفا وثلاث مئة»[(١)].

ثم ذكر بسنده الرواية في سبب هذه البيعة فقال: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين بلغه أن عثمان قد قتل، قال: لا نبرح حتى نناجز القوم، ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الموت فكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يبايعنا على الموت، ولكنه بايعنا على أن لا نفر، فبايع رسول الله الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة، كان جابر بن عبد الله يقول: لكأني أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته، قد اختبأ إليها، يستتر بها من الناس، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل»[(٢)].

---

(١) سورة الفتح، آية:١٨.

(١) جامع البيان للطبري ٢٧٢/٢١.

(٢) المصدر نفسه ٢٧٣/٢١.

وفي فضل من بايع تحت الشجرة، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة، إلا صاحب الجمل الأحمر**»[(١)]

وعن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة**»[(٢)].

وقد ذُكِر أن أول من بايع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، تحت الشجرة، هو أبو سنان بن وهب الأسدي[(١)] رضي الله عنه، كما أخرج الطبري بسنده عن الشعبي رحمه الله، قال: «**كان أول من بايع بيعة الرضوان رجل من بني أسد يقال له أبو سنان بن وهب**»[(٢)].

وفي رواية عن الشعبي أيضاً قال: «أول من بايع تحت الشجرة أبو سنان بن وهب الأسدي أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أبايعك ، قال: «**علام تبايعني؟**» قال: أبايعك على ما في نفسك ، فبايعه الناس بعد»[(٣)].

وفي رواية أخرى، قال: «أول من بايع بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي»[(٤)].

وعنه أيضاً، قال: «أتاني رجلان يتفاخران، رجل من بني عامر ورجل من بني أسد، والعامري آخذ بيد الأسدي، والأسدي يقول: دعني. وهو يقول: والله لا أدعك. فقلت: يا أخا بني عامر، دعه، وقلت للأسدي: إنه كان لكم خصال ست لم تكن لأحد من العرب: إنه كانت منكم امرأة خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزوجه الله إياها، وكان السفير بينهما جبريل عليه السلام: زينب بنت جحش، فكانت هذه لقومك، وكان منكم رجل من

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٦٩٦/٥، برقم ٣٨٦٣، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، والبزار في مسنده ١٢/١١، برقم ٤٦٨٢ ،وضعفه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٩٢/٥ ،لتفرد خداش بالاستثناء
(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٩٣/٢٣، برقم ١٤٧٧٨، وأبو داود في سننه ٢١٣/٤، برقم ٤٦٥٣، والترمذي في سننه ٦٩٥/٥، برقم ٣٨٦٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٢٧١/٢.

(١) عبد اللَّه، ويقال وهب بن عبيد اللَّه، أبوسنان بن وهب الأسدي، مشهور بكنيته، قيل أنه أخو عكاشة بن محصن، والتحقيق أنه غيره، لأن أبو سنان هذا أول من بايع تحت الشجرة، وذاك توفي سنة ٥هـ، عند حصار بني قريضة، والله أعلم، ينظر: الاستيعاب ١٦٨٤/٤، أسد الغابة ١٥٧/٥، الإصابة١٦٢/٧.
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٧٤/٢١.
(٣) أخرجه إبن أبي شيبة في مصنفه ٢٥٤/٧، برقم ٣٥٨٠٨.
(٤) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ٨٨٩/٢، برقم ١٦٨٩، والخلال في السنة ٩٧/١، برقم ٣٦.

أهل الجنة يمشي على الأرض مقنعا وهو عكاشة بن محصن، وكانت هذه لقومك، وكان أول لواء عقد في الإسلام لرجل منكم لعبد الله بن جحش، وكانت هذه لقومك، وكان أول مغنم قسم في الإسلام مغنم عبد الله بن جحش، وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجل من قومك أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، ابسط يدك حتى أبايعك، فقال: «**على ماذا؟**» قال: على ما في نفسك، قال: «**وما في نفسي**» قال: «الفتح أو الشهادة»، فبايعه أبو سنان، وكان الناس يجيئون فيقولون: نبايع على بيعة أبي سنان، فكانت هذه لقومك، وكانوا سبع المهاجرين يوم بدر، فكانت هذه لقومك»[1].

وأخرج أبي إسحاق بسنده: «أول من انتهى إلى النبي عليه السلام يوم البيعة أبو سنان الأسدي، فقال له النبي عليه السلام: «**علام تبايع؟**» قال: على ما في نفسك»[1]

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/٣١٥.
(١) أخرجه أبي إسحاق في السير ١/١٩٦، برقم ٢٨٧.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في أصول الفرق.

قبل الشروع في الحديث عن الأولية في المسائل العقدية المتعلقة بالفرق، يحسن بنا معرفة المعنى اللغوي والاصطلاحي للفرق، وبيان أهمية معرفة زمن نشوء الفرق في الإسلام.

الفِرقُ تطلق على طائفة من الناس ومن كل شيء، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[1]، يريد من الماء، والفَريقُ من الناس أكثر من الفِرْق.

والفُرْقةُ مصدر الافترِاقِ، وفارق الشيء مفارقة وفراقا: باينه، والاسم الفرقة، وتفارق القوم: فارق بعضهم بعضاً، وفارق فلان امرأته مفارقة وفراقا: باينها، والفرق والفرقة والفريق: الطائفة من الشيء المتفرق، والفرقة: طائفة من الناس، والفريق أكثر منه، والافتراق ضد الإجتماع[1].

وفي الإصطلاح، يمكن القول بأن الإفتراق في الدين، هو: الإفتراق عن الصراط الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، إلى سبل مختلفة، ولم يبق على هذا الصراط إلا أهل السنة والجماعة.

وهذا المبحث له أهمية عظيمة، لأن معرفة زمن نشوء الفرق، يتبين من خلاله أن هؤلاء المخالفين، إنما خرجوا عن الجادة، التي كان عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، ولزمها أهل السنة والجماعة.

وحيث أنها نشأت في أزمان متأخرة عن زمن النبوة، فهذا دليل عقلي أنها مخالفة لما جاء به المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وأنهم على غير هدى، مخالفون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وسلف الأمة.

كذلك أهمية معرفة الفرق، وأصولها، ومعتقداتها، وزمن نشوءها، مهم للرد على المخالفين، كما كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث قال في بعض مناظراته « أنا

---

(١) سورة الشعراء، آية:٦٣.

(١) ينظر:العين للخليل ٥/١٤٧، تهذيب اللغة للأزهري ٩/٩٨، لسان العرب لابن منظور ١٩/٣٠٠، مادة (فرق).

أعلم كل بدعة حدثت في الإسلام وأول من ابتدعها وما كان سبب ابتداعها»[١]، وقال أيضاً: «كل من خالفني في شيء مما كتبته فأنا أعلم بمذهبه منه»[٢]

وينبغي إيضاح أن هذه الفرق، إنما كان سبب نشوءها أشخاص، خالفوا الأصل، وهو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، وأجمع عليه سلف الأمة، فنسبت هذه الفرق إليهم.

وهذه الفرق جميعها مخالفة للكتاب والسنة، فكلما بعدت عن الكتاب والسنة، كلما زاد تفرقها وتشرذمها إلى فرق ونحل، وتشتت، لإنه لا يجمعها أصل ثابت، إنما تنشأ عن الأهواء، وتختلف باختلاف العقول والأفهام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر مني؛ بل يؤخذ عن الله ورسوله وما أجمع عليه سلف الأمة؛ فما كان في القرآن وجب اعتقاده وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم»[١].

وأما المسائل العقدية المتعلقة بالأولية في أصول الفرق، فقد جعلتها في ستة مطالب وهي:

المطلب الأول: أول من خرج على إمام المسلمين.

المطلب الثاني: أول من قال بالإرجاء.

المطلب الثالث: أول من عُرف بالتشبيه.

المطلب الرابع: أول من قال بالرفض.

المطلب الخامس: أول من قال بالتعطيل.

المطلب السادس: أول من رمى أهل السنة بالحشوية.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٨٤/٣.

(٢) المصدر نفسه ١٦٣/٣.

(١) المصدر نفسه ١٦١/٣.

المطلب الأول: أول من خرج على إمام المسلمين.

إمام المسلمين هو صاحب الإمامة العظمى، والسمع والطاعة له واجبة، ما لم يأمر بمعصية، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[(١)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية، فإذا أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة**»[(٢)].

وعن عبادة بن الصامت، قال: «**بايعنا رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم**»[(١)].

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك**»[(٢)].

قال ابن بطال رحمه الله: « والذى عليه جمهور الأمة أنه لا يجب القيام عليهم ولا خلعهم إلا بكفرهم بعد الإيمان وتركهم إقامة الصلوات، وأما دون ذلك من الجور فلا يجوز الخروج عليهم إذا استوطأ أمرهم وأمر الناس معهم؛ لأن فى ترك الخروج عليهم تحصين الفروج والأموال وحقن الدماء، وفى القيام عليهم تفرق الكلمة وتشتت الألفة»[(٣)].

وقال أيضاً بعد أن ساق عدة أحاديث في السمع والطاعة وعدم الخروج على إمام المسلمين: «في هذه الأحاديث حجة فى ترك الخروج على أئمة الجور، ولزوم السمع والطاعة لهم، والفقهاء مجمعون على أن الإمام المتغلّب؛ طاعته لازمة، ما أقام الجمعات والجهاد، وأن طاعته خير من الخروج عليه؛ لما فى ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء[(٤)]، ألا ترى قوله

---

(١) سورة النساء، آية:٥٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب السمع والطاعة، ٤٩/٤، برقم ٢٩٥٥.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام ، ٧٧/٩، برقم ٧١٩٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء ، ١٤٦٧/٣، برقم ١٨٣٦.

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال ١٢٦/٥.

(٤) الدهماء: جماعة الناس، وعامتهم، ينظر: تهذيب اللغة ١٢٥/٦.

صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: «**سترون بعدى أثرةً وأمورًا تنكروها**»[١]، فوصف أنهم سيكون عليهم أمراء يأخذون منهم الحقوق ويستأثرون بها، ويؤثرون بها من لا تجب له الأثرة، ولا يعدلون فيها، وأمرهم بالصبر عليهم والتزام طاعتهم على ما فيهم من الجور»[٢].

وعدم السمع والطاعة لإمام المسلمين، يعني معصيته، وأشد من ذلك هو الخروج عليه، لما في ذلك من تفرق وتشتت المسلمين، ويكون سبيلاً لتسلط أعداء الإسلام عليهم، ولو مات كانت ميتته جاهلية.

فعن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية**»[١].

وعنه أيضاً، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، إلا مات ميتة جاهلية**»[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: «المراد بالمفارقة السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء، فكني عنها بمقدار الشبر لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق قوله مات ميتة جاهلية ... والمراد بالميتة الجاهلية وهي بكسر الميم حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له إمام مطاع، لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك وليس المراد أنه يموت كافرا بل يموت عاصيا ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره ومعناه أنه يموت مثل موت الجاهلي وإن لم يكن هو جاهليا، أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتنفير وظاهره غير مراد ويؤيد أن المراد بالجاهلية التشبيه»[٣].

وعلى هذا سار سلف الأمة، ولهم أقوال عدة، في الأمر بلزوم الجماعة، وعدم الخروج على ولي الأمر، فمنها:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب«سترون بعدي أمورا »، ٤٧/٩، برقم ٧٠٥٢.

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال ٨/١٠.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، «سترون بعدي أمورا »، ٤٧/٩، برقم ٧٠٥٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب «سترون بعدي أمورا »، ٤٧/٩، برقم ٧٠٥٤.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٧/١٣

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: « ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع، على غير السنة والطريق»[(١)].

وعن عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: سألت أبي وأبا زرعة[(٢)] عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين ، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار ، وما يعتقدان من ذلك ، فقالا: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا وشاما ويمنا فكان من مذهبهم: ... ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة ، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عز وجل أمرنا ولا ننزع يدا من طاعة ، ونتبع السنة والجماعة ، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة، وأن الجهاد ماض منذ بعث الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة مع أولي الأمر من أئمة المسلمين لا يبطله شيء.، والحج كذلك ، ودفع الصدقات من السوائم إلى أولي الأمر من أئمة المسلمين...» [(٣)].

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة»[(٤)].

قال ابن المديني رَحِمَهُ اللَّهُ [(١)]: « لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ليلة إلا وعليه إمام ، براً كان أو فاجراً فهو أمير المؤمنين، والغزو مع الأمراء ماض إلى يوم القيامة البر

---

(١) أصول السنة لأحمد بن حنبل ص:٢٠٣.

(٢) عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشي مولاهم الرازي، أبو زرعة، إمام حافظ، ولد بالري، بعد نيف ومائتين، مات أبو زرعة في آخر يوم من سنة ٢٦٤هـ، وقد شاخ، ينظر: تذكرة الحفاظ ١٠٥/٢، سير أعلام النبلاء ٦٥/١٣، الوافي بالوفيات ٢٥٥/١٩.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١٩٧/١، برقم ٣٢١.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٥٤٠/٢.

والفاجر لا يترك، وقسمة الفيء وإقامة الحدود للأئمة ماضية ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم ، ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة قد برئ من دفعها إليهم وأجزأت عنه براً كان أو فاجراً، وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولاه جائزة قائمة ركعتان من أعادها فهو مبتدع تارك للإيمان مخالف ، وليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الجمعة خلف الأئمة من كانوا برهم وفاجرهم ، والسنة أن يصلوا خلفهم لا يكون في صدره حرج من ذلك، ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد اجتمع عليه الناس فأقروا له بالخلافة بأي وجه كانت برضا كانت أو بغلبة فهو شاق هذا الخارج عليه العصا ، وخالف الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس ، فمن عمل ذلك فهو مبتدع على غير السنة»[1].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: « والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر ومن ولي الخلافة واجتمع الناس عليه ورضوا به ومن عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، والغزو ماض مع الإمام إلى يوم القيامة البر والفاجر لا يترك وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماض ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم، ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة من دفعها إليهم أجزأت عنه برا كان أو فاجرا»[2].

وقال الإمام البخاري رحمه الله: « وأن لا ننازع الأمر أهله لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله ، وطاعة ولاة الأمر ، ولزوم جماعتهم ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»[3] ، ثم أكد في قوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ

---

(١) علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم البصري، أبو الحسن، عرف بابن المديني، أمير المؤمنين في الحديث، ولد بالبصرة سنة ١٦١هـ، ومات سنة ٢٣٤هـ، ينظر: ميزان الاعتدال ١٣٨/٣، سير أعلام النبلاء ١٠٤/٩، طبقات الشافعية ١٤٥/٢.

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١٨٥/١، برقم ٣١٨.

(٢) أصول السنة لأحمد بن حنبل ص:١٩١.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه ٨٤/١، برقم ٢٣٠، بنحوه، واللالكائي في شرح أصول أعتقاد أهل السنة ١٩٣/١، برقم ٣٢٠، واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١١٤٥/٢.

﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾، وأن لا يرى السيف على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقال الفضيل رحمه الله[(١)]: «لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام؛ لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد»، قال ابن المبارك رحمه الله[(١)]: «يا معلم الخير، من يجترئ على هذا غيرك»[(٢)].

وقال ابن أبي زمنين رحمه الله[(٣)]: «ومن قول أهل السنة أن السلطان ظل الله في الأرض، وأنه من لم ير على نفسه سلطانا براً كان أو فاجرا فهو على خلاف السنة»[(٤)].

وقال أيضاً: «فالسمع والطاعة لولاة الأمر أمر واجب ومهما قصروا في ذاتهم فلم يبلغوا الواجب عليهم، غير أنهم يدعون إلى الحق، ويؤمرون به، ويدلون عليه، فعليهم ما حملوا وعلى رعاياهم ما حملوا من السمع والطاعة لهم»[(٥)].

بل كانوا يدعون للسلطان، لأن في صلاحه صلاح للأمة، كما جاء عن الفضيل آنفاً، وأصرح من أقوال السلف أفعالهم، فلا أبين من موقف الصحابة مع عثمان بن عفان رضي الله عنه، حينما حوصر يوم الدار، وكان الصحابة يأتون لنصرته وليدافعوا عنه، وهو يعزم عليهم ويذكرهم بحقه عليهم من السمع والطاعة، خشية أن يهراق دم أمرءٍ مسلم، فيكفون السلاح ويخرجون من الدار سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين.

---

(١) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي المروزي، أبو علي، إمام ثقة عابد، توفي يوم عاشوراء سنة ١٨٧هـ، وقد جاوز الثمانين، ينظر: تذكرة الحفاظ ١/١٨٠، سير أعلام النبلاء ٨/٤٢١، وفيات الأعيان ٤/٤٧.

(١) عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، مولى بني حنظلة، أبو عبد الرحمن، ولد بمرو سنة ١١٨هـ، حافظ ثقة كثير الغزو، كثير الإنفاق على الإخوان في الله، توفي عندما كان قافلاً من الغزو سنة ١٨٢هـ، ينظر: تذكرة الحفاظ ١/٢٠١، سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٧٨، وفيات الأعيان ٣/٣٢.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي١/١٩٣، برقم ٣٢٠.

(٣) محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الأندلسي، الإلبيري، أبو عبد الله، معروف بابن أبي زمنين، ولد في أول سنة ٣٢٤هـ، كان صاحب جد ومجانبة للأمراء، توفي في ربيع الآخر، سنة ٣٩٩هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ١٧/١٨٨.

(٤) أصول السنة لابن أبي زمنين ١/٢٧٥.

(٥) المصدر نفسه، ١/٢٧٦.

فعن عبد الله ابن عامر بن ربيعة[١]، أنه قال: «كنت مع عثمان في الدار فقال أعزم على كل من رأى أن عليه سمعا وطاعة إلا كف يده وسلاحه فإن أفضلكم عندي غناء من كف يده وسلاحه»[٢].

وكان خروج أوباش الناس على عثمان، من المصريين وغيرهم، بتحريض من ابن السوداء عبدالله بن سبأ وأشباهه، وحصارهم له في داره، وانتهاء ذلك بقتله رضي الله عنه، أول خروج على خليفة للمسلمين، فقد شقوا عصا الطاعة، ولم يسمعوا له ولم يطيعوا، بل وقتلوه صابراً محتسباً، راغباً فيما عند الله مستمسكاً بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٣].

(١) عبد اللَّه بن عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر العنزي، أبو محمد، حليف بني عدي، أبوه من كبار الصحابة، واستشهد يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ينظر: الاستيعاب ٣/ ٩٣٠، أسد الغابة ٣/ ١٨٢، الإصابة ٤/١١٩.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ١/١٧٣.

(٣) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٠/٢٧٠ وما بعدها.

المطلب الثاني: أول من قال بالإرجاء.

الإرجاء في اللغة يأتي على معنيين:

أحدهما: بمعنى التأخير، وفي حديث توبة كعب بن مالك رضي الله عنه[١]، وأرجأ رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، أمرنا، أي أخره، وكما في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾[٢]، أي أمهله وأخره.

وإطلاق اسم المرجئة بهذا المعنى صحيح، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد

والمعنى الآخر: هو إعطاء الرجاء للفاسق.

والمعنى بهذا ظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة[٣].

وفي الاصطلاح، أختلف فيه، بحسب اختلافهم في حقيقة الإيمان، واجتمعوا في إخراج العمل عن مسمى الإيمان.

فمرجئة الفقهاء، قالوا بأن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب، فأخروا العمل عن مسمى الإيمان، وإن كانوا يجتمعون مع أهل السنة بأن الفاسق يدخل في الوعيد، وإنما قالوا بأن العمل من ثمرات الإيمان.

ومرجئة المتكلمة، قالوا بأنه لايضر مع الإيمان ذنب، وفي تعريف الإيمان هم على مذاهب:

فالكرامية، قالوا بأن الإيمان قول باللسان.

والأشاعرة، قالوا بأن الإيمان اعتقاد بالقلب.

والجهمية، قالوا بأن الإيمان هو المعرفة فقط.[٤].

---

(١) كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب بن سلمة، أبو عبد الله الأنصاري السلمي، شهد العقبة وأحداً، وتخلف عن بدر وتبوك، توفي في خلافة معاوية سنة ٥٠هـ، وقيل ٥٣هـ، وذهب بصره في آخر عمره رضي الله عنه، ينظر: الاستيعاب ٣/ ١٣٢٣، أسد الغابة ٤/ ١٨٧، الإصابة ٥/٤٥٦.

(٢) سورة الأعراف، آية:١١١.

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور ١٤/٣١١، مادة (رجا).

(٤) ينظر: التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية للشيخ صالح الفوزان ص:١٤٦.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصل قول المرجئة، وهو: أن الإيمان لا يذهب بعضه ويبقى بعضه، فلا يكون إلا شيئا واحدا فلا يكون ذا عدد؛ اثنين أو ثلاثة، فإنه إذا كان له عدد، أمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه، بل لا يكون إلا شيئا واحدا»[١].

ثم قال أيضاً: «وهذه الشبهة التي أوقعتهم مع علم كثير منهم وعبادته وحسن إسلامه وإيمانه؛ ولهذا دخل في إرجاء الفقهاء جماعة هم عند الأمة أهل علم ودين؛ ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحدا من مرجئة الفقهاء بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال، لا من بدع العقائد، فإن كثيرا من النزاع فيها لفظي، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله، لا سيما وقد صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم وإلى ظهور الفسق، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سببا لخطأ عظيم في العقائد والأعمال، فلهذا عظم القول في ذم الإرجاء»[٢].

ثم ساق جملةً من أقوال السلف في المرجئة، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال إبراهيم النخعيرَحِمَهُ اللَّهُ: لفتنتهم يعني المرجئة أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة[٣]، وقال الزهري: ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على أهله من الإرجاء، وقال الأوزاعي: كان يحيى بن أبي كثير وقتادة يقولان: ليس شيء من الأهواء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء، وقال شريك القاضي[٤] وذكر المرجئة فقال: هم أخبث قوم، حسبك بالرافضة خبثا، ولكن المرجئة يكذبون على الله، وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ[٥]: تركت المرجئة الإسلام أرق من ثوب سابري[٦] .

---

(١) الإيمان لابن تيمية ص:٣٠٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الأزارقة، إحدى فرق الخوارج، أصحاب نافع بن الأزرق، الذين خرجوا معه من البصرة إلى الأهواز، فغلبوا عليها، وعلى النواحي من حولها، في أيام عبد الله بن الزبير، ينظر: الملل والنحل ١/١١٨.

(٤) شريك بن عبد الله النخعي الكوفي، القاضي بواسط ثم الكوفة، أبو عبد الله، صدوق يخطىء كثيراً، عادلا فاضلا عابدا شديدا على أهل البدع، مات سنة ٧٧هـ، ينظر: تقريب التهذيب ١/٢٦٦.

(٥) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، ، وكان ربما دلس، مات سنة ٦١هـ، وله ٦٤ سنة، ينظر: تقريب التهذيب ١/٢٤٤.

(٦) السابري: ضرب من الثياب رقيق، ينظر: الصحاح ٢/٦٧٥.

وقال قتادة: إنما حدث الإرجاء بعد فتنة فرقة ابن الأشعث[(١)]»[(٢)].

وهم يتفقون مع الخوارج في أن أصل الإيمان واحد، ولكن الفرق أن المرجئة يقولون أنه لا يذهب منه شيء، والخوارج يقولون لا يبقى منه شيء.

وقال الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على أهله من هذه، يعني الإرجاء»[(١)].

وقد أختلف في أول من قال وتكلم في الإرجاء، وقد جعلت ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أول من تكلم في الإرجاء هو الحسن بن محمد الحنفية[(٢)].

كان الحسن يقول بإرجاء الطائفتين المتقاتلتين، علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأن أمرهما إلى الله، ولا نقول أن أحدهما مصيب أو مخطىء، وكتب في ذلك كتاباً، وأمر أن يقرأ على الناس، فلما روجع فيه أظهر الندامة على ما كتب.

قال أيوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ [(٣)]: «أنا أكبر من دين المرجئة، إن أول من تكلم في الإرجاء رجل من أهل المدينة من بني هاشم يقال له: الحسن»[(٤)].

وقال زاذان[(٥)]: «أتينا الحسن بن محمد فقلنا: ما هذا الكتاب الذي وضعت؟ وكان هو الذي أخرج كتاب المرجئة، فقال لي: يا أبا عمر، لوددت أني كنت مت قبل أن أخرج

---

(١) عبد الرحمن بن قيس بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي، مجهول الحال، من السادسة، قتل دون المائة، بعد التسعين، ينظر: تقريب التهذيب ١/٣٤٨.

(٢) الإيمان لابن تيمية ص:٣٠٨.

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة ٢/٨٨٥، برقم ١٢٢٢.

(٢) الحسن بن محمد ابن الحنفية، وهو ابن علي بن أبي طالب، يكنى أبا محمد ،وكان من ظرفاء بني هاشم، وأهل العقل منهم، مقدم في الفضل والهيئة، توفي في خلافة عمر بن عبدالعزيز، ولم يكن له عقب، ينظر: الطبقات الكبرى ٥/٣٢٨.

(٣) أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني، أبو بكر البصري، ثقة ثبت حجة، من كبار الفقهاء العباد، من الخامسة، مات سنة ١٣١هـ، وله ٦٥سنة، ينظر: تقريب التهذيب ١/١١٧.

(٤) الإبانة الكبرى لابن بطة ٢/٩٠٣، برقم ١٢٦٦.

(٥) زاذان أبو عمر الكندي البزاز، ويكنى أبا عبد الله أيضاً، صدوق يرسل، وفيه شيعية، من الثانية، مات سنة ٨٢هـ، ينظر: تقريب التهذيب ١/ ٢١٣.

هذا الكتاب أو أضع هذا الكتاب، فإن الخطأ في اسم الإيمان ليس كالخطأ في اسم محدث ولا كالخطأ في غيره من الأسماء، إذ كانت أحكام الدنيا والآخرة متعلقة باسم الإيمان والإسلام والكفر والنفاق»[1].

عن عبد الواحد بن أيمن[1]، قال: كان الحسن بن محمد بن الحنفية، يأمر أن أقرأ هذا الكتاب على الناس: أما بعد: «... ونرجي منهم أهل الفرقة الأول، ونجاهد في أبي بكر وعمر الولاية، فإن أبا بكر وعمر لم تقتتل فيهما الأمة، ولم تختلف فيهما، ولم يشك في أمرهما، وإنما الإرجاء ممن عاب الرجال، ولم يشهده، ثم عاب علينا الإرجاء من الأمة وقال متى كان الإرجاء، كان على عهد موسى نبي الله، إذ قال له فرعون ﴿ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[2]، قال موسى وهو ينزل عليه الوحي: حتى قال: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾[3]، فلم يعنف بمثل حجة موسى...»[4].

القول الثاني: أول من تكلم في الإرجاء هو حماد بن أبي سليمان[5].

وهو من مرجئة الفقهاء، الذين يقولون بأن الإيمان قول بلا عمل، ويقولون بأن أصحاب الذنوب داخلون تحت الوعيد، فالنزاع بين أهل الملة نزاع غير حقيقي، ولذا قال شيخ الإسلام عن ذلك أنه نزاع لفظي.

وأول من ذُكِر عنه هذا القول هم أهل الكوفة[1]، ومقدمهم في ذلك هو حماد بن أبي سليمان، شيخ الإمام أبي حنيفه.

---

(١) الإيمان لابن تيمية ١/٣٠٩.

(١) عبد الواحد بن أيمن المخزومي مولاهم، أبو القاسم المكي، لا بأس به، من الخامسة، ينظر: تقريب التهذيب ١/ ٣٦٦.

(٢) سورة طه، آية:٥١.

(٣) سورة طه، آية:٥٢.

(٤) الإيمان للعدني ١/ ١٤٥.

(٥) حماد بن أبي سليمان مسلم الأشعري مولاهم، أبو إسماعيل الكوفي، فقيه صدوق له أوهام، من الخامسة، ورمي بالإرجاء، مات سنة ٢٠هـ، أو قبلها، ينظر: تقريب التهذيب ١/ ١٧٨.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأن الإرجاء في أهل الكوفة كان أولا فيهم أكثر، وكان أول من قاله حماد بن أبي سليمان» [٢].

وقال أيضاً: «أن أكثر التنازع بين أهل السنة في هذه المسألة هو نزاع لفظي، وإلا فالقائلون بأن الإيمان قول من الفقهاء كحماد بن أبي سليمان وهو أول من قال ذلك، ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم متفقون مع جميع علماء السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد، وإن قالوا: إن إيمانهم كامل كإيمان جبريل، فهم يقولون: إن الإيمان بدون العمل المفروض، ومع فعل المحرمات، يكون صاحبه مستحقا للذم والعقاب، كما تقوله الجماعة، ويقولون أيضا بأن من أهل الكبائر من يدخل النار كما تقوله الجماعة، والذين ينفون عن الفاسق اسم الإيمان من أهل السنة متفقون على أنه لا يخلد في النار، فليس بين فقهاء الملة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرين باطنا وظاهراً بما جاء به الرسول، وما تواتر عنه أنهم من أهل الوعيد، وأنه يدخل النار منهم من أخبر الله ورسوله بدخوله إليها، ولا يخلد منهم فيها أحد، ولا يكونون مرتدين مباحي الدماء، ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار، كالخوارج[١]، والمعتزلة» [٢].

القول الثالث: أول من تكلم في الإرجاء هو ذر بن عبد الله الهمداني[٣].

وهو من مرجئة الفقهاء، قال سعيد بن جبير لذر: «يا ذر، ما لي أراك في كل يوم تجدد دينا؟» [٤].

---

(١) الكُوفَةُ، المدينة المعروفة التي تقع في بلاد العراق اليوم، وسميت بذلك لاستدارتها، وأول من اختطها سعد بن أبي وقاص في خلافة عمر بن الخطاب، وذلك سنة ١٧هـ، ينظر: معجم البلدان ٤/٤٩٠.
(٢) الإيمان لابن تيمية ١/٢٤٣.
(١) الخوارج، كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، وأول ظهورهم كان في زمن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ينظر: الملل والنحل ١/١١٤.
(٢) الإيمان لابن تيمية ١/٢٣٣.
(٣) ذر بن عبد الله المرهبي، ثقة عابد، رمي بالإرجاء، من السادسة، مات قبل المائة، ينظر: تقريب التهذيب ١/٢٠٣.
(٤) أخرجه الخلال في السنة ٣/ ٥٦٣، برقم ٩٥٣.

وعن العلاء بن عبد الله بن رافع ، أن ذراً أبا عمر ، أتى سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ في حاجة، فقال: «لا، حتى تخبرني على أي دين أنت اليوم أو رأي أنت اليوم؟ فإنك لا تزال تلتمس دينا قد أضللته ، ألا تستحي من رأي أنت أكبر منه»[١].

وعن سلمة بن كهيل[١]، قال: وصف ذر الإرجاء ، وهو أول من تكلم فيه، ثم قال: «إني أخاف أن يتخذ هذا دينا» . قال: فلما أتته الكتب من الآفاق، قال: فسمعته يقول بعد: «وهل أمر غير هذا؟»[٢].

وعن إسحاق بن إبراهيم بن هانئ[٣] حدثهم قال : سألت أبا عبد الله[٤]، قلت : أول من تكلم في الإيمان من هو ؟ قال : «يقولون : أول من تكلم فيه ذر»[٥]

الجمع بين الأقوال:

يمكن الجمع بين الأقوال المتقدمة، بأن القول الأول، لا يقصد به إرجاء الفقهاء، والذي هو تأخير العمل عن القول، بل المراد به إرجاء الحكم على الفئتين، فليس له نصيب من اسمه إلا رسمه، وليس هو الإرجاء المعني، ويشار إليه بأولية ظهور لفظة الإرجاء، والله أعلم.

أما القول الثاني والثالث، فهما المرادان هنا، وهو المقصود بإرجاء الفقهاء، ولعل الراجح بينهما ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، من أن أول من قاله وتكلم فيه وأظهره، هو حماد بن أبي سليمان، ولعل ما يرجح ذلك، هو قول حماد نفسه، حين قيل له: « ما هذا الرأي الذي أحدثت؟ لم يكن على عهد إبراهيم النخعي! فقال: لو كان حياً، لتابعني عليه يعني: الإرجاء»[٦].

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة ٣٢٥/١، برقم ٦٦٧،وابن بطة في الإبانة٨٩٠/٢، برقم ١٢٣٧

(١) سلمة بن كهيل الحضرمي،أبو يحي الكوفي،ثقة يتشيع،من الرابعة، ينظر: تقريب التهذيب ٢٤٨/١

(٢) أخرجه الخلال في السنة ٣٢/٥،برقم ١٥٣٩، وابن بطة في الابانة الكبرى ٨٩٢/٢، برقم ١٢٤٤

(٣) إسحاق بن إبراهيم بن هانىء أبو يعقوب النيسابوري الفقيه، ولد سنة ٢١٨هـ، من أصحاب الإمام أحمد، كان من العلماء العاملين، مات سنة ٢٧٥هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ١٩/١٣، المنتظم ٢٦٧/١٢، طبقات الحنابلة ١٠٨/١.

(٤) يعني الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٥) أخرجه ابن بطة في الابانة الكبرى ٢/ ٨٩١، برقم ١٢٣٩.

(٦) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٣٥/٥.

المطلب الثالث: أول من عُرف بالتشبيه.

والتشبيه يكون في الذات وفي الصفات، ويكون بتشبيه الخالق بالمخلوق، أو المخلوق بالخالق، وجميعهم مشبهة، منحرفون عن الكتاب والسنة.

وأول من عرف بالتشبيه، أصناف من الروافض، كالسبابية[(١)] الذين شبهوا المخلوق بالخالق؛ فقالوا بأن علياً إله، وكذلك المنصورية[(٢)]، والخطابية[(٣)].

وأما البيانية الذين شبهوا الخالق بالمخلوق؛ فزعموا بأن معبودهم على صورة إنسان في أعضائه، وكذلك المغيرية[(٤)]، والهشامية[(٥)] [(٦)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: « وقال أبو الحسن الأشعري[(٧)] أيضا اختلفت الروافض أصحاب الإمامة في التجسيم وهم ست فرق فالفرقة الأولى هشامية أصحاب

---

(١) السبأية أو السبابية، فرقة غالية، أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري، اليهودي، أسلم ليبث الفتنة بين المسلمين، وهي ليست من فرق الإسلام، لقولهم بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي حرقهم بالنار، ينظر: الفصل في الملل ٤/ ١٣٨، الفرق بين الفرق ١/٢٢٣.

(٢) المنصورية، أتباع أبي منصور العجلي، الذي شبه نفسه بربه، وزعم أنه عرج به إلى السماء، وأن الله مسح بيده على رأسه، وأنكروا اليوم الآخر، والجنة والنار، صلب أبي منصور في زمن هشام بن عبدالملك، ينظر: الفرق بين الفرق ١/٢٣٤، الملل والنحل ١/ ١٧٨.

(٣) الخطابية، فرقة غالية، أصحاب أبي الخطاب الأسدي، قالوا بإلاهيته، وبالاهية الأئمة، تبرأ منه جعفر الصادق فادعى الإمامة لنفسه، زعم أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة، قتل بالكوفة، فتفرقت بعده الخطابية إلى فرق شتى، ينظر: الفصل في الملل ١/٢١٥، الملل والنحل ١/ ١٧٩.

(٤) المغيرية، فرقة غالية، أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي، زعم أن محمد بن عبدالله سبط الحسن هو المهدي المنتظر، دعى الرافضة إلى انتظار محمد بن عبد الله هذا، ثم ترأسهم، وصرح بالكفر فادعى الإمامة لنفسه، ثم ادعى النبوه، وزعم أنه معبوده رجل من نور أعضاءه على صور حروف الهجاء، ينظر: الفرق بين الفرق ١/٢٢٩، الملل والنحل ١/١٧٧.

(٥) الهشامية، أو الهاشمية، من فرق الرافضة المشبهة، وهناك فرقتان، أحداها المنسوبة إلى هشام بن الحكم الرافضي، والآخرى المنسوبة إلى هشام بن سالم الجواليقي، وكلا الفرقتين، تدين بالتشبيه والتجسيم، وإثبات الحد والنهاية، ينظر: الفرق بين الفرق ١/٤٧، الملل والنحل ١/ ١٨٤.

(٦) ينظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ١/٢١٤، الملل والنحل للشهرستاني ١/١٠٣

(٧) علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم، أبو الحسن، إليه ينتسب الأشاعرة، ولد سنة ٢٦٠هـ، برع في الاعتزال، ثم تاب منه، وناظرهم، مات ببغداد سنة ٣٢٤هـ، ينظر سير أعلام النبلاء ١٥/٨٥، الوافي بالوفيات ٢٠/ ١٣٧، طبقات الشافعية ٣/ ٣٤٧.

هشام بن الحكم الرافضي[(١)] يزعمون أن معبودهم جسم وله نهاية وحد ... وذكر أبو الهذيل[(١)] في بعض كتبه أن هشام بن الحكم قال له إن ربه لجسم ذاهب جاء يتحرك تارة ويسكن أخرى ويقعد مرة ويقوم أخرى وأنه طويل عريض عميق لأن ما لم يكن كذلك دخل في حد التلاشي... وذكر أيضا ابن الراوندي[(٢)] أن هشام بن الحكم كان يقول إن بين إلهه وبين الأجسام المشاهدة تشابها بجهة من الجهات لولا ذلك ما دلت عليه ... وذكر عن هشام أنه قال في ربه في عام واحد خمسة أقاويل زعم مرة أنه كالبلورة وزعم مرة أنه كالسبيكة وزعم مرة أنه غير صورة وزعم مرة أنه بشبر نفسه سبعة أشبار ثم رجع عن ذلك وقال هو جسم لا كالأجسام قال وزعم أبو عيسى الوراق[(٣)] أن بعض أصحاب هشام أجابه مرة على أن الله تعالى وتقدس على العرش مماس له وأنه لايفضل على العرش ولا يفضل العرش عنه»[(٤)].

والروافض الأوائل كانوا مشبهة، ثم انحرفوا من التشبيه إلى التعطيل الذي هم عليه الآن، فأما الأوائل فلأن أصل عقيدتهم أخذت من اليهود الذين هم أول من أسس بدعة

---

(١) هشام بن الحكم الكوفي الرافضي، المشبه، أبو محمد الشيباني، له نظر وجدل، حاضر الجواب، رأساً في الرافضة، مع رفضه مفرطا في التجسيم والتشبيه، مات بعد نكبة البرامكة مستتراً، ينظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٣، الوافي بالوفيات ٢٦/ ٦٤، لسان الميزان ٦/ ١٩٤.

(١) محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول البصري العلاف، أبو الهذيل، رأس المعتزلة، ولد سنة ١٣٥هـ، وجاوز التسعين، هلك في سنة ٢٢٧هـ، وقيل بعد ذلك، ينظر: سير أعلام النبلاء١٠/ ٥٤٢، الوافي بالوفيات ٥/ ١٠٧، لسان الميزان ٥/ ٤١٣.

(٢) أحمد بن يحيى بن إسحاق ابن الراوندي، أبو الحسين، المروزي، كان معتزلاً ثم ألحد، لا يثبت على مذهب، كان أبوه يهودياً، قيل أنه هلك في سنة ٢٩٨هـ، وله ٣٦سنة، ينظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٩، الوافي بالوفيات ٨/ ١٥١، لسان الميزان ٣٢٣/١.

(٣) محمد بن هارون الوراق، أبو عيسى، كان مصاحباً لابن الراوندي، طلبه السلطان فأودعه السجن إلى أن هلك سنة ٢٤٧هـ، ينظر: لسان الميزان ٤١٢/٥، البداية والنهاية ٧٦٦/١٤.

(٤) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٥٧٢/٢.

التشبيه، فأصل بدعة الرفض هو عبد الله بن سبأ اليهودي[١]، ومن خلاله دخلت عقائد اليهود وتسربت إلى فرق المسلمين، الذين ابتعدوا عن الكتاب والسنة[٢].

فاليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوقين، فشبهوه بخلقه، ومن ذلك وصفهم الرب تبارك وتعالى بصفات النقص التي هي من صفات المخلوقين كالتعب والنصب، ففي كتابهم المقدس جاء ما نصه: «وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، واستراح في اليوم السابع من جميع ما عمله»[١].

وجاء أيضاً: «لأني أنا الرب الذي في ستة أيام صنع الرب السماوات والأرض، وفي اليوم السابع إستراح وتنفس الصعداء»[٢].

وقد بيّن الله تعالى فساد قولهم، وتحريفهم، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[٣]، فلم يقدروا الله حق قدره، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

وأول من قال بالتشبيه هو هشام بن الحكم الرافضي، والذي تنسب إليه فرقة الهشامية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وقلت – لا أدري في المجلس الأول أو الثاني – أول من قال إن الله جسم هشام بن الحكم الرافضي»[٤].

و شيخ الإسلام هو الذي قال عن نفسه: «وقلت: في ضمن كلامي أنا أعلم كل بدعة حدثت في الإسلام وأول من ابتدعها وما كان سبب ابتداعها»[٥].

---

(١) عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل، أصله من اليمن، كان يهوديا فأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليفسدهم، له أتباع يقال لهم السبائية معتقدون إلهية علي بن أبي طالب وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته، ينظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٤٢٦، لسان الميزان ٣/ ٢٨٩.

(٢) ينظر: معتقد أهل السنة والجماعة للتميمي ٦٦/١.

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح الثاني/٢، ص:٣.

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج، الإصحاح الواحد والثلاثون/١٧، ص:١٠٩.

(٣) سورة ق، آية:٣٨.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٨٦/٣.

(٥) المصدر نفسه ١٨٤/٣.

المطلب الرابع: أول من قال بالرفض.

قال الأزهري: «قال الليث: الرفض: تركك الشيء، تقول: رفضني فرفضته. قال: والروافض: جنود تركوا قائدهم وانصرفوا، فكل طائفة منهم رافضة، والنسب إليهم رافضي.

وذكر عمر بن شبة[(١)] عن الأصمعي[(٢)] أنه قال: سموا رافضة لأنهم كانوا بايعوا زيد بن علي[(٣)] ثم قالوا له: ابرأ من الشيخين نقاتل معك، فأبى، وقال: كانا وزيري جدي، فلا أبرأ منهما، فرفضوه وارفضوا عنه، فسموا رافضة»[(٤)].

لم يستطع أعداء الإسلام النيل من المسلمين في مواجهاتهم، فلم يقف أمام الصحابة مشرك، حتى سقطت أكبر دولتين في ذلك الزمان الفرس والروم.

فغاظهم ذلك، فكادوا للمسلمين، فدخلوا ضمن جماعة المسلمين وادعوا الإسلام كذباً وزوراً، بغرض النيل منه، وتستروا بحب آل البيت، وبيتوا المسلمين في دينهم، فبدأوا ببث سمومهم وعقائدهم الفاسدة، والتي هي وليدة من رحم يهودي فاسد.

فبعد بعثة الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم، قام في النفوس تحقيق توحيد رب العالمين، ففرق ابن السوداء كلمة المسلمين، بالسعي في قتل ذي النورين، ثم ادعاء ألوهية ابي السبطين، فكان أول من أدخل الشرك في الأمة.

---

(١) عمر بن شبة بن عبيدة بن زيد النميري، أبو زيد بن أبي معاذ البصري نزيل بغداد، صدوق، له تصانيف، من كبار الحادية عشرة، مات سنة ٢٦٢هـ، وقد جاوز التسعين، ينظر: تقريب التهذيب ٤١٣/١.

(٢) عبد الملك بن كريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، أبو سعيد الباهلي، الأصمعي البصري، صدوق سني، من التاسعة، مات سنة ٢١٥هـ، وقيل غير ذلك وقد قارب التسعين، ينظر: تقريب التهذيب ١/ ٣٦٤.

(٣) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين الهاشمي، العلوي، المدني، عاش ٤٤سنة، وقتل وصلب في الثاني من صفر، سنة ١٢٢هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨٩، فوات الوفيات ٣٥/٢، الوافي بالوفيات ٢١/١٥.

(٤) تهذيب اللغة للأزهري ١٣/١٢، مادة (رفض).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: « وأصل الرفض، من المنافقين الزنادقة فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق وأظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص عليه وادعى العصمة له»[(١)].

وقال أيضاً: « ولا يطعن على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلا أحد رجلين: إما رجل منافق زنديق ملحد عدو للإسلام، يتوصل بالطعن فيهما إلى الطعن في الرسول ودين الإسلام، وهذا حال المعلم الأول للرافضة، أول من ابتدع الرفض، وحال أئمة الباطنية، وإما جاهل مفرط في الجهل والهوى، وهو الغالب على عامة الشيعة، إذا كانوا مسلمين في الباطن»[(١)].

وقال عنهم أيضاً: «وهم أبعد طوائف أهل الإسلام عن النصرة، وأولاهم بالخذلان، فعلم أنهم أقرب طوائف أهل الإسلام إلى النفاق، وأبعدهم عن الإيمان، وآية ذلك أن المنافقين حقيقة، الذين ليس فيهم إيمان من الملاحدة، يميلون إلى الرافضة، والرافضة تميل إليهم أكثر من سائر الطوائف، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «**الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»[(٢)].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «اعتبروا الناس بأخدانهم»[(٣)]، فعلم أن بين أرواح الرافضة وأرواح المنافقين اتفاقا محضاً، قدرا مشتركاً وتشابهاً، وهذا لما في الرافضة من النفاق، فإن النفاق شعب، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه شعبة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[(٤)]، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[(٥)] وفي رواية لمسلم: «**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**»[(١)].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/ ٤٣٥.
(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٦/ ١١٥.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود ١٣٣/٤،برقم ٣٣٣٦
(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٨٧/٩، برقم ٨٩١٩.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق ١٦/١، برقم ٣٤.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق ١٦/١، برقم ٣٣.

والقرآن يشهد لهذا فإن الله وصف المنافقين في غير موضع بالكذب والغدر والخيانة، وهذه الخصال لا توجد في طائفة أكثر منها في الرافضة، ولا أبعد منها عن أهل السنة المحضة المتبعين للصحابة، فهؤلاء أولى الناس بشعب الإيمان وأبعدهم عن شعب النفاق، والرافضة أولى الناس بشعب النفاق وأبعدهم عن شعب الإيمان، وسائر الطوائف قربهم إلى الإيمان وبعدهم عن النفاق بحسب سنتهم وبدعتهم.

وهذا كله مما يبين أن القوم أبعد الطوائف عن اتباع المعصوم الذي لا شك في عصمته، وهو خاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، وما يذكرونه من خلاف السنة في دعوى الإمام المعصوم وغير ذلك، فإنما هو في الأصل من ابتداع منافق زنديق، كما قد ذكر ذلك أهل العلم ذكر غير واحد منهم أن أول من ابتدع الرفض والقول بالنص على علي وعصمته كان منافقا زنديقا، أراد فساد دين الإسلام، وأراد أن يصنع بالمسلمين ما صنع بولص بالنصارى، لكن لم يتأت له ما تأتى لبولص، لضعف دين النصارى وعقلهم»[1].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق ١/٧٨، برقم ٥٩.

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٦/ ٤٢٦.

المطلب الخامس: أول من قال بالتعطيل.

قال ابن فارس: «عطل، العين والطاء واللام أصل صحيح واحد يدل على خلو وفراغ. نقول: عطلت الدار، ودار معطلة ومتى تركت الإبل بلا راع فقد عطلت، وكذلك البئر إذا لم تورد ولم يستق منها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾(١)، وكل شيء خلا من حافظ فقد عطل، من ذلك تعطيل الثغور وما أشبهها»(٢).

والمعطلة هم الذين نفوا عن الله تعالى الأسماء والصفات، وهم في ذلك على درجات، فمنهم من نفاها بالكلية، ومنهم من نفى بعضها وأثبت بعضها، ومثل هذا فإثباته لبعض الصفات لا يغني عنه من الله شيئاً، وجميعهم يطلق عليهم أهل الكلام.

وأهل الكلام هم:الجهمية، والمعتزلة، والكلابية، والأشاعرة، والماتريدية(٣).

وأسبقهم في الظهور، وأشدهم في التعطيل هم الجهمية، والذين ينسبون إلى الجهم بن صفوان، فقد عطلوا جميع الأسماء والصفات، وهم في ذلك إلى أثر أئمتهم الوثنيين، من فلاسفة اليونان وغيرهم(٤).

حتى قال فيهم الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فرأينا هؤلاء الجهمية أفحش زندقة وأظهر كفرا وأقبح تأويلا لكتاب الله ورد صفاته فيما بلغنا عن هؤلاء الزنادقة الذين قتلهم علي عليه السلام وحرقهم»(٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الجهمية نفاة الأسماء والصفات: فإنما حدثوا في أواخر الدولة الأموية، وكثير من السلف لم يدخلهم في الثنتين وسبعين فرقة؛

---

(١) سورة الحج، آية:٤٥.

(١) سورة التكوير، آية:٤.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ٤/٣٥١، مادة (عطل).

(٣) الماتريدية، فرقة كلامية، تُنسب إلى أبي منصور الماتريدي، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاججة خصومها، من المعتزلة والجهمية وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية، ينظر: الموسوعة الميسرة ١/٩٥.

(٤) ينظر: العرش للذهبي ١/ ٤٨ وما بعدها.

(٥) الرد على الجهمية للدارمي ١/ ١٩٩.

منهم: يوسف بن أسباط رَحِمَهُ اللَّهُ [(١)]، وعبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ، قالوا: أصول البدع أربعة: الخوارج، والشيعة، والقدرية، والمرجئة، فقيل لهم: الجهمية؟ فقالوا: ليس هؤلاء من أمة محمد»[(١)].

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتحقيق: أن التجهم المحض؛ وهو نفي الأسماء والصفات؛ كما يحكى عن جهم، والغالية من الملاحدة، ونحوهم ممن نفى أسماء الله الحسنى كفر، بين، مخالف لما علم بالإضطرار من دين الرسول»[(٢)].

والجهمية ينتسبون إلى الجهم بن صفوان كما تقدم، وهذا الجهم أخذ بدعته عن الجعد بن درهم، فيكون أول من قال بالتعطيل هو الجعد بن درهم.

قال شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم أصل هذه المقالة، مقالة التعطيل للصفات، إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين، وضُلاّل الصابئين[(٣)]، فإن أول من حُفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام هو الجعد بن درهم»[(٤)]

قال ابن العماد الحنبلي:"**والجعد هذا من أول من نفى الصفات**، وعنه انتشرت مقالة الجهمية، إذ ممن حذا حذوه في ذلك الجهم بن صفوان، عاملهما الله تعالى بعدله"[(٥)]

قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا الناس إلى الله وإلى كتابه وكلامه سرا وجهرا، محتملا لما ناله من أذاهم، صابرا عليه حتى أظهره الله وأعزه، وأنزل عليه نصره، فضرب وجوه العرب والعجم بالسيوف، حتى ذلوا ودانوا، ودخلوا في الإسلام طوعا وكرها، واستقاموا حياته وبعد وفاته، لا يجترئ كافر ولا منافق متعوذ بالإسلام أن

---

(١) يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني، أبو محمد، له مواعظ وحكم، زاهد ورع متواضع صالح عابد، مات سنة ١٩٥هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ١٦٩/٩، ميزان الاعتدال ٤٦٢/٤، تهذيب التهذيب ٤٠٧/١١، لسان الميزان ٣١٧/٦.

(١) النبوات لابن تيمية ١/ ٥٧٧.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٥٧٨.

(٣) الصابئة: أختلف فيهم كثيراً، فقيل أن منهم حنفاء موحدون، ومنهم مشركون يعبدون الكواكب، ينظر: الرد على المنطقيين لابن تيمية، ص:٨٨.

(٤) الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية، ص:٢٤٣.

(٥) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١١٢/٢.

يظهر ما في نفسه من الكفر وإنكار النبوة، فرقا من السيف، وتخوفا من الافتضاح بل كانوا يتقلبون مع المسلمين بغم، ويعيشون فيهم على رغم، دهرا من الدهر، وزمانا من الزمان، وكان أول من أظهر شيئا منه بعد كفار قريش: الجعد بن درهم بالبصرة، وجهم بخراسان[1]، اقتداء بكفار قريش، فقتل الله جهما شر قتلة، وأما الجعد فأخذه خالد بن عبد الله القسري فذبحه ذبحا بواسط[2]، في يوم الأضحى على رؤوس من شهد العيد معه من المسلمين، لا يعيبه به عائب ولا يطعن عليه طاعن بل استحسنوا ذلك من فعله، وصوبوه من رأيه»[3].

(١) خراسان، بلد معروف اليوم في شمال شرقي بلاد فارس، وهي واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخرها مما يلي الهند، دون نهر جيحون، وتشتمل على عدة مدن كبيرة منها نيسابور وهراة ومرو وبلخ، ينظر: معجم البلدان ٢/ ٣٥٠.

(٢) واسط، مدينة معروفة اليوم بالعراق، وقد اختطها الحجاج بن يوسف الثقفي، وهي تقع على جانبي دجلة، وسميت بذلك لتوسطها بين البصرة والكوفة، ينظر: معجم البلدان ٥/ ٣٤٧.

(٣) الرد على الجهمية للدارمي ١/ ١.

المطلب السادس: أول من رمى أهل السنة بالحشوية.

الحشو في اللغة: ما حشوت به فراشا وغيره، والحشو من الكلام: الفضل الذي لا يعتمد عليه، وأرض حشاة: سوداء لا خير فيها، والحشو من الناس: من لا يعتد به، وكان من أراذلهم [١].

وفي الاصطلاح، يريد به من أطلقه، عدة معانٍ، منها أنه يكون من رذالة الناس وعامتهم، كما جاء في المعنى اللغوي، وبذلك قالت الرافضة، وإما أن يراد به أنهم لا يميزون صحيح الأحاديث من ضعيفها، فيقبلون كل شيء، وبذلك قالت المشبهة، وإما المراد به التجسيم، لإن الجسم حشو، وبذلك قالت الجهمية [٢].

فلم يزل أعداء الإسلام في كل زمان ومكان، يكيدون للإسلام وأهله، ومن ذلك تنفير الناس عنه، وعن سماعه، لأنه الحق، فمن كان سوياً في فهمه وعقله، فإنه لا يلبث عند سماعه للحق من الكتاب والسنة إلا أن يؤمن بالله، ويتبع الحق، ولذا تجد أهل العناد من المبتدعة والمشركين والضلال، يرمون الحق وأهله بما ليس فيه.

ولم يكن رمي أهل السنة ونبزهم بهذه الألقاب الشنيعة، بدعاً من القول عند الفرق المنتسبة إلى الإسلام، بل لهم سلف في ذلك، فهاهم صناديد قريش يرمون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأبشع الصفات، فقالوا: ساحر وكاهن ومجنون، ولكل قوم وارث، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ [٣]، بل جميع المرسلين من قبل قيل فيهم ذلك، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ [٤]، وكل من سار على طريق الرسل، فلا بد أن يصيبه شيء من الأذى، بقدر ما تمسك بهديهم ونهجهم.

---

(١) ينظر: العين للخليل ٢٦١/٣، المحكم لابن سيده ٤٦٤/٣، مادة (حشو).

(٢) ينظر: وسطية أهل السنة لمحمد باكريم ١٤١/١ وما بعدها.

(٣) سورة ص، آية:٤.

(٤) سورة الذاريات، آية:٥٢.

وها هو الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه[١]، يقول عن نفسه: «كنت رجلا شاعراً سيداً في قومي، فقدمت مكة فمشيت إلى رجالات قريش، فقالوا: يا طفيل، إنك امرؤ شاعر، سيد مطاع في قومك، وإنا قد خشينا أن يلقاك هذا الرجل فيصيبك ببعض حديثه، فإنما حديثه كالسحر، فاحذره أن يدخل عليك وعلى قومك ما أدخل علينا وعلى قومنا، فإنه يفرق بين المرء وابنه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وأبيه، فو الله ما زالوا يحدثونني في شأنه، وينهونني أن أسمع منه حتى قلت: والله لا أدخل المسجد إلا وأنا ساد أذني، قَالَ: فعمدت إلى أذني فحشوتهما كرسفاً[٢]، ثم غدوت إلى المسجد، فإذا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائما في المسجد. قَالَ: فقمت منه قريبا، وأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، قَالَ: فقلت في نفسي: والله أن هذا للعجز، والله إني امرؤ ثبت، ما يخفى علي من الأمور حسنها ولا قبيحها، والله لأستمعن منه، فإن كان أمره رشدا أخذت منه، وإن كان غير ذَلِكَ اجتنبته، فَقَالَ: فقلت: بالكرسفة! فنزعتها من أذني، فألقيتها، ثم استمعت له، فلم أسمع كلاما قط أحسن من كلام يتكلم به. قَالَ: قلت في نفسي: يا سبحان الله؟ ما سمعت كاليوم لفظا أحسن منه ولا أجمل»[٣].

وأهل السنة والجماعة، ليس لهم إسم يعرفون به سواه، كما أخرج ابن عبد البر[٤] بسنده، فقال: « جاء رجل إلى مالك فقال يا أبا عبد الله أسألك عن مسألة أجعلك حجة

---

(١) الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس الدّوسي، لقبه ذو النّور، أسلم بمكة، وجعل الله له نوراً بين عينيه، ثم تحول إلى سوطه، استشهد باليمامة، ينظر: الإستيعاب ٢/٧٥٧، أسد الغابة ٢/٤٦٠، الإصابة ٣/٤٢٢.

(٢) الكرسف، هو القطن، ينظر: العين للخليل ٥/٤٢٦، الصحاح للجوهري ٤/١٤٢١.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ٢/٧٥٩.

(٤) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي، المعروف بابن عبد البر، أبو عمر، ولد سنة ٣٦٨هـ، حافظ ثقة صاحب سنة واتباع، مات ليلة الجمعة من ربيع الآخر، سنة ٤٦٣هـ، وله من العمر ٩٥سنة، ينظر: تذكرة الحفاظ ٣/٢١٧، سير أعلام النبلاء ١٨/١٥٣.

فيما بيني وبين الله عز وجل قال مالك ما شاء الله لا قوة إلا بالله سل قال من أهل السنة قال أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به لاجهمى ولا قدري ولا رافضي»[١].

وقال ابن الموصلي رَحِمَهُ اللَّهُ [٢]في ذكر علامات أهل السنة: « ومنها: أنهم لا ينتسبون إلى مقالة معينة ولا إلى شخص معين غير الرسول فليس لهم لقب يعرفون به ولا نسبة ينتسبون إليها، إذا انتسب سواهم إلى المقالات المحدثة وأربابها كما قال بعض أئمة أهل السنة وقد سئل عنها فقال: السنة ما لا اسم له سوى السنة، وأهل البدع ينتسبون إلى المقالة تارة كالقدرية، والمرجئة، وإلى القائل تارة كالهاشمية والنجارية[٣]، والضراوية[٤]، وإلى الفعل تارة كالخوارج والروافض، وأهل السنة بريئون من هذه النسب كلها، وإنما نسبتهم إلى الحديث والسنة»[٥].

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد رأيت لأهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة، يسمون بها أهل السنة، يريدون بذلك عيبهم والطعن عليهم والوقيعة فيهم، والإزراء بهم عند السفهاء والجهال»[٦].

قال ابن أبي حاتم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: « وسمعت أبي يقول: وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر ، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة حشوية يريدون إبطال الآثار، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة، وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرة، وعلامة

---

(١) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر ٣٥/١.

(٢) محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان بن عبد العزيز الموصلي الأصل، البعلي المولد، ولد سنة ٦٩٩هـ، مات بطرابلس سنة ٧٧٤هـ، ينظر: الدرر الكامنة ٤٥٢/٥.

(٣) النجارية، أصحاب الحسين بن محمد النجار، فرقة جبرية، وهم أصناف:برغوثية وزعفرانية ومستدركة،وافقوا المعتزلة في نفي الصفات،ووافقوا الصفاتية في خلق الأعمال، ينظر: الملل والنحل٨٩/١

(٤) الضرارية، فرقة جبرية، وهم أصحاب ضرار بن عمرو، وحفص الفرد، واتفقا في التعطيل، واثبتا للباري ماهية لا يعلمها إلا هو، وقالا بخلق أفعال العباد، ينظر: الملل والنحل ٩٠/١.

(٥) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن الموصلي ٧٥٩/٢.

(٦) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ٣٥/١.

المرجئة تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل السنة ناصبة، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء»[(١)].

وأما ما ذكر في أول من رمى أحداً من أهل السنة بهذا الوصف، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: « وأما قول القائل: حشوية، فهذا اللفظ ليس له مسمى معروف لا في الشرع ولا في اللغة ولا في العرف العام؛ ولكن يذكر أن أول من تكلم بهذا اللفظ عمرو بن عبيد. وقال: كان عبد الله بن عمر حشوياً»[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته[(٣)]:

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى ... بالوحي من أثر ومن قرآن
حشوية يعنون حشوا في الوجو ... د وفضلة في أمة الإنسان
ويظن جاهلهم بأنهم حشوا ... رب العباد بداخل الأكوان
إذ قولهم فوق العباد وفي السما ... ء الرب ذو الملكوت والسلطان
ظن الحمير بأن في للظرف والر ... حمن محوي بظرف مكان
والله لم يسمع ندا من فرقة ... قالته في زمن من الأزمان
لا تبهتوا أهل الحديث به فما ... ذا قولهم تبا لذي البهتان
بل قولهم إن السموات العلى ... في كف خالق هذه الأكوان
حقا كخردلة ترى في كف ... ممسكها تعالى الله ذو السطان
أترونه المحصور بعد أم السما ... يا قومنا ارتدعوا عن العداون
كم ذا مشبهة وكم حشوية ... فالبهت لا يخفى على الرحمن
يا قوم إن كان الكتاب وسنة ... المختار حشوا فاشهدوا ببيان
أنا بحمد إلهنا حشوية ... صرف بلا جحد ولا كتمان
تدرون من سمت شيوخكم ... بهذا الاسم في الماضي من الأزمان

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١٩٧/١، برقم ٣٢١.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٧٦/١٢.

(٣) الكافية الشافية لابن القيم ص:١٤٥.

سمى به ابن عبيد الله عبد الله ذا	ك ابن الخليفة طارد الشيطان
فورثتم عمرا كما ورثوا لعبد	الله أنى يستوي الإرثان
تدرون من أولى بهذا الاسم وهـ	و مناسب أحواله بوزان
من قد حشا الأوراق والأذهان من	بدع تخالف موجب القرآن
هذا هو الحشوي لا أهل الحد	يث أئمة الإسلام والإيمان

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ لقباً آخر يلقب به أهل السنة، وهو لقب الحشوية، بمعنى أنهم لا قيمة لهم في الناس، لأن الحشو: هو الذي لا قيمة له ولا فائدة فيه،لأنهم أخذوا بظاهر الكتاب والسنة، ولم يتعمقوا في الفهم بزعمهم، بخلاف أصحابهم!.

ثم قال: إن كان متبع الكتاب والسنة حشوياً فنحن حشوية، فالعبرة بالمعاني ولا تكون بالألفاظ، وتلقيبكم لنا بالحشوية أو المشبهة، هذه ألفاظ لا تضرنا، فلقب الحشوية قديم عندكم وليس بجديد، فإمامكم الذي هو عمرو بن عبيد المعتزلي لقب به عبد الله بن عمر صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأنه يأخذ بالكتاب والسنة، وعمرو بن عبيد يأخذ براي المعتزلة الذي ظهروا في عصر التابعين، وعمر بن الخطاب والد عبد الله الذي لقبه إمامكم بالحشوي، قال فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً، إلا سلك فجاً غير فجك»، وذلك لقوة إيمانه وصلابته في الحق، فأهل السنة ورثوا عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأنتم ورثتم عمرو بن عبيد المعتزلي الخبيث، فأي الإرثين أحق بهذا اللقب؟.

ثم قال : أنتم الحشوية الذين حشوتم الأوراق والدفاتر بالكلام الباطل، والمذاهب الخبيثة، وهذا كله يؤخذ منه الرد على أهل الباطل وبيان فضائحم، فهم الحشوية، أما أهل الحق فإنهم ملؤوا الأوراق بالحق والعلم النافع وملؤوا الأذهان بالهداية ونور الحق[1].

---

(١) التعليق المختصر على القصيدة النونية للشيخ صالح الفوزان ٢/٥٨٠، بتصرف يسير.

الخاتمة:

الحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على خير خلق الله، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. أما بعد:

فبعد ما من الله به من إتمام هذا البحث، فقد خلصت إلى بعض النتائج، وهي:

١. أن البحث في أوائل المسائل العقدية، أمر مشروع كما جاء في حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه ، قالوا: «**قبلنا جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان**»، بل هو من الفقه في الدين.

٢. أن البحث في أوائل المسائل العقدية، فيه إبراز لبعض المسائل العقدية، التي فيها رد على المخالفين، كبيان أن أول واجب على المكلف هو توحيد الله تعالى بالنطق بالشهادتين.

٣. أن البحث في أوائل المسائل العقدية، له آثار على إيمان العبد، كحصول الخشية والخوف والرجاء، وغير ذلك من أعمال القلوب، كمعرفته لأول من تسعر بهم جهنم، وهم ثلاثة أصناف، حافظ لكتاب الله، ومجاهد في سبيل الله، ومنفق في سبيل الله، إذ لم يحققوا الإخلاص لله تعالى، وكان عملهم رياءً وسمعةً.

٤. أن البحث في أوائل المسائل العقدية، ينتج عنه معرفة العبد لأهمية العقيدة في حياته، وبعد مماته، إذ أن أول ما يسأل عنه العبد في القبر -وهو أول منازل الآخرة- عن عقيدته، من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟.

٥. أن البحث في أوائل المسائل العقدية، وخاصة في الفرق، فيه بيان ضلال المبتدعة في كل زمان ومكان، إذ إذا ما علم أن هذه الفرق خارجة عن الصراط المستقيم، ولم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ أن أول ظهور لأول الفرق متأخر عن عهده صلى الله عليه وآله وسلم .

٦. عظم وزر أول من بدّل وغيّر الحق، لأنه عليه وزره ووزر من تبعه إلى يوم القيامة، كما هو في شأن عمرو بن لحي الخزاعي، فقد رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجر أقتابه في النار، لأنه أول من بدل الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام.

٧. أن المشركون في كل زمان ومكان، يقتدون بإبليس سواءً علموا ذلك أم لم يعلموا، فهو أول من قاس القياس الفاسد، وهم على إثره، كما يتبين ذلك في موضعه من هذا البحث.

٨. أن التمسك بمنهج أول هذه الأمة من السلف الصالح واقتفاء أثرهم، والمضي على نهجهم، لهو الفوز العظيم، وهو الصراط المستقيم الموصل إلى رضوان الله والجنة.

٩. أن السلف الصالح تصدوا لأهل البدع، وأنكروا عليهم، وفي هذا بيان لمشروعية بيان فساد المبتدعة وزيغهم، ولا يكون ذلك إلا من أهل العلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الفهارس العامة:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الفرق والمذاهب.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية:

فهرس الأحاديث النبوية:

فهرس الآثار:

فهرس الأعلام :

فهرس الفرق والمذاهب:

فهرس الأماكن والبلدان:

فهرس المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

١/ **الإبانة الكبرى،** لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد العُكْبَري، تحقيق: رضا معطي، وآخرون، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

٢/ **إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة،** حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ.

٣/ **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة،** لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٤/ **إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة،** لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: مركز خدمة السنة والسيرة، بإشراف د زهير بن ناصر الناصر، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (بالمدينة) الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

٥/ **الإتقان في علوم القرآن،** لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م

٦/ **آثار البلاد وأخبار العباد،** لزكريا بن محمد محمود القزويني، الناشر:دار صادر–بيروت.

٧/ **اجتماع الجيوش الإسلامية،** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، الناشر: مطابع الفرزدق التجارية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٨/ **الآحاد والمثاني،** لأبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩١.

٩/ **الأحاديث الطوال،** لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مكتبة الزهراء – الموصل، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ – ١٩٨٣.

١٠/ **الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما،** لضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، دراسة وتحقيق: د.عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

١١/ **إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام،** لابن دقيق العيد، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

١٢/ **الأحكام السلطانية،** لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، الناشر: دار الحديث – القاهرة.

١٣/ **الإحكام في أصول الأحكام،** لأبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.

١٤/ **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه،** لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر: دار خضر – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤.

١٥/ **أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار**، لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، الناشر: دار الأندلس للنشر - بيروت.

١٦/ **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، لمحمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي، الناشر: عالم الكتب.

١٧/ **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

١٨/ **إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول**، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٩/ **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد**، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، الناشر: مكتبة الخانجي، ١١ شارع عبد العزيز- مصر، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ.

٢٠/ **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، لمحمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٢١/ **الاستذكار**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠.

٢٢/ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب،** لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢٣/ **أسد الغابة،** لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، الناشر: دار الفكر - بيروت، عام النشر: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٤/ **الأسماء والصفات للبيهقي،** لأحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٢٥/ **الإصابة في تمييز الصحابة،** لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

٢٦/ **أصول الدين،** لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، الناشر: مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية باستانبول، مطبعة الدولة، الطبعة الأولى: ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م.

٢٧/ **أصول السرخسي،** لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

٢٨/ **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد،** لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٢٩/ **الاعتصام،** لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣٠/ **الأعلام**، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٣١/ **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٢م.

٣٢/ **الأهوال**، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار النشر: مكتبة آل ياسر - مصر، عام النشر: ١٤١٣ هـ.

٣٣/ **أوائل المقالات في المذاهب المختارات**، لمحمد بن محمد بن النعمان، المعروف بالمفيد، الناشر: دار الكتاب الاسلامي، بيروت-لبنان، سنة الطبع: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣٤/ **الإيمان بالقضاء والقدر**، للدكتور: محمد بن ابراهيم الحمد، الناشر: دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٣٥/ **الإيمان**، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٣٦/ **البداية والنهاية**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٣٧/ **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

٣٨/ بصائر الدرجات، لأبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، منشورات شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

٣٩/ البعث والنشور، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، الناشر: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٤٠/ بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: موسى الدويش، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٤١/ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي، الناشر: دار الكاتب العربي - القاهرة، عام النشر: ١٩٦٧ م.

٤٢/ بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي ال الدريني، دار النشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٤٣/ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: مجموعة من تحقيقين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.

٤٤/ تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.

٤٥/ تاريخ الرسل والملوك، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧هـ.

٤٦/ تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.

٤٧/ تاريخ خليفة بن خياط، لأبي عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، الناشر: دار القلم ، مؤسسة الرسالة – دمشق ، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧.

٤٨/ تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٤٩/ تأويل مختلف الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الناشر: المكتب الاسلامي – مؤسسة الإشراق،الطبعة الثانية– مزيده ومنقحة ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٥٠/ تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الرابعة.

٥١/ تذكرة الحفاظ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

٥٢/ التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ.

٥٣/ **تسهيل العقيدة الإسلامية**، لعبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، الناشر: دار العصيمي للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية.

٥٤/ **تعظيم قدر الصلاة**، لأبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المرْوَزِي، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦.

٥٥/ **التعليق المختصر على القصيدة النونية**، للشيخ صالح بن فوزان العبد الله الفوزان، أشرف على طبعه وإخراجه: عبد السلام بن عبدالله السليمان.

٥٦/ **التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية**، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع.

٥٧/ **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين**، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ.

٥٨/ **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

٥٩/ **تفسير القرآن**، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

٦٠/ **تفسير عبد الرزاق**، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

٦١/ **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم،** لمحمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة – القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ – ١٩٩٥.

٦٢/ **تفسير مقاتل بن سليمان،** لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث–بيروت، الطبعة الأولى:١٤٢٣هـ.

٦٣/ **تقريب التهذيب،** لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

٦٤/ **التمهيد لشرح كتاب التوحيد،** لصالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الناشر: دار التوحيد، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٦٥/ **تهذيب الأسماء واللغات،** لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٦٦/ **تهذيب التهذيب،** لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

٦٧/ **تهذيب اللغة،** لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق:محمد عوض مرعب، الناشر:دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٦٨/ **التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد،** لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن مَنْدَه العبدي، تحقيق: د.علي بن محمد ناصر الفقيهي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا، الطبعة الأولى:١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م

٦٩/ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٧٠/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٧١/ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٧٢/ ثلاثة الأصول، لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، تحقيق: ناصر بن عبد الله الطريم وغيره، (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء الأول)، الناشر: جامعة الأمام محمدبن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٧٣/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٧٤/ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٧٥/ جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٧٦/ **جمهرة اللغة،** لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٧٧/ **الجواهر المضية في طبقات الحنفية،** لعبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي، الناشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي.

٧٨/ **الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ،** لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، حققه وعلق عليه: الدكتور فؤاد عبد المنعم، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ.

٧٩/ **الداء والدواء = الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي،** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، حققه: مُحَمَّد أجمل الإصْلاَحي، الناشر: مجمع الفقه الإسلامي بجدة، طبعة دار عالم الفوائد بجدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩.

٨٠/ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور،** لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٨١/ **درء تعارض العقل والنقل،** لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٨٢/ **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية،** لسعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة:الرابعة،١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٨٣/ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،** لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: مراقبة: محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٨٤/ **الدعوات الكبير**، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الناشر: غراس للنشر والتوزيع – الكويت، الطبعة: الأولى للنسخة الكاملة، ٢٠٠٩ م.

٨٥/ **دقائق المنهاج**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: إياد أحمد الغوج، الناشر: دار ابن حزم – بيروت.

٨٦/ **دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني**، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

٨٧/ **دلائل النبوة**، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٨٨/ **ديوان الهذليين**، الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة، طبعة: ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب.

٨٩/ **ديوان زهير بن أبي سلمى**، شرحه وقدم له الاستاذ: علي حسن فاعور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٩٠/ **رد المحتار على الدر المختار**، لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، الناشر: دار الفكر–بيروت، الطبعة الثانية،١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٩١/ **الرد على الجهمية**، لأبي سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الناشر: دار ابن الأثير – الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٩٢/ **رسالة ابن القيم إلى احد إخوانه،** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الله بن محمد المديفر، الناشر: مطابع الشرق الأوسط – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٩٣/ **الرسالة العرشية،** لتقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الناشر: المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ.

٩٤/ **الروح،** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت– لبنان، سنة النشر:١٣٩٥هـ–١٩٧٥م.

٩٥/ **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية،** لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.

٩٦/ **زاد المعاد في هدي خير العباد،** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

٩٧/ **الزاهر في معاني كلمات الناس،** لمحمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢.

٩٨/ **الزهد والرقائق،** لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٩٩/ **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد،** لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م.

١٠٠/ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الأشقودري الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، مكتبة المعارف، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

١٠١/ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الأشقودري الألباني، دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

١٠٢/ السنة، لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي، تحقيق:د.عطية الزهراني،الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٠٣/ السنة، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي، تحقيق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٠٤/ سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

١٠٥/ سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

١٠٦/ السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٠٧/ السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

١٠٨/ السنن، لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

١٠٩/ سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من تحقيقين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م.

١١٠/ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى،١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.

١١١/ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

١١٢/ شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، لتقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، الناشر: مؤسسة الريان، الطبعة: السادسة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

١١٣/ شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني الأسد آبادي، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة: ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

١١٤/ شرح السنة، لأبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، تحقيق:عبد الرحمن بن أحمد الجميزي،الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

١١٥/ شرح السنة، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١١٦/ شرح العقيدة الأصفهانية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، الناشر: المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٥هـ.

١١٧/ شرح العقيدة الطحاوية، لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١١٨/ شرح العقيدة الواسطية، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، تحقيق:سعد فواز الصميل،الناشر:دار ابن الجوزي-الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤١٩هـ.

١١٩/ شرح ثلاثة الأصول، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، تحقيق: علي بن صالح بن عبد الهادي المري - وأحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المسير، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٢٠/ شرح سنن أبي داود، لعبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، المكتبة الشاملة، ترقيم آلي.

١٢١/ شرح صحيح البخارى، لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٢٢/ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، لعبد الله بن محمد الغنيمان، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ.

١٢٣/ شرح كشف الشبهات، لمحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: طبع على نفقة محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

١٢٤/ الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٢٥/ شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٢٦/ الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السنة الحادية عشرة- العدد الرابع- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٢٧/ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٢٨/ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣.

١٢٩/ صحيح أبي داود، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

١٣٠/ صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

١٣١/ صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الخامسة.

١٣٢/ صحيح الجامع الصغير وزيادته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.

١٣٣/ صحيح السيرة النبوية، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن، الطبعة: الأولى.

١٣٤/ الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها، لمحمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١٣٥/ الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، لأبي أحمد محمد أمان بن علي جامي علي، الناشر: المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٣٦/ الصفدية، لتقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتية ابن تيمية، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٣٧/ **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٣٨/ **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: المجددة والمزيدة والمنقحة.

١٣٩/ **ضعيف سنن الترمذي**، لمحمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طباعته والتعليق عليه: زهير الشاويش، بتكليف: من مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض، توزيع:المكتب الاسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

١٤٠/ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

١٤١/ **طبقات الحفاظ**، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣.

١٤٢/ **طبقات الحنابلة**، لأبي الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

١٤٣/ **طبقات الشافعية الكبرى**، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

١٤٤/ **الطبقات الكبرى**، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م.

١٤٥/ **العرش**، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٤٦/ **العظمة**، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٤٧/ **العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة**، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: أضواء السلف – الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١٤٨/ **عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي**، لصالح بن عبد الله العبود، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١٤٩/ **العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها**، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

١٥٠/ **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، الناشر:دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٥١/ **عيون أخبار الرضا**، لمحمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، أبي جعفر الصدوق، الناشر: انتشارات الشريف الرضي، الطبعة الأولى: ١٣٧٨هـ، مطبعة أمير– قم .

١٥٢/ غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥.

١٥٣/ غريب الحديث، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

١٥٤/ غريب الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني – بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧.

١٥٥/ غريب الحديث، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥.

١٥٦/ الفتاوى الكبرى لابن تيمية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

١٥٧/ فتح الباري شرح صحيح البخاري،لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر:دار المعرفة-بيروت١٣٧٩، بترقيم:محمد فؤاد عبد الباقي،أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، بتعليقات العلامة:عبدالعزيز بن عبد الله بن باز

١٥٨/ فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، الناشر: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

١٥٩/ فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى-١٤١٤هـ.

١٦٠/ فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله، لعبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، الناشر: دار ابن القيم، الدمام المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٦١/ الفتوحات المكية، لمحيي الدين بن عربي، تحقيق: د. عثمان يحيى، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية:مصورة:١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

١٦٢/ الفتوى الحموية الكبرى، لتقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، الناشر: دار الصميعي - الرياض، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

١٦٣/ الفردوس بمأثور الخطاب، لشيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

١٦٤/ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧.

١٦٥/ فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، المؤلف: د. غالب بن علي عواجي، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٦٦/ الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة.

١٦٧/ **فضائل الصحابة**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ – ١٩٨٣.

١٦٨/ **فضائل القرآن**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الطبعة الأولى – ١٤١٦هـ.

١٦٩/ **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**، لعبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

١٧٠/ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

١٧١/ **قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ.

١٧٢/ **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١٧٣/ **القول السديد شرح كتاب التوحيد**، لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: المرتضى الزين أحمد، الناشر: مجموعة التحف النفائس الدولية، الطبعة: الثالثة.

١٧٤/ **القول المفيد على كتاب التوحيد**، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.

١٧٥/ **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب،

الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٧٦/ **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية،** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر:مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة:الثانية ١٤١٧هـ

١٧٧/ **الكامل في التاريخ،** لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

١٧٨/ **كتاب الأصنام،** لهشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي، تحقيق: أحمد زكي باشا، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الرابعة، ٢٠٠٠م.

١٧٩/ **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل،** لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح السلمي النيسابوري، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٨٠/ **كتاب التوحيد،** لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد وغيره، (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول)، الناشر: جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٨١/ **كتاب السنة،** لأبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٨٢/ **كتاب العين،** لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١٨٣/ **كتاب القدر**، لأبي بكر جعفر بن محمد بن المسْتَفاض الفِرْيابِي، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

١٨٤/ **كتاب المصاحف**، لأبي بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد بن عبده، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر / القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

١٨٥/ **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩، عدد الأجزاء: ٧.

١٨٦/ **الكتاب المقدس=كتب العهد القديم والعهد الجديد**، الناشر: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط–لبنان، العهد القديم–الإصدار الثاني ١٩٩٥م، الطبعة الرابعة، العهد الجديد– الإصدار الرابع ١٩٩٣م، الطبعة الثلاثون، .

١٨٧/ **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض، سنة النشر:١٤١٨هـ.

١٨٨/ **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.

١٨٩/ **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، د. روهلنج، ترجمة: د. يوسف نصر الله، الناشر: مطبعة المعارف– مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٨٩٩م.

١٩٠/ **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

١٩١/ لسان الميزان، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م.

١٩٢/ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

١٩٣/ متن القصيدة النونية، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ.

١٩٤/ المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية البحرين – أم الحصم، دار ابن حزم بيروت – لبنان، تاريخ النشر: ١٤١٩هـ.

١٩٥/ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

١٩٦/ مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٩٧/ مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

١٩٨/ مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، الطبعة: ١٤١٣ هـ.

١٩٩/ المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٠٠/ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٠١/ المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٢٠٢/ مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٢٠٣/ مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٢٠٤/ مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل

بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٢٠٥/ مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٠٦/ مسند الشاميين، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٤.

٢٠٧/ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم=صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٠٨/ مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥.

٢٠٩/ المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢١٠/ مصنف عبد الرزاق=المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣.

٢١١/ **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية،** لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: مجموعة من طلاب الدراسات العليا، تنسيق: د. سعد بن ناصر الشثري، الناشر:دار العاصمة، دار الغيث–السعودية،الطبعة: الأولى١٤١٩هـ

٢١٢/ **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول،** لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

٢١٣/ **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة،** لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق– بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١١ هـ.

٢١٤/ **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي،** لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٢١٥/ **معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات،** المؤلف: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٢١٦/ **المعجم الأوسط،** لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

٢١٧/ **معجم البلدان،** لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.

٢١٨/ **معجم الشعراء**، للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف . كرنكو، الناشر: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

٢١٩/ **المعجم الكبير**، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

٢٢٠/ **معجم المؤلفين**، لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٢١/ **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ.

٢٢٢/ **معجم مقاييس اللغة**، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢٢٣/ **معرفة السنن والآثار**، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي – باكستان)، دار قتيبة (دمشق –بيروت)، دار الوعي (حلب – دمشق)، دار الوفاء (المنصورة – القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

٢٢٤/ **مفاتيح العلوم**، لمحمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٢٢٥/ **مكارم الأخلاق**، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، الناشر: مكتبة القرآن – القاهرة.

٢٢٦/ **الملل والنحل**، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي.

٢٢٧/ **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢٢٨/ **المنتقى شرح الموطإ**، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ هـ.

٢٢٩/ **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٢٣٠/ **موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني**، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، صَنَعَهُ: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء - اليمن، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٢٣١/ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ.

٢٣٢/ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال،** المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م.

٢٣٣/ **النبوات،** لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٢٣٤/ **نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد،** لأبي سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٢٣٥/ **النكت والعيون،** لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٢٣٦/ **النهاية في غريب الحديث والأثر،** لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.

٢٣٧/ **نواسخ القرآن = ناسخ القرآن ومنسوخه،** لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد أشرف علي المليباري،سنة١٤٠١هـ، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

٢٣٨/ الوابل الصيب من الكلم الطيب، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث – القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م.

٢٣٩/ الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢٤٠/ وسطية أهل السنة بين الفرق، لمحمد با كريم محمد با عبد الله، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢٤١/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.

فهرس الموضوعات: